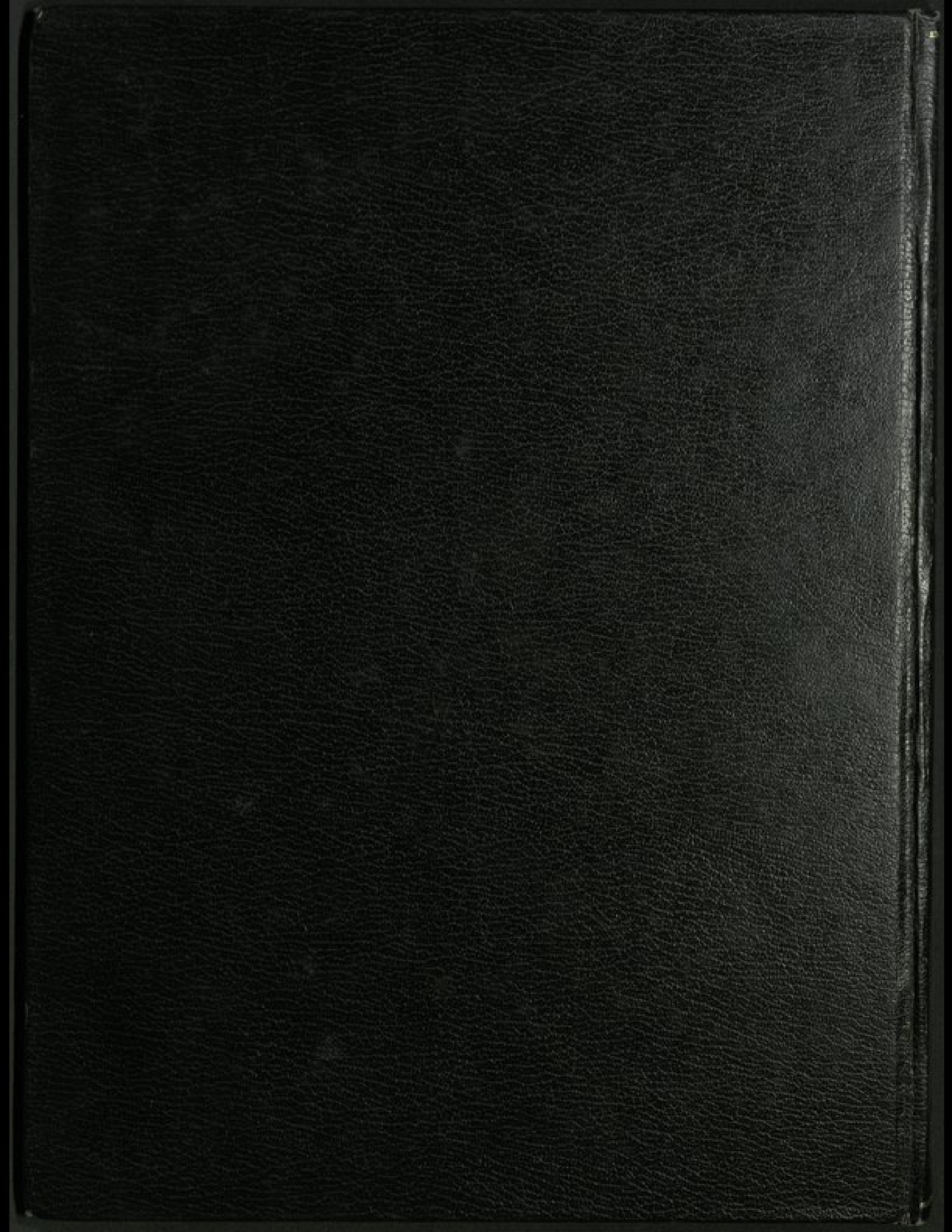
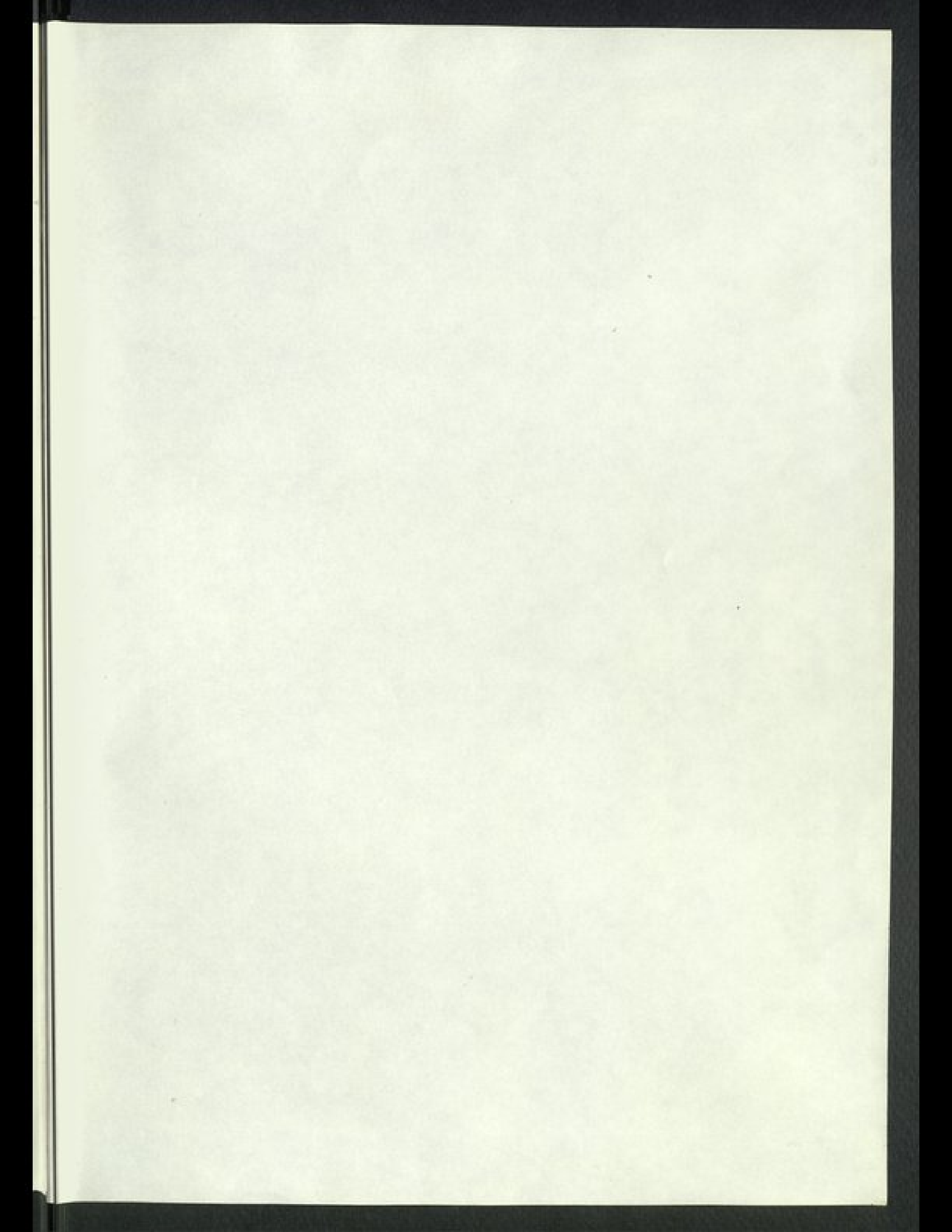
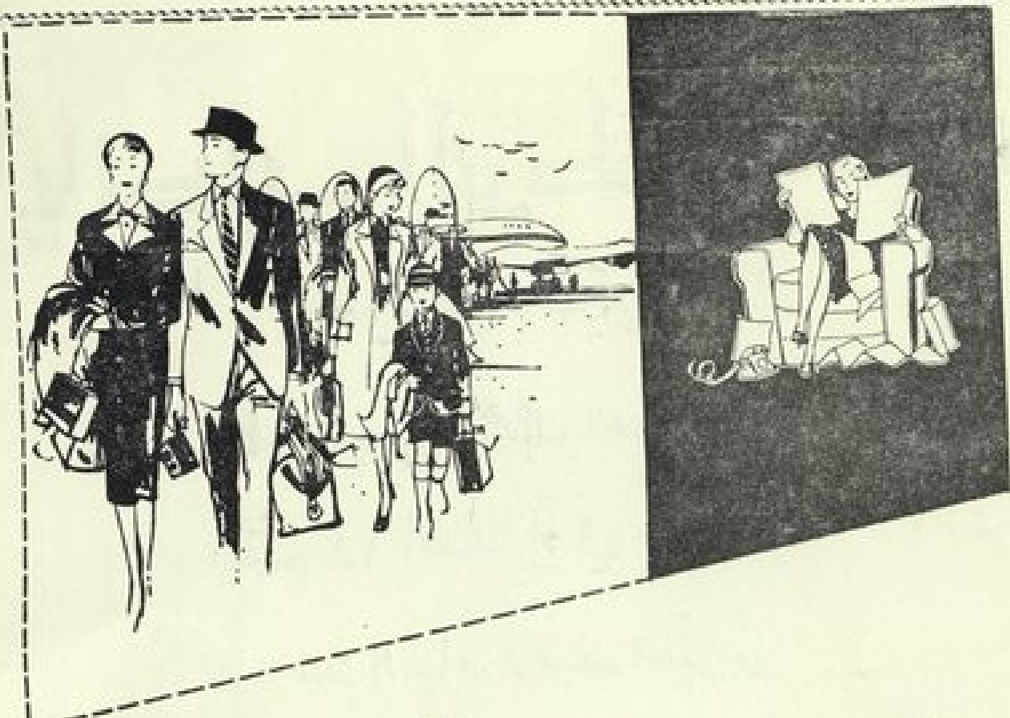



AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
UNIVERSITY
LIBRARY

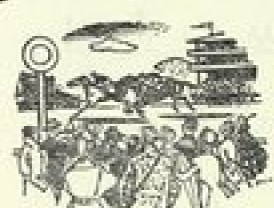




استعد من الآن

... لأخذ اجازتك

لا تتعجل وشاهد معظم اوربا دون زيادة في اجرة السفر بما تقدم اليك
.B.O.A.C من وسائل الراحة في محطات التوقف
واقض اعمالك كلها حسب برنامج رحلتك
واحجز مقدماً مكانك في الفندق الذي تريده
دعنا نساعدك في اختيار برنامج رحلتك ولكن يجب
أولا ان تبكر في حجز مكانك وتتأكد من قضائك عطلة
ممتعة هذا العام .



للاستعلامات وحجز الأماكن - شركة [illegible] الأهلية للسياحة شارع اللنبي
بيروت ودمشق ٢٧ شارع فؤاد الأول . أو إحدى وكالات السياحة الأخرى

الطرق الجوية .B.O.A.C تعنى بك كل العناية

سافر بطائرات B·O·A·C

الطرق الجوية البريطانية



اليطاليا

من اكبر شركات

الطيران العالمية

•

اليطاليا

تنقلكم من والى كافة

اقطار العالم

•

اليطاليا

مكتب الشركة الرئيسي

ساحة النجمة – بيروت

تلفون ٢١٢٦٠

•



شركة
الطيران السويسري
راساً الى
* اسطنبول
* زوريخ
* وجنيف
السفر من بيروت كل يوم اثنين
بطائرات DC-6B
ومنها الاتصال بين أوروبا واميركا
درجة عادية ودرجة سواح
"أملفكو"
SWISSAIR
SWISSAIR

عبدالله حشيمه و جوزيف حايك

نصف لبنان

عرض عام للاغتراب اللبناني في ماضيه وحاضره

وتطور حالات نصفه المغترب

في اميركة وافريقية

•

بمؤازرة

نادي المغتربين

•

لمناسبة سنة السياحة وصيف المغتربين

١٩٥٥

تقدمة الكتاب

الى الذين حملتهم أمواج الخضم واجنحة الاثير ، من على شطآن وطنهم ، ونثرتهم تحت كل كوكب ، في اقطار المعمور القصية .

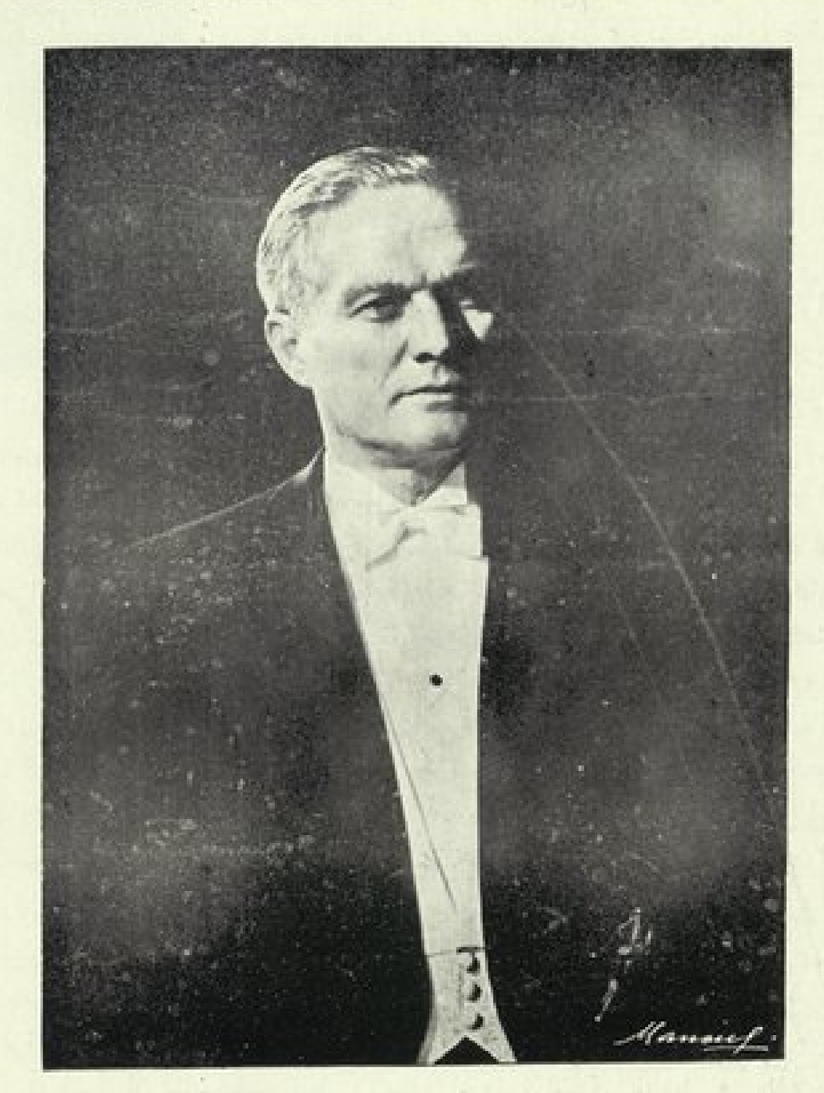
الى من ضاقت ارضهم بطموحهم ، فراحوا يطلبون سعة العيش ، وينتزعون الرفاهية والكرامة والجاه ، من بين أشداق الصعاب ، في سواها .

الى الرافعي اسم لبنان عالياً ، والحاملي رسالته أمناء ، والعاملين لتوطيد كيانه ، على صعيد الصداقة الدولية ، بما اكتسبوا من صداقات خاصة وعامة ، في البلدان التي اتخذوها أوطاناً ثانية لهم .

الى اللبنانيين المغتربين .

نقدم هذا الكتاب . . .

عبد الله حشيمه وجوزيف حايك



صاحب الفخامة الاستاذ كميل شمعون

رئيس الجمهورية اللبنانية

فخامة رئيس الجمهورية يرحب بالمغتربين

ايها الاخوان والمواطنون

مرحباً بكم تفدون من اصقاع القارات الخمس، لتلمسوا الارض المباركة التي وهبتكم نسمة الحياة، ومرحباً بكم افراداً، واسراً، ووفوداً، شاقها كما شاق اوطانها، ان يجتمع الشطران، ويشهدا معاً روعة الصيف في لبنان.

وانها لسانحة طيبة هذه السنة السياحية التي تتعارف وتتآلف فيها الارواح من جديد، وان يشهد المغتربون عن كثب اي شوط قطعه وطنهم في ميادين التقدم والعمران، وأي مجال تفسحه رحابه امام خبرتهم ونشاطهم وجميع امكاناتهم المادية والمعنوية في حقول العمل والانتاج.

ولا يسع لبنان وقد كابد طوال قرن كامل مضض الهجرة، وامعانها في تصدير الرجال والسواعد نتيجة للبطالة والجمود فيما مضى ان يتناسى فضل الهجرة عليه، وانها كانت من وسائل توسيع مداه الحيوي، وتعريف العالم الى العبقرية الفذة الكامنة في صدور ابنائه، فما انتشر مهاجروهم في الأميركتين وأوستراليا واوربا وأفريقية والشرقين الادنى والاقصى، الا كانوا بين ساسة، وقادة، ومفكرين، وتجار، وصناعيين في الطليعة، وما تدرجت تلك البلدان في مراقي النهضة الحديثة الشاملة، الا برز مغتربونا مساهمين الى حد بعيد فيها، يعقد لهم لواء الغلبة في ميادينها العلمية والصناعية والاقتصادية والعمرانية، فكانت لهم لقمة الاسد، وكان لوطنهم نصيبه من النجاح الذي اصابوه، وكان له ولهم معاً عظيم الفخر في أنه مسقط رأسهم وفي أنهم بنوه.

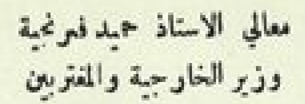
فاليهم جميعاً، حاضرين وغائبين، ازف عاطفة لبنان، عاطفة الحب والعرفان، واود لهذه المناسبة ان اخاطب عقولهم النيرة، لكي يتميزوا الحقائق عن نهضة بلادهم، ولكي يكونوا على بينة من شؤونها بعد طوال الغربة، اود ان اصارحهم تكراراً بان بلد الموقد والسراج والساقية والتربة الحجرية قد اصبح بلد المصنع والري وطاقة الكهرباء والجنائن المثمرة، وبان الاقليمية والانكماش والتواكل على صعيده السياسي والاقتصادي قد تحولت الى انطلاق جعله عضواً عاملاً في مجموعة الدول، وجندياً اميناً على ميثاقها، ومجاهداً مخلصاً في صفوفها لانصاف العرب في قضاياهم المقدسة العادلة، كما صهر عزائمه وحرر مرافقه، ووسع آفاق اسواقه وجعله قبلة وجوه عدد كبير من اقطاب رجال المال والاعمال العالميين الذين يزدادون اقتناعاً بان هذا البلد لبنان، مهد الثقافات والحضارات، خليق بأن يكون بموقعه وبمرفأه وبمطاره الدولي الكبير ملتقى الطرق العظمى، وعقدة المواصلات العالمية بين الشرق والغرب.

وليس من قبيل المفاخرة، بل من قبيل اعلان هذه الحقائق والتسليم بصحتها، اذا ذكرنا ان احد الكتاب الاجانب العالميين قد خص منذ اسبوعين الوضع الاقتصادي في لبنان بدراسة تفصيلية مؤداها انه على ازدهار مطرد، وان في استطاعته ان يعتز بالمستوى العالي في حياته وبنقده القابل التحويل بحرية، وان هذه النتيجة ليست وليدة اعجوبة، بل ثمرة عمل شاق وبراعة في شؤون المال والتجارة، وصراع عنيد ناجح في سبيل تحقيق اقتصاد حر. وخلص الكاتب الى القول ان لبنان بسبب تفاعله الاقتصادي الموفق في الشرق الاوسط يعنى عناية خاصة بالاستقرار السياسي والتقدم الاجتماعي وانه بالتعايش الودي، والتعاون المثمر بين سكانه المسيحيين والمسلمين، يعطي للشعوب الغربية والشرقية درساً في ميدان التفاهم المتبادل.

هذا هو لبنان اليوم الذي بسط ذراعيه لاستقبال ابنائه وزائريه الأحباء، وسواء اطالت ام قصرت اقامتهم في ربوعه فانه غانم برؤية هذه الوجوه التي طالما حنت لمرآها القلوب، ومغتبط بان الراغبين منهم في العودة الى مهاجرهم سيحملون الى العالم الذي يعيشون فيه والى جيلهم الطالع بوجه خاص، صورة جميلة عن بلادهم، وعن انها تعمل جاهدة لبناء حياة جديدة واجيال جديدة، تساهم في خلق العالم الأفضل، وفي حفظ السلام وفي تأمين الحريات، وفي اسعاد المواطنين... طبتم وطابت اقامتكم، ايها الاخوان والاصدقاء.

وعشتم وعاش لبنان





معالي الاستاذ حميد فرنجية
وزير الخارجية والمغتربين

في السنة ١٩٤٦ ظهرت فكرة انشاء دائرة خـاصة بالمغتربين وشؤونهم في وزارة الشؤون الخارجية، وكان على رأس هذه الوزارة آنذاك الاستاذ حميد فرنجية ، فما تردد في تحقيق هذه الفكرة بموافقة السلطات العليا ، اعتقاداً حقاً بأن المغتربين عنصر لا غنى عنه للوحدة الوطنية ، ولاستكمال عناصر استقلالنا الاقتصادي والمعنوي .

والاستاذ حميد فرنجية من رجالات لبنان العاملين باخلاص ورصانة ، وخاصة في حقل السياسة الخارجية ، وقد برهن أكثر من مرة على انه الدبلوماسي اللبق الذي يعرف كيف يضطلع باعباء مسؤولياته ، وهذا ما حمل السياسة اللبنانية العليا على ان تعهد اليه اليوم بأخطر المهمات، فما تردد في قبول القيام بما عهد اليه، على صعيد السياسة العربية ، تلبية لنداء الواجب .

ويسرنا ان نزين هذه الصفحة من كتابنا « نصف لبنان » برسمه النبيل ، وان نعبر عن شعوره نحو مغتربينا بكلمة نحن على يقين من أنه لو سئل عنهم لما تردد في قولها :

ان لبنان الذي يعتز ببنيه المقيمين العاملين لبقائه ، والحفاظ على تراثه التاريخي الغالي ، يعتز ايضاً ويزهو ببنيه المغتربين ، ولا ينسى أبداً أنهم كانوا ولم يزالوا نصراءه في الشدة ، ورسله الأمناء في أي أرض نزلوا ، وهو مدين لهم بالكثير من الصداقات الدولية التي يتمتع بها اليوم في العالم .

ولعلنـا نعبر من جهة ثانية عن شعور المغتربين ، حين نقول للاستاذ فرنجية بلسانهم : « ان نصف لبنان » المغترب يضع بين يدي المخلصين من امثالك مصائر لبنان ، وما من لبنـاني في مواطن اغترابنا كافة يتردد في تلبية نداء الواجب ، حين يدعى لشدّ إزر الأوفياء لعهد هذا الوطن .



رسالة معالي الاستاذ
رشيد كرامه وزير الاقتصاد الوطني والشؤون الاجتماعية

يطيب لي ، وقد عني هذا الكتاب « نصف لبنان » بشطرنا المغترب ، ان يفسح لي في صدره مجالا اعرب فيه عما تعلق على ذلك الشطر العزيز من آمال كبار ، وما يقتضيه واجبنا نحوه من النهوض بالوطن الى مرابع عزه وفخاره .

ولقد تسنى لنا في صيف هذا العام ان رحبنا بالعديد من اخواننا المغتربين الذين وفدوا الينا نساهم معاً في مهرجانات ستتهم ، فتحققنا مما نؤمل فيهم من سمو العاطفة وصادق الولاء وخالص الوطنية .

والواقع ان كلا منهم يشعر بأنه ، مهما بلغ مدى فلاحه في مجاهل الدنيا التي اتخذها ميداناً لنشاطه الفردي ، فانه في غربته يستمد دوماً القوة من وطنه ومرتع صباه .

ولبنان يعتز في مغتربيه ، الذين رفعوا اسمه وعززوا لواءه ، والذين كانوا له رواد آفاق للقيم التي نشروها في المشارق والمغارب ، فبنوا لبلادهم تحت كل كوكب صروح مجد راسخة ، ويقيني انهم في زيارتهم للوطن لمسوا لمس اليدان المقيمين ما قصروا عنهم في الجهاد ، حتى حققوا الاستقلال ، وخلصت لهم السيادة ، ونهضوا في سائر ميادين الحياة نهضة تبشر بخير عميم ومصير زاهر كريم .

والوطن اليوم أحوج ما يكون الى تضافر جهود جميع ابنائه ، مقيمين ومغتربين ، ليرفعوا من شأنه ، وليوفروا ما يصبوا اليه من تحقيق ما يقوم به من مشاريع لرفع مستواه الاقتصادي والاجتماعي ، وبلادنا كثيرة المرافق ، غنية بثرواتها الدفينة ، مفتقرة الى المال والخبرة ، ولدى شطرنا المغترب من الخبرة والمال ما لو ساهم ببعضه في مشروعات بلاده لكفل لوطنه ولمصالح بنيه مستقبلا كبيراً باهراً .

واننا لنرجو ان يكثر المغتربون من ترددهم على بلادهم ، فيطمئنوا الى امكانيات العمل ، ويتبينوا مدى النهضة ، ويتحققوا قابلية المشروعات الاقتصادية للنجاح ، فتتوطد علاقات الوطن الاقتصادية بمغتربيه ، وتتاح له الاستفادة المباشرة من تجاربهم ونشاطهم ، وتنقلب آمالنا حقائق ، ويصبح صيفنا كل عام مهرجاناً لهم وفرحة لنا ، واعياد عز لوطن يقوم مجده على اكتاف جميع ابنائه ، مقيمين ومغتربين ، ويبني في دنيا الحضارة هياكل شيدها الاجداد ليكملها الأحفاد ... ونحن هم الاحفاد ...

رشيد كرامة



رسالة
معالي الاستاذ سليم لحود وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة

يسرني أن أخاطب من على منبر هذا الكتاب « نصف لبنان » الاخوان المنتشرين نجوماً في كل أفق ، وقد حملهم طموحهم على الاغتراب عن وطنهم ، لتأدية الرسالة التي عاهد هذا الوطن نفسه على تأديتها عبر الأجيال منذ بدء التاريخ .

لقد كان « صيف المغتربين » الذي أحييناه لذكرى اغترابنا فرصة سعيدة للنصفين الشقيقين يتبادلان فيها ارق العواطف ويوثقان الصلات التي كانت ولا تزال تجمعها على صعيد المصلحة المشتركة ، هذه التي يعمل كل منهما لها في مجالاته ، وضمن نطاق امكاناته الروحية والمادية .

ومما لا شك فيه ان الأخوان المغتربين يعيشون في دنيا اغترابهم ، ووطنهم لا يفارق مخيلاتهم ونفوسهم ، بمن تركوا فيه من اهل وصحب ، وما انسلخوا عنه من ميزات طبيعية ، مما لم يجدوا له مثيلاً في أي أرض نزلوها ، وهذا ما يضاعف حنينهم أبداً اليه ، ويحملهم على اغتنام كل فرصة لزيارته .

ولذا رأيناهم في هذا الصيف يتوافدون من اربعة اقطار العالم ، ليستنشقوا أطيب الأشذاء من سهول هذا الوطن وجباله ، وليرووا ظمأهم بجرعة من مياه ينابيعه الصافية ، وليكحلوا عيونهم بأنوار شمسه وقمره ونجومه ، وليعودوا في الآخر منه بأطيب الاحاديث الى من لم يسعده الحظ بالعود اليه من اخوانهم .

وإني لواثق بان الانطباعات التي سيعود بها الاخوان الى دنيا اغترابهم ، بعد ان شهدوا ما شهدوا من نهضات وطنهم المختلفة ، في حقول العمران والاقتصاد والثقافة ، لن تكون الا انطباعات الابن البار بذويه ، والمواطن العامل باخلاص مع العاملين لرفع مكانة وطنه ، وجمع الكلمة والصفوف في سبيل السير بهذا الوطن الى اهدافه السامية ومثله العليا .

وكمسؤول في الدولة ، وقد أولاني الشعب ثقته بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن مغتربيه ، اعاهد النصف الكريم الذي اخاطب الان ، والذي كان ولا يزال في مقدمة من نرجو المساهمة في كل عمل وطني ، أعاهده على العمل أبداً لتوطيد كيان هذا الوطن ، وأنا في جملة القائلين ان هذا الكيان لا يوطد ، ولا تتفاعل عناصر قواه لتوليد الحياة المثلى ، إلا بجمع قوى نصفيه المقيم والمغترب ، على صعيد العمل المشترك ، للمصلحة العامة .

سليم لحود



رسالة
معالي الاستاذ محي الدين النصولي وزير الداخلية والانباء

أتاحت لنا سنة السياحة والاصطياف هذا العام أن نرى اخواننا وأبناءنا المغتربين يعودون الى وطنهم الأم - لبنان - زرافات ووحدانا ، ويتجولون في ربوعه ، ويرون أي تقدم أصاب ، وأي رقي بلغ في جميع الميادين ، لا سيما في عهد الاستقلال ، وهي مرحلة قصيرة لا تتعدى الاثنتي عشرة سنة .

لقد غادر هؤلاء الاخوان والأبناء لبنان ومصيره في غير ايديهم ، وعادوا ليشاهدوا ان الاستقلال نعمة سابغة ظفر بها اللبنانيون ، وتحملوا تبعاتها بشجاعة منقطعة النظير ، لا فرق بين طائفة وطائفة ، وعنصر وعنصر ، فاذا اللبنانيون ازاء الاستقلال حزمة واحدة يفدونه بالغالي والثمين ، ويوطدون دعائمه يوماً بعد يوم ، على الرغم من الصعاب التي واجهتهم وتواجههم ، والمزالق التي مرّت وتمر بهم ، وإذا لبنان بفضل اتحاد أبنائه والتفافهم حول رايته المقدسة يجترحون المعجزة اللبنانية .

ألم يرَ اخواننا وابناؤنا المغتربون المرفأ الجوي الذي شيدناه ، والذي اصبح قبلة الغرب والشرق ، تحط فيه الطائرات على اختلاف جنسياتها ، وتقلع منه أناء الليل واطراف النهار ، فهو دائم الدوي ، دائم الحركة ، كأنه خلية نحل حية انتشر فيها اللبنانيون ليستقبلوا ويودعوا ويتركوا اطيب الاثر في نفوس جميع رواده وزواره ؟

ألم يروا هذا المرفأ البحري العظيم الذي تدخله البواخر وتخرج منه حاملة المسافرين والبضائع كأنها الاعلام ؟

ألم يروا الطرقات التي شقت ، والمياه التي فجرت ، والكهرباء التي ولدت ، والطاقة التي أطلقت ، والبساتين التي زرعت ، من أشجار الفاكهة والحبوب والخضروات ؟

ألم يروا هذه البحبوحة التي عمت لبنان ، بفضل مبدأ الحرية الذي اتخذه لبنان مبدأ له في جميع النواحي ؟

ترى هل فكر اخواننا وابناؤنا المغتربون بالعودة الى وطنهم ، واستثمار نشاطهم وخبرتهم وأموالهم في حقوله ، فلبنان كان ولايزال بحاجة الى معونتهم المادية والمعنوية ، فهم ملاذه عند الشدة والرخاء؟

هذا ما يؤمله مواطن زار المغتربين « نصفنا المغترب » ولمس عن كثب وطنيتهم الصادقة وذكاءهم الوقاد .

محي الدين النصولي

مقررات مؤتمر المغتربين في مهرجان زحلة

عقدت « الكتائب اللبنانية » مؤتمرها الثالث للمغتربين في بيروت وزحلة من ٢٩ آب الى ٤ ايلول ، وفي المهرجان الكبير الذي اختتمت به أعمال المؤتمر في زحلة ، اعلنت المقرارت التالية :

ا – المقررات الثقافية

١ – انشاء مدارس تعلم ابناء المغتربين اللغة العربية .

٢ – السعي الى جعل تدريس اللغة العربية اختيارياً في المناهج التثقيفية المعتمدة في بلدان الاغتراب

٣ – انشاء معهد رسمي في لبنان للتحصيل الابتدائي والثانوي يعنى فيه – بنوع خاص – بتعليم اللغتين الاسبانية والبورتغالية .

٤ – اصدار كتاب شامل للتاريخ اللبناني ينقل الى مختلف اللغات ويعمم في اوساط المغتربين .

٥ – نشر المعلومات الوافية عن لبنان بواسطة مراكز تمثيله في الخارج ، وبواسطة محاضرين لبنانيين ينتدبون للقيام برحلات وجولات من اجل هذه الغاية .

٦ – انشاء الاندية والمكتبات ودور النشر ووكالات الانباء ومجلة عن لبنان تصدر دورياً بمختلف اللغات التي يتكلمها المغتربون .

٧ – تنظيم مناهج اذاعية خاصة بالمغتربين في لبنان وفي ديار الاغتراب .

٨ – تنظيم رحلات للتعارف والرياضة بين ديار الاغتراب والوطن الاول .

٩ – وضع افلام سينمائية عن الحياة اللبنانية في لبنان وفي ديار الاغتراب .

١٠ – تنظيم معارض فنية وثقافية متبادلة بين لبنان والدول التي لنا فيها مغتربون .

١١ – عقد مؤتمرات بين اللبنانيين المقيمين والمغتربين ممن تجمع بينهم مهنة واحدة .

ب – المقررات الاقتصادية

١٢ – حث المغتربين، حيث تجيز لهم القوانين المحلية ذلك، على تشكيل غرف تجارية ، او هيئات اخرى مماثلة ، للاتصال بنظائرها من الهيئات اللبنانية ، تبادلا للمعلومات والخدمات الاقتصادية والتجارية .

١٣ – اعتماد مصرف وطني لوضع الدراسات الاقتصادية الدقيقة عن مشاريع يمكن المغتربين ان يساهموا فيها .

١٤ – تمويل مشاريع استثمار المرافق العامة القائمة في البلاد من مشاريع في عهدة الدولة الى مشاريع خاصة .

١٥ – القيام بجميع المساعي الضرورية التي تسهل للمغتربين الراغبين في نقل اموالهم الى الوطن الاول اعمال النقل .

١٦ – اعداد مشروع كامل لتشجيع الصناعات والحرف القروية والترويج لمنتجاتها في اسواق بلدان الاغتراب .

١٧ – متابعة العمل الذي بوشر في هذه السنة السياحية لتعزيز حركة مجيء المغتربين سنوياً الى لبنان .

ج – المقررات السياسية والادارية

١٨ – الاعتراف بلبنانية المغتربين الذين نزحوا عن لبنان بعد آب ١٩٢٤ ما داموا لم يتنازلوا عن جنسيتهم ، والاهتمام الكلي بتسجيل وقوعات احوالهم الشخصية (زواج ولادة الخ .)

١٩ – الاعتراف بلبنانية المغتربين النازحين قبل آب ١٩٢٤ والذين اختاروا الجنسية اللبنانية مع الاعتراف بجميع الحقوق التي لهم .

٢٠ – اصدار قانون خاص يخول الذين لا يكونون قد اختاروا الجنسية اللبنانية قبل ٢٩ ايلول ١٩٥٦ حق الحصول على الجنسية اللبنانية بمجرد طلبهم اياها .

٢١ – اشراك المغتربين بالتمثيل النيابي وادخال التعديلات التي يتطلبها الاشراك هذا على قانون الانتخاب .

٢٢ – جعل مديرية المغتربين مديرية عامة وتخويلها اقصى ما يجب من سلطات ، وتجهيزها بكل ما تحتاج اليه في اضطلاعها باعبائها الكبيرة ، وجعلها المنفذ المسؤول لجميع هذه المقررات .

المهـــــــاجر

يا شاكياً الم النوى عن داره
كم يؤلم المشتاق بعد دياره
ربع حبيب نقه في صدره
وخياله في ملتقى افكاره
ابدا يراوده الحنين تروحه
اما يجد الوجـد من زواره
تتزود النسمات فوق سفوحه
وتذيبها قبلا على احجاره
وتهيم شأن النحل باكر روضه
وهوى يغب الطيب من ازهاره
الذكريات ويا لها من اعين
سهرانة في ليله ونهاره
يا للسفينة اقلعت بمودع
لم يدر أين يحط في تسياره
مغرورق العينين يرقب شاطئا
واراه ستر الدمع عن ابصاره
الشاطيء الزاهي الرمال وعبره
لبنان في جبروته ووقاره
طال السماء بذروة مخضرة
صعدت تشد جوارها لجواره
صور تلوح امامه وكأنما
ما يؤنس البحار في ابحاره
عن ربعه وسميره وعشيره
عن بيته وحبيبه وصغاره
فيعيد تذكار الملاعب والصبا
وتردد النجوى صدى تذكاره
واذا مطوقة شدت اصغى الى
خبر سني النفح من اخباره
فلعلها تروي حديث نسيمه
وحفيف ايكته وشدو هزاره
والجدول الرقراق في همساته
ما في حديث العود عن اوتاره
عن هجعة الرؤيا على اعشابه
وتهامس الصهباء في انهاره



الشاعر الكبير الاستاذ نجيب لبان
رئيس ديوان وزارة الانباء

وعن النعيم يرف في نسماته
وعن السماء تذوب في انواره
وعن المهى والنبع غب عشية
الحسن ملء جرارها وجراره
وعن اللآليء رصعت عنقوده
والطير لج الشوق في منقاره
فاذا بتلك الزقزات رسائل
عن سحر موطنه وعن اسحاره
لبنان قل للبحر قلبي باعد
فاذا تنكر للشراع فداره
ما في اصطخاب الموج مثل انينه
او في اوار النار مثل اواره
ما حيلة الافق السحيق بطائر
الحب رباه على قيثاره
فعلى المغاني خفقة من ريشه
وعلى الشفاه مراشف من ناره
ذاك الفتى النائي المقيم بوحشة
عن اهله وبوحشة عن جاره
هلا جسست فؤاده وسألت عن
اشجانه وسألت عن أسراره
وذكرت لبنان المشوق فشردت
عيناه سائلتين عن اقماره
وهو بنو شمل شتيت كادح
دأب الزمان وجد في استثماره
في البحر ملء شطوطه ، في الوعر ملء
وهاده ، في البر ملء قفاره
يتقحم الغمرات غير محاذر
ما يلتقيه من أذى ومكاره
ما ان تراه يجد في انجاده
حتى تراه يغور في اغواره
في كل فلس يجتنيه رواية
حمراء للراوين عن اسفاره
والشوق ينسف قلبه فيحس ما
في السلك من حرق وفي تياره

* * *

ذاك الغريب ويا لها من غربة
أبدا تحن الى حماه وداره
ايام كان ووجهه في فقره
ابهى من اللألاء في ديناره
ايام كان وكان ... يا اسطورة
غني نشيد المجد في اثاره
والتوفظ الذكرى البعيدة مثلما
يجثو اخو الايمان دون مزاره
وطن الجدود بشوقه وبشوقه
سكن الضريح على يدي حفاره
في ذمة البلد البعيد ودائع
سلخت كسلخ الطير عن اوكاره
هل من بعيد الى الجبين رواءه
ويشنف المغني بصوت كناره
فالصدر تواق الى افلاذه
والروض مشتاق الى ازهاره

صيف المغتربين
حيث يلتقي الجانح بالجانح والروح بالروح

يا أعز الاخوان .

ما اجمل الصيف يحمل مزهواً اسمكم : « صيف المغتربين » وما اجمله يجمعنا بكم ، على صعيد اخوة لم تقو الابعاد والأيام على النيل منها ، والايدي المفرقة تعبث بنا وبكم ، فكيف والعهد عهد جمع كلمة وتوحيد صفوف ؟

لقد اغتربتم ايها الاخوان عن وطنكم طلاب عيش أباة ، ولكن أرواحكم لم تفارق هذا الوطن ، فهي مقيمة فيه ما هزّتكم اليه ذكرى .

وبالذكريات تعانق احلامكم ، وتحملكم الينا اجنحة وأرواحاً ... ففي اوديتنا وسهولنا وربانا ، على ضفاف انهرنا وجداولنا وغدراننا ، بين اشجار غاباتنا ودوالي كرومنا وأزهار مروجنا ، من رفيف تلك الاجنحة والارواح ما يهيج حنيننا أبداً اليكم .

والاحلام تتحقق اليوم :

الروح تلتقي الروح ، والجوانح بصفق للجوانح ، والوطن يتهادى مزهواً ، بعهد سيادته وعزته ، بعهده الواعد الاغر ، وقد كتب بكم وبنا عنوان العزة ، وبكم وبنا يرفع الى النجم علم السيادة .

•

يا اطيب الاخوان .

شرفاً تبادلكم العاطفة ، وتوثق الصلات بكم ، وانتم من انتم في دنياكم ، في دنيا حضنتكم : تراث مجد طريف ، لبناء مجد تالد ، فكنتم للبناء عزيمة لا تني ، واقداماً لا يكبو ، واخلاصاً يحدث عنه ما لكم في دنياكم تلك من كرامات .

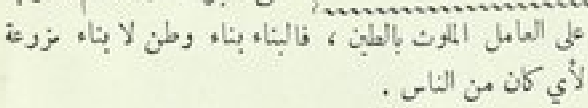
والفخر لوطنكم الأم .

وعيناً لو خير هذا الوطن ، بين كنوز العالم وبينكم ، لما كان له أن يختار سواكم ، وانتم له في سرائه وضرائه ، جنود طليعة معطاء ، لا بدل ترجو من بذل ، ولا ثواب على فضل ، الا ان يظل لبنانا لبنانها ، الوطن الذي كان ولا يزال وطن الفكر النيّر والانسانية السمحاء .

•

يا أبرّ الاخوان .

لكم العهد ولنا ، وليد اجيال نضال ، لا ندعي فيه ولا تدعون ، بعرق جباهنا وجباهكم سقينا تربته ، بدم قلوبنا وقلوبكم غسلنا عاره ، عاراً حملنا وصمته ضعفاً ، حتى اذا تمردت الروح ، تحول الضعف قوة ابان زحزح الجبال .



الاستاذ اميل عضيمي رئيس نادي المغتربين

وقوة نودّ ان نبقى ، ساعداً يشد ساعداً ، وتضحية تدعم تضحية ، وانتصاراً يعزز انتصاراً ، الى ان نرفع البناء ، مدماكاً فوق مدماك ، لا فخر لحجر فيه على حجر ، ولا للعلم الموجه على العامل الملوث بالطين ، فالبناء بناء وطن لا بناء مزرعة لأي كان من الناس .

لقد وضعنا التصميم ، وقررنا منهج العمل ، وتواضعنا على النضال ، الى آخر الطريق .

في سبيل لبنان .

في سبيل رسالته العريقة كمجده .

في سبيل اجياله الآتية .

العلم الذي رفعناه ، نسيجاً من نياط قلوبنا ، وألواناً من تضحياتنا وآمالنا ، مقيمين ومغتربين ، يدعونا الى السير ، لا تردد ولا توقف ولا خوف .

لبيك يا علمنا ... يا رمز لبنان ... يا مجد لبنان !

اميل عضيمي



نادي المغتربين

صلة بين الوطن ونصفه المغترب

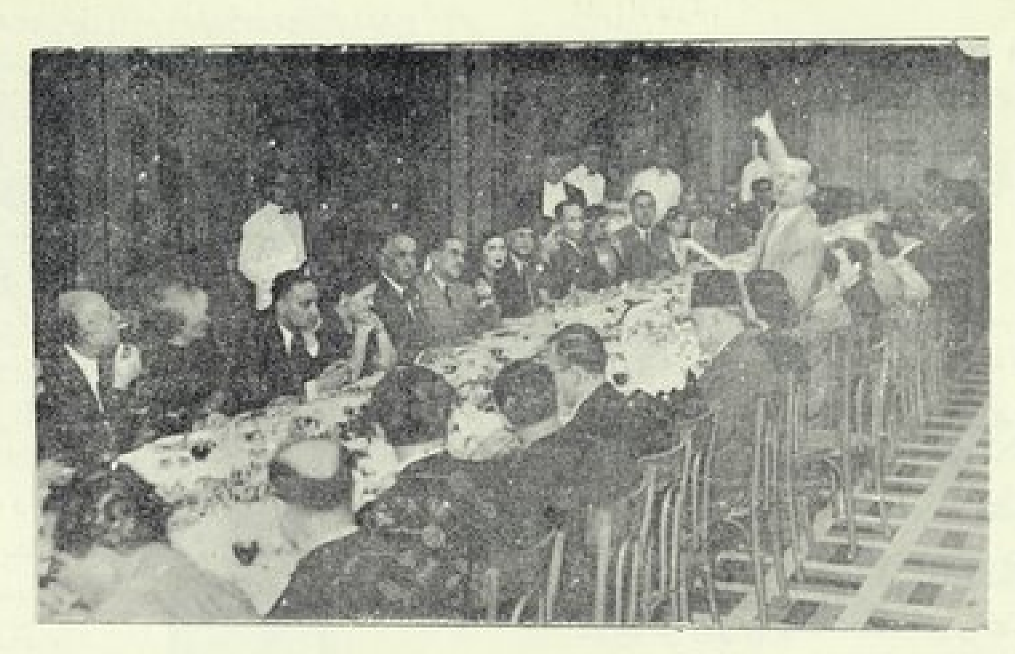
لبضع عشرة سنة خلت تنادى فريق من المغتربين العائدين، بدافع من غيرة وحافز من اريحية ووطنية ، الى تأسيس ناد يضم شتات المغتربين ، ويؤلف ما بينهم ويرفه عنهم ويهتم لشؤنهم ويعنى بامورهم ويدافع عن حقوقهم ، فيرجعون اليه عند الحاجة ويستعينون به فيما يعرض لهم من مشاكل ويتعرفون منه الى ما يجهلون من امور الوطن الام واحواله، فيكون الرابطة التي تشد الشطر المغترب الى الشطر المقيم ، والصلة التي تصل بين جناح هنا وجناح هناك ، بما ينشر من دعاوة ويسهل من دعوة ويمهد من سبيل ويقوم به من تذكير وتنبيه وتوجيه ويعد من دروس ، توطئة لتجنيد القوى اللبنانية في المغترب والوطن لخدمة لبنان في نهضته السياسية والثقافية والاقتصادية الجديدة المباركة .

يقينا منه ان للبنان في شطره المغترب دعامة متينة وثروات مادية ومعنوية لاينضب لها معين، وامكانات لواحسن الانتفاع بها لجعلت من هذا الجبل حصنا حصينا للديموقراطية الصحيحة ، وجنة من جنان الله على الارض جمالا وخصباً وعمراناً... واعتقاداً منهم انه ، اذا لم يساهم المغتربون في عمل بناء شامل بما توفر لهم من مال وخبرة وعرف عنهم من تعلق بلبنان وتجرد واخلاص في خدمته ، فلا امل في ترسيخ بنيان ونشر حضارة وتشييد عمران .

وقد آله حينذاك ان لايتحسس لبنان حكومة وشعبا بهذه القضايا الحيوية الهامة بالنسبة الى وضع لبنان السياسي والاقتصادي والثقافي ، والى طابعه الخاص المميز ، والى الدور الهام الذي يمكن ان يلعبه على مسرح السياسة الحضارية والسلمية في الشرق، جاهلاً او متجاهلاً حق المغترب اللبناني في وطن ابائه واجداده وارض احلامه وذكرياته ، غافلا او متغافلا عما يفيده من مكانة ابنائه المغتربين في دنيا المال والاعمال والعلم والادب والسياسة في رفع بنيانه وتدعيم اركانه، ناسياً او متناسيا ما كان



عمدة النادي من اليمين السادة : الياس القزي ، سعيد نجم ، نمر ابو خليل ، امين حتي ، اميل عضيمي ، ميشال الجميل ، كامل السعيدي ، نجيب داغر ، ميشال زكا .



من حفلات النادي لفريق من كرام المغتربين العائدين بحضور وزير الخارجية وبعض الشخصيات الرسمية

للمغترب من فضل في تعريف الشعوب اليه ورفع اسمه عالياً في مشارق الارض ومغاربها ، وفي الدفاع عنه عند كل خطر والاستجابة له في الكارثات والملمات ، فكان ابنه البار وجنديه الامين ورسوله الصادق الكريم .

فكان اجتماع ثم تلته اجتماعات انبثق منها نادي المهاجرين.

ولد نادي المهاجرين وعلى فمه رسالة ، وفي يمينه قضية ، وفي قلبه ايمان ... وعلى هدى تلك الرسالة وضوء هذه القضية ، وبوحي من ايمانه بعدالتها وقدسيتها ، نشط الى العمل وراح يبذل الجهود تلو الجهود ، والمساعي اثر المساعي ، في سبيل انجاحها باخلاص وثبات وعناد ... فكانت مواقفه الجريئة ، ومذكراته المسهبة ، ونشراته وتصريحاته في الصحف ، ومقابلاته لأولي الشأن ، واتصالاته بالمهاجرين في مهاجرهم ، واستقبالاته لهم يوم عودتهم الى ارض الوطن ، وتسهيل امورهم وحفلات التكريم للاعلام منهم ، ومساعدتهم في كل ما يعرض لهم من مصاعب ومتاعب .

ثم كانت مساهماته في اعداد مؤتمرات المغتربين وفي كل درس يمت بصلة الى الرسالة التي نذر نفسه لها .

جهود ومساع ان لم تؤت كل ثمارها ، نظراً للظروف والاحوال غير المؤاتية ، والسياسات الملتوية العقيمة ، ولامكانات النادي ، فقد كان لنا منها بعض الجنى .

فلولا نادي المهاجرين لم يتحسس لبنان بهذه القضية الوطنية الكبرى ، ولم تشغل هذا الحيز الواسع من سياسة لبنان حكومة وشعباً ، فتبنتها منظمات وأحزاب واهتمت لها الصحافة ، واضطرت الحكومة لان توليها الكثير من عنايتها واهتمامها .

ولولا تلك الجهود والمساعي لم يكن الاتفاق التركي اللبناني سنة ١٩٣٦ ، على تمديد مهلة اختيار الجنسية ، ولم يتقدم مائة وسبعة وستون الف مغترب لبناني لاختيارها ، ولم تبادر الحكومة الى ارسال وثائق لبنانية الى المهجر ولم تتعزز الصلات وتتمكن الروابط .

ثم مر الزمن ودارت الايام دورتها ، فاذا نحن امام تطور خطير في السياسة والاجتماع ، وتبدل في الذهنية والعادات يجعل الاستمرار في النادي على حالته الحاضرة مستحيلا ، ويعرضه للانحلال فتتعرض القضية الكبرى للفشل ورسالته السامية للضياع ، وفي ذلك ما فيه من مضيعة للآمال ومن خسارة على لبنان بل ومن خطر على الكيان .

فتنادى المخلصون الغير من مؤسسين ومشتركين لبحث العلة ودرء الخطر ، ودرس الوسائل الناجعة لتجديد النادي وتشييده على اسس متينة ودعائم قوية تكفل له الازدهار فالاستمرار فالبقاء ، وتضمن نجاحه في رسالته الوطنية وتجعل

منه منتدى رحبا يليق بالاسم الذي يحمل ويتلاءم وروح العصر وناديا من افخم النوادي في العاصمة اللبنانية يرفع اسم لبنان بشطريه ، وبيتا للمغترب يجتمع فيه الى اهل واخوان فيأنس من وحشة ويستريح من عناء ، ويجد ما يصبو اليه من متنع بريئة في جو عائلي تشيع فيه طمأنينة الفكر والقلب والروح ، ويساعد على التعارف الوثيق وتداول الابحاث وتبادل الاراء فينتج عن هذا كله فوائد كثيرة اجتماعية واقتصادية لهذا الوطن الصغير العريق الذي نحب والذي له علينا حق الاب على بنيه .

وتوصلا الى تحقيق هذه الاهداف السامية اتخذ المتنادون في اجتماعاتهم المتوالية وبعد الدرس العميق المقررات التالية ، متكلين على الله اولا ثم على ثقة اخوانهم المغتربين واريحيتهم ووطنيتهم ، ولهم منهم عليها في كل يوم دليل .

يبدل بنادي المهاجرين نادي المغتربين

١ – حدد رأسمال النادي بمائة الف دولار تقسم على الف سهم بمائة دولار .

٢ – لايقبل مساهما غير المغترب المتوفرة فيه الشروط المحددة والمقررة بقانون من اللجنة المختصة .

٣ – حدد عدد الاسهم المسموح ببيعها لشخص واحد بعشرة اسهم فقط .

٤ – لا يجوز بيع الاسهم من حاملها او هبتها الا لمغتربين تتوفر فيهم ذات الشروط المفروضة في القانون وبموافقة مجلس الادارة .

٥ – تدير النادي لجنتان .

أ) اللجنة المالية ويشترك في انتخابها المساهمون فقط باعتبار صوت واحد للسهم الواحد .

ب) اللجنة الادارية ويشترك في انتخابها جميع الاعضاء المشتركين .

٦ – يوزع نصف ارباح النادي على المساهمين نسبياً ، ويحتفظ بالنصف الباقي على سبيل الاحتياط ليصرف على الاعمال الانشائية ، وتحسين النادي بقرار من اللجنة المالية .

٧ – حدد بدل الاشتراك السنوي بمائة ليرة لبنانية .

٨ – يحسم خمسة وعشرون بالمائة من بدل الاشتراك لكل سهم بحيث يعفى من بدل الاشتراك كل من يحمل اربعة اسهم فصاعداً .

٩ – يحق لمجلس الادارة ان يمنح العضوية الشرفية لغير المغتربين متى رأى في ذلك مصلحة كبرى للنادي .

١٠ – تودع الاموال في بنك يتفق عليه .

١١ – يصار الى استئجار بناء لانشاء النادي وتأسيسه، في مكان مناسب ترتئيه اللجنة المختصة، وذلك فور تجمع عشرين الف دولار او ما يعادلها بالعملة اللبنانية .

١٢ – يخصص ما تبقى من عائدات الاسهم لشراء ارض وتشييد ناد عليها بحسب تصميم يوضع في حينه .



عقد النادي مؤتمراً صحفياً لمناسبة صيف المغتربين ويرى الرئيس في الصورة يلقي بيانه على الحاضرين

رسالة لبنان في التاريخ

لم يكن لبنان في تاريخه العريق سوى رسالة ، ورسالة يبقى على مر الاجيال ، يؤديها ابناؤه بصنفيهم المقيم والمغترب ، تمسكاً بتقاليد توارثوها جيلاً عن جيل ، منذ ان شقت سفنهم زبد الموج ، وانطلقت قوافلهم عبر الصحاري ، تحمل للعالم مبادىء حضارة خيرة ، وللانسانية شعاع فجر ما عتم ان غمر الكون ، وما يزال أثره يعمل في تطورات المجتمع الى اليوم .

> **هجر قوم من الساميين الجزيرة العربية ، وعرفوا بالكنعانيين في فلسطين ، ثم تقدموا الى السواحل فاستوطنوها وعرفوا فيما بعد بالفينيقيين .**
>
> **واخذ الفينيقيون عن سكان البلاد الاصليين فن الملاحة ، وبنوا مدناً اهمها جبيل وصيدون وصور ، وكل من هذه المدن دولة مستقلة ، ولكنها كانت تتحد في الغالب لصد المعتدين عليها .**
>
> **وكانت صيدون ام المدن الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ثم انتقلت « الامومة » الى صور ، وسادت هذه البحار الى قادس في اسبانية ، ومنها خرجت اليسار الى شمالي افريقية واسست مدينة قرطاجة .**

ما خبر جبيل وصور وصيدون ان تبيت آثاراً ، وان لا يبقى من قرطاجه سوى ذكرى ... أليس التاريخ آثاراً وذكريات ، والخلود لمن كتب التاريخ بما تعجز الايام عن محوه ، وبما لا تجرؤ الاقلام على الانتقاص من قدره ، مهما يحاول اربابها تمويه الحقائق والتآمر على الحق ؟

لقد كتبنا تاريخنا ، وتحدينا كل من كتب تاريخاً ، حتى الذين كتبوه بالسيف على أسوارنا ، وبالأزميل على صخورنا ، فنحن من دل الناس على دروب انسانيتهم ، وهم من انكروا الانسانية حتى على انفسهم ، مذ جعلوا السيف حكماً بينهم ، وشتان بين من حكم السيف ومن حكم الفكر والعقل .

●

ثلاثة آلاف سنة ، قبل التاريخ المسيحي ، مرت على سرجون الأول ، الغاسل حرابه في مياه البحر ، والقاطع اشجار الارز من جبال الفضة ، واذا لبنان بعده أغنية في فم الانبياء ، وحلم في مخيلة الغزاة ، واسطورة من اساطير اللاهوتيين .

فهذا سليمان يجمع الزنبق والسوسن ، من حقوله الغارقة في الطيب ، المضمخة بعبير الأرز ، ويضفرها اكاليل ، لحبيباته الجميلات ، من بنات اورشليم .

وذاك لتموزه الثالث يحدث مصر ، عن بساتينه الملأى بالثمار ، ومعاصره القائضة بالخمر ، ومحصولاته الوفيرة كالرمل .

وذلك نمرود ... تعشقه عشتروت ، الالهة الجميلة الساحرة ، ويعرض عن حبها ، لعلاقتها بتموز ، فتبعث ثوراً لقتله فيفتك جباراً بالثور .

من هنا مرت بابل ، واشور ، وكلدة ، ومصر .

وعلى صخور نهر الكلب ، نقشت تاريخ مرورها ، بشيء من زهوها العسكري ، ذاك الذي ما عتم — وقد تحولت الاغنية والحلم والاسطورة أمة — ان حنى الرأس الرفيع ، للرسالة التي راحت هذه الامة ، عبر الصحاري والبحار ، في مواكب عبقريتها البكر ، تؤديها للعالم .

●

بين السنة ٣٠٠٠ والسنة ٢٥٠٠ قبل التاريخ المسيحي ، ظهر الفينيقيون في لبنان ، كنعانيين قادمين من شواطىء جزيرة العرب ، فاحتلوا السواحل البحرية ، من مصب العاصي شمالاً الى جبل الكرمل جنوباً ، وبنوا عليها اقدم وامجد مدن التاريخ .

فصيدا الأم « صيدون » تحتل مكانتها ، ويتغنى الشعراء بثرواتها ، ولا سيما الثروة الصناعية ، فيطمع الغزاة بها ، ويتمنى الملوك ارجوانها ، فتتيه على العالم ، الى ان يدركها الهرم ، فتتنازل عن امجادها لصور .

وصور أم قرطاجه ... شاد بناؤوها هيكل سليمان ، ومد بحارتها رواق سلطانهم على اليم ، فغزت العالم بتجارتها ، وحاربت الجبابرة غزاتها ، من أمثال سنحريب واسرحدون ونبوخذنصر ورعمسيس والاسكندر ، طوال اجيال زاخرة بالبطولة ، ولم يتقدمها في طريق المجد سوى جبيل .

جبيل مدينة الآلهة ، لاعرش يعلو عرشها ، ومن حوله الكهان يحرقون البخور ، وفي هياكلها أسرار تتمثل ببعل وعشتروت

وتشق طريقها الى عمق الايان بلقرت واشمون وملوخ ... ويبرز بينها الاله الشاب تموز « ادونيس » له في كل عام موت وقيامة على قرع الطبول ونفخ المزامير ، والعالم الفينيقي يتهالك عبادة ، ومن عذاراه يقدم ضحايا .

●

بذّ الفينيقيون معاصريهم ذكاء وبعد همة ، فتركوا العالم يبني لمجده بالسيف ، وراحوا يبنون لمجدهم بالفكر والعمل ، فاكتشفوا اسرار الصناعات الثمينة ، واخترعوا حروف الهجاء المحسنة ، ووضعوا للتجارة قواعد لم تكن معروفة ، ونشروا أشرعة سفنهم وراحوا ينشرون مبادىء حضارتهم في العالم .

دانت لهم سواحل البحر المتوسط، واقاموا لهم مستعمرات أهمها قرطاجة ابنتهم البكر، وقادس في شبه الجزيرة الاسبانية ، وجزر قبرص وصقلية وسردينية والباليار ، واجتازوا مضيقي الدردنيل والبوسفور ، وراحوا عبر المحيط الاطلسي ، يدورون حول افريقية ، ويرفعون ألويتهم الظافرة ، حتى على ضفاف المسيسبي والامازون .

وظلوا طوال قرون تصهر شمس الصحراء اجسادهم ، وتلفح انواء البحار وجوههم السمر ، وهم يؤدون رسالتهم الخيرة ، حضارة تنقل الانسانية من الكهوف والمغاور ، الى المدن والقصور والمنازل، وتكسو عري أبنائها بالخز والارجوان ، وتبعث الفكر الميت في مواطن العبودية ، فينطلق على اجنحة الحرف متحرراً نحو النور والخلود .

●

فتحت مقدونيا عينيها ، على النور الساطع من الشرق ، فكان الاسكندر الاكبر ، في غلالة هذا النور ، سيفاً صارماً للفتح، واذا هو على صور، والمدينة الباسلة تقاوم ، حتى ارتخت عزائمها ، وهوت أسوارها العتية أمام عبقريته الحربية الجبارة .

وفينيقية بعدها في الرمق الاخير ، من حياتها المليئة بالعز، على ان الفاتح لم يجد نفسه في غنى عنها فاستعان بها على بناء دولته في الشرق ، فاذا هناك الدولة السلوقية .

وطلعت بعدها رومة ... فاذا لبنان يستعيد بعض قواه ، فتلمع عبقريته على تيجان القياصرة ، وتتجلى بأكمل معانيها في روعة الشرع الروماني ، وتعود فينيقية الى تأدية رسالتها ، في وعي جديد من حيويتها الفاعلة ، الى زمن الفتح العربي .

●

من الجزيرة العربية جاء الفينيقيون الساميون ، ومن هذه الجزيرة نفسها جاء العرب الساميون ايضاً .



ادونيس وعشتروت على صخور الفيته

فالفينيقية والعروبة شقيقتان .

وهنا تلتقيان على اواصرهما الوثقى .

ويتابع لبنان تأدية رسالته .

شراع معاوية شراعه الى الفتح ، ولغة الضاد لغته لفتح جديد، من على شطآنه خرجت الويته ، وعلى ضفاف النيل خفقت بفخر ، والى العالم الجديد انتهت ، حيث بنى الملتفون حولها اندلساً جديداً .

●

رسالة لبنان في التاريخ .

منذ خمسة آلاف سنة حملناها ، ونحملها بفخر الى اليوم ، تحت سماء بلادنا ، وفي مواطن اغترابنا .

●

يامرحباً بالنصف المغترب .

يامرحباً بالاخوان العائدين ، نثرناكم نجوماً في كل أفق، تقاليد منذ البدء لنا ، فكنتم سادة من لألأ المجد على مفرق التقاليد .

السبيل الذي سلكه أسلافكم سلكتم .

من صلب أولئك الأسلاف أنتم .

تحداكم ضعف أرضكم فتحديتم سعة العالم.

لمن تجمعون المال في دنيا اغترابكم الا لوطنكم ؟

لمن تحتلون صدارة المجتمعات الا لمجتمعكم ؟

لمن تتواثبون الى مراتب العز والكرامات الا لتأدية رسالتكم ؟

يامرحباً يامرحباً بالرسل الأمناء ... نصف امة يستقبل نصفه الآخر ، حتى اذا اجتمع الشمل ، وتعانق النصفان ، اكتمل كيان هذه الأمة .

اللبناني بين المادة والروح

ملخصة عن محاضرة عنوانها « لبنان في ساعة »
للمؤرخ العلامة فؤاد افرام البستاني

... ويرتقي اللبناني بالبناء ، وينشره في رحلاته ، حتى يعرف به في العصور القديمة ... فيشيد المدن المتقنة التخطيط ، المنيعة الاسوار ، المتناسبة التقاطيع ، الحافلة بالهياكل الشامخة ، والدارات الفخمة ، والصروح المتعددة الطبقات .

ويرتفع من تحسين العمل الى تجريد النظر ، فيدرك اصول الهندسة المعمارية ، ويصبح استاذ الفن البنائي ، اثبت القنون واعمقها روعة ، وأجزلها فائدة ، وأعمها انسانية .

... واذ رغب بول فاليري ، في القرن العشرين بعد المسيح ، ان يضع عنواناً لابحاثه في أصول الجمال ، لم يرَ الا اسم المهندس اللبناني اوبالينوس يتوج به كتابه النفس ، واوبالينوس صنو قدموس في حكاية نشر الفكر ، بادئاً بتعليم اليونان معامي العالم ، فالاول علمهم الابجدية أي عمارة العقل ، وعلمهم الثاني البناء أي عمارة البيت والهيكل .

●

وما القول في الصناعة اللبنانية ... المستخدمة النحاس منذ الالف الرابع ، المكتشفة الأرجوان والزجاج الشفاف ، المنوعة الاصباغ والزخارف في النسيج والخزف والعاج والخشب ، المقبلة على المعادن خرطاً وسبكا واذابة وتفريغاً وتطريقاً ونقشاً وتخريماً ، الراقية مدارج الفن في هيكل سليمان وفي حواضر أشور وفارس ، والمكتسحة اسواق الشرق حتى سمرقند والغرب حتى الهرقليات ؟

وصناعة السفن القديمة قدم لبنان ، منذ ان حفر المغامر الاول جزع الأرز يغالب به الامواج ، الى ان فرضت دقة الصناعة اسم « الجبيلية » على خير المراكب القديمة ، الى بناء الاساطيل على عهد معاوية ، وعلى عهد الصليبيين والمماليك .

والتجارة ... شاءها اللبنانيون واسعة الانتشار ، لاتحدها الا حد العالم ، فكان لهم ما أرادوا ... بل كثيراً ماوسعوا حدود العالم في سبيل تجارتهم ، فكانت تلك الاكتشافات في البر والبحر ، وتلك الرحلات حول الأرض المعروفة وغير المعروفة ، وتلك المستعمرات الزاهرة .

ولا بد من القول ان ارتياد حوض المتوسط ، وانشاء قرطاجة على يد صور ، غير محور العالم القديم ، فانحرف به من الشرق الادنى نحو الغرب ، وجعل من المملكة الجديدة قطب الحركة العالمية اذ ذاك .

كان لكل مدينة فينيقية ملك يعاونه مجلس شيوخ ، من اغنياء التجار وكبار رجال الدين ، وكان النظام والعدل سائدين ، والجيش مؤلف من المرتزقة لحصر الفينيقيين اهتمامهم بالتجارة .

وكان لكل مدينة اله خاص يدعى « البعل » اي السيد : لصيدون اشمون ، ولجبيل عشتروت ، ولصور ملقوت ... وكانت جبيل المدينة المقدسة ، وكانوا يأتونها من كل الانحاء للاحتفال بموت تموز في الخريف وبقيامته في الربيع .

واعتنى الفينيقيون بموتاهم ، واعتقدوا بخلود النفس ، واكتشفت بعض مقابرهم في عمريت .

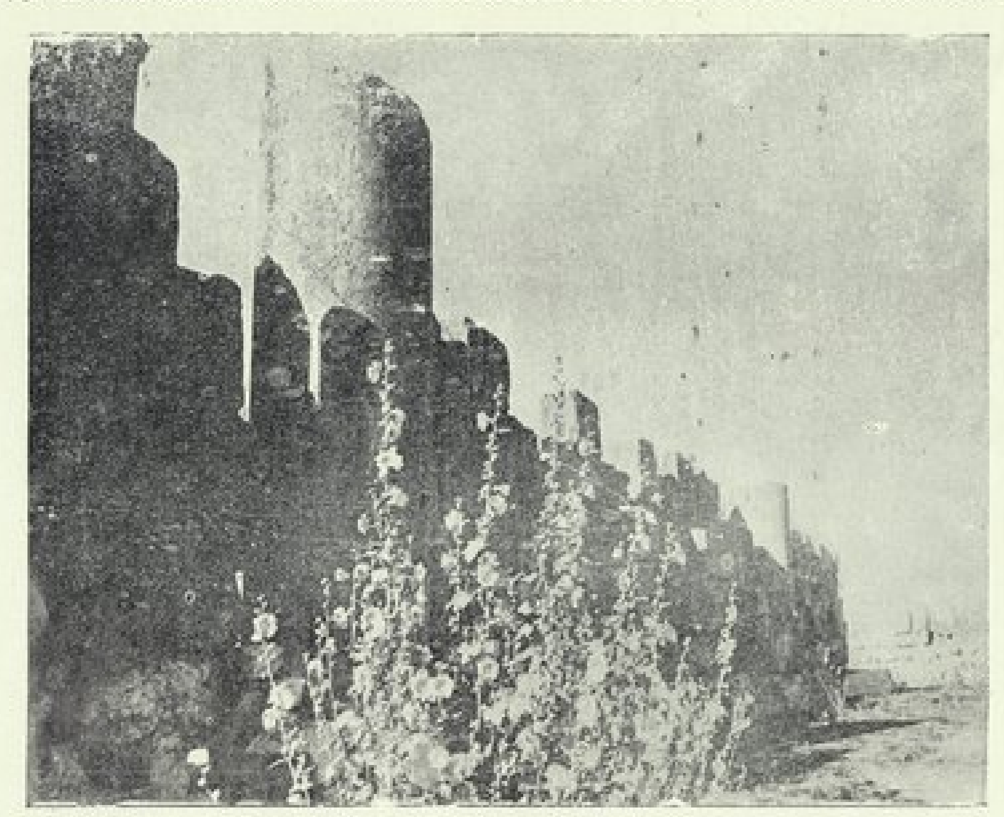
●

وكان من فضل الرحلات والاكتشافات المتقدم ذكرها ان وسعت حدود المسكونة ، فعرفت أفريقية بدورتها الكاملة ، ودرست شواطىء اسبانية ، ومهدت السبل الى انكلترة ، كما اجتيز البوسفور ، وعرف البحر الاسود .

وغدا حنون وزملاؤه في رأس رواد العالم ، وأمكن مارينوس الصوري في اواخر القرن الاول للمسيح ، ان يكتب قبل بطليموس أول جغرافية رصينة ، مستندة الى ما استخرجه من اقوال الرحالة ، والى ما ابتدعه من تعيين خطوط الطول والعرض ، ففرض ذكر اسمه كلما ذكر العلم الجغرافي .

●

والاهتمام الدائب بالحياة الحاضرة ، والسعي الكادح في توفير مرافقها على اتم مايكون ، لم يصرف جدودنا الاولين عن الحياة الاخرى ... فاذا بهم يخططون مدينة للاموات ، كما خططوا مدينة للاحياء ، وكما خصوا الانسان الحي بمنزل مستقل خصوا الميت كذلك بمنزل مفرد ، فانزلوه في اناء من خزف على شكل بيضة ، هي بيضة مبدأ الحياة ورمز الاله كيرز فتاح .



يا بعلبك فريدة الازمان وخلية المريخ والميزان
لولا الذي في النفس منه بقية لاعدت فيك عبادة الاوثان

والبيضة الخزفية هذه كانوا يصنعونها على مقياس الميت ، فيدخلونه من جنبها ويجلسونه مطوياً على شكل وضع الجنين في بطن أمه ، ثم يقفلون عليه ويضعون البيضة الى جنب مثيلاتها في المدفن المقدس ، رامزين الى الجمع بين المبدأ والمعاد ، مشيرين إلى ان الميت ثابت على الرجوع في حياة جديدة .

●

وتحمل البيوض المدفنية المتراكمة في متحفنا وفي مقبرة جبيل العدد العديد من الاشارات والطوابع والعلامات الرمزية والرسوم ... يمثل بعضها الحيوانات التي كانوا يصطادونها ، ويمثل غيرها مختلف الاشكال والصور التي كانت تؤثر في مخيلاتهم ، ويمثل الكثير منها – وهنا مايستوقف النظر – تعبيراً عن الفكرة بواسطة الاشارات .

هو الانسان الرامي الى امتداد شخصيته فوق الزمان والمكان، المندفع الى نشر تصوراته على الملأ الحاضر والمستقبل، الطامع ابداً الى تخليد فكره وتأبيد ذكره ، يظهر في لبنان منذ الألف الرابع قبل المسيح .

وها ان اشارات الانيوتيين الرمزية تصبح أماً للأبجدية الفينيقية التي ستكتسح العالم ... وان من يدرس ما في هذه الاشارات ، من اختزال وقوة رمز ، لايشك في ان عهد التجريد الابجدي لم يبق بعيداً في الزمان والمكان ، وان فجر الحرف المشرق سيبزغ قريباً في هذه البقعة لبنان .

الأبجدية الفينيقية وانتشارها

للأمير موريس شهاب
مدير الآثار في لبنان

يعالج الكاتب قضية اللغات القديمة ، فبعد ان يأتي على اسباب انكماش اللغة الصينية ضمن نطاق التقاليد ، ويعطف على تفود الخاصة في مصر الفراعنة بمعرفة القراءة والكتابة ، بالنظر الى صعوبة تعلم لغتهم الرمزية ، يعود الى بحث الأبجدية الفينيقية التي باتت فيما بعد ابجدية العالم باسره :

ان اداة التعبير تكون أحد العوامل الاساسية للنجاح ، أفلا يحسن بالمرء أن يرقي هذه الاداة الأساسية قبل كل شيء ؟

أيقبل الفينيقي الطموح ، بأية صورة من الصور ، ان يعمل في جو مغلق ، وهو الذي تعود العمل في الافاق الواسعة ؟

لذلك أقدم الفينيقي على ما لم يجرؤ عليه غيره ... أقدم كالكيمائي على تحليل نبرات الصوت ، فاتخذ منها أبسط مركباتها وانشأ رموزاً لهذه المركبات ، وحصرها في اثنتين وعشرين نبرة ، تعبر عن كل ما في اللغة من الرنات .

ومما يثبت حسن الطريقة الفينيقية هو ان العدد المذكور بقي على ما كان عليه منذ آلاف السنين ، فلم تر الانسانية حاجة الى زيادته ، ولم يضف اليه ، رغم مرور الازمان وتعدد لغات الشعوب التي اقتبست الابجدية الفينيقية ، سوى عدد قليل من الأحرف لايتجاوز اصابع اليد .

ومن البديهي أن الفينيقيين لم يصلوا الى هذه المرحلة دفعة واحدة ، فقد جرت محاولات عديدة للبحث عن أوفق الاشكال للتعبير عن الفكرة الاولى ، كما ان الحوادث السياسية التي مرت بفينيقية في عهد نشأة الأبجدية وترعرعها أثرت تأثيراً بعيداً في اشكال الحروف .

●

لو القينا نظرة على البلاد الفينيقية في الألف الثاني قبل الميلاد لرأيناها تتخبط بين نفوذ حضارتين وفقاً لمراكز مدنها المختلفة ، فبينما نرى النفوذ المصري وحضارته سائدين في الجنوب والوسط ، نرى الشمال على احتكاك بالحضارة البابلية .

لذلك نرى ان محاولات الشماليين لاستنباط الأحرف الأبجدية اتخذت اشكالا مسمارية تختلف تمام الاختلاف عن الرموز المسمارية البابلية ، وان تقربت منها من حيث شكلها المسماري ، ومن الادلة على ذلك أن نصوص ملاحم اوغاريت الشهيرة ، وهي ترتقي الى القرن الرابع عشر ، كتبت باحرف فينيقية مسمارية .

وأوغاريت – المعروفة اليوم برأس شمرا – تقع شمالي اللاذقية ، أي في المنطقة التي احتكت اجيالا بالحضارة البابلية ، وقد ادت الظروف السياسية الى خنق الكتابة الابجدية المسمارية في مهدها ، حيث طغت الغزوات الشمالية على اوغاريت ، واعملت الدمار فيها فأطفأت نور اختراعها في القرن الرابع عشر .

واما المدن المتوسطة والجنوبية ، كأرواد وجبيل وصيدا وصور ، فقد كانت اقرب الى الحضارة المصرية ، ومرتبطة بعلاقات عديدة بها منذ القرن الثلاثين قبل الميلاد ، فكان الفينيقي يترعرع وهو يشاهد رسوم الهيروغليفية المصرية ويقرأها ويكتب بها احياناً .

فالمحيط الذي عاش فيه فينيقيو تلك المنطقة جعلهم يلجأون الى الرسوم ، عند اقبالهم على الكتابة بأحرف لغتهم الفينيقية ، فاتخذوا شكل حرف الباء المعروف « بالبيت » عن المسكن المؤلف من دار وغرفة ، وشكل حرف الحاء او « الحيث » عن الحائط ، والجيم او « الجمل » عن حدبة الجمل ، والكاف عن الكف ، والسين عن السن ، الخ ...

ولكن الفينيقي السامي الميال الى الاختزال اختزل هذه الرسوم ، فظهرت باشكال اقرب الى الاشكال الهندسية منها الى الرسوم ، وقد ظهرت الكتابة على الصورة هذه قبل القرن الثامن عشر ، واقدم نص لدينا منها النص المنقوش على ناووس الملك احيرام ملك جبيل .

●

لهج اليونان الاقدمون بفضل الفينيقيين وانشدوا مآثرهم ... فمن بنات صيدون اللواتي تغنى الشاعر هوميروس بحذقهن صناعة الاقمشة المزركشة ، الى قدموس الذي اسس طيبة اليونانية وحمل الى اليونان الاحرف الابجدية ، تلك التي ستتيح لهم تدوين بنات افكارهم ونشرها في العالم .

ورغم الخصومة السياسية – وقد زخرت بها الايام فيما بعد بين الامتين المتزاحمتين – وبعد مرور اجيال عديدة على

اقتباس اليونان ابجدية الفينيقيين ، نرى ورثة أمجاد اثينة المفاخرين بتراثهم يحتفظون الى اليوم ، ليس فقط باشكال الحروف الفينيقية ، بل ايضاً بأسمائها : « ألفا ، بيتا ، جاما ، دلتا ، هيتا ، كايا » الخ ...

ويحتك اليونان بالبلاد الرومانية ، فتقتبس هذه الحضارة اليونانية ، وتأخذ عنها اشكال حروفها ، ثم تنتشر سلطة رومة على البلدان الغربية فالبلدان الشرقية ، فينتشر بانتشار سلطانها استعمال احرف الكتابة الرومانية اللاتينية ، وترث هذه الاحرف الشعوب البربرية التي هاجت البلاد الاوروبية والدولة الرومانية ، بين القرن الرابع والقرن السادس بعد الميلاد ، وتتمركز هذه الشعوب في أوربة وتتحضر وتؤلف الدول الكبرى ، وتصبح الابجدية الفينيقية الأصل أبجديتها واداة نشر مدنيتها .

وفي غضون القرن الخامس عشر ، يكتشف الاوروبيون البلاد الاميركية ويستوطنونها ، وينقلون اليها طرق كتابتهم... وهكذا نرى « ابجديتنا » تنتشر في الغرب ، وتحتفظ الى الآن بشكلها الأصلي ، ماعدا بعض تعديلات طفيفة .

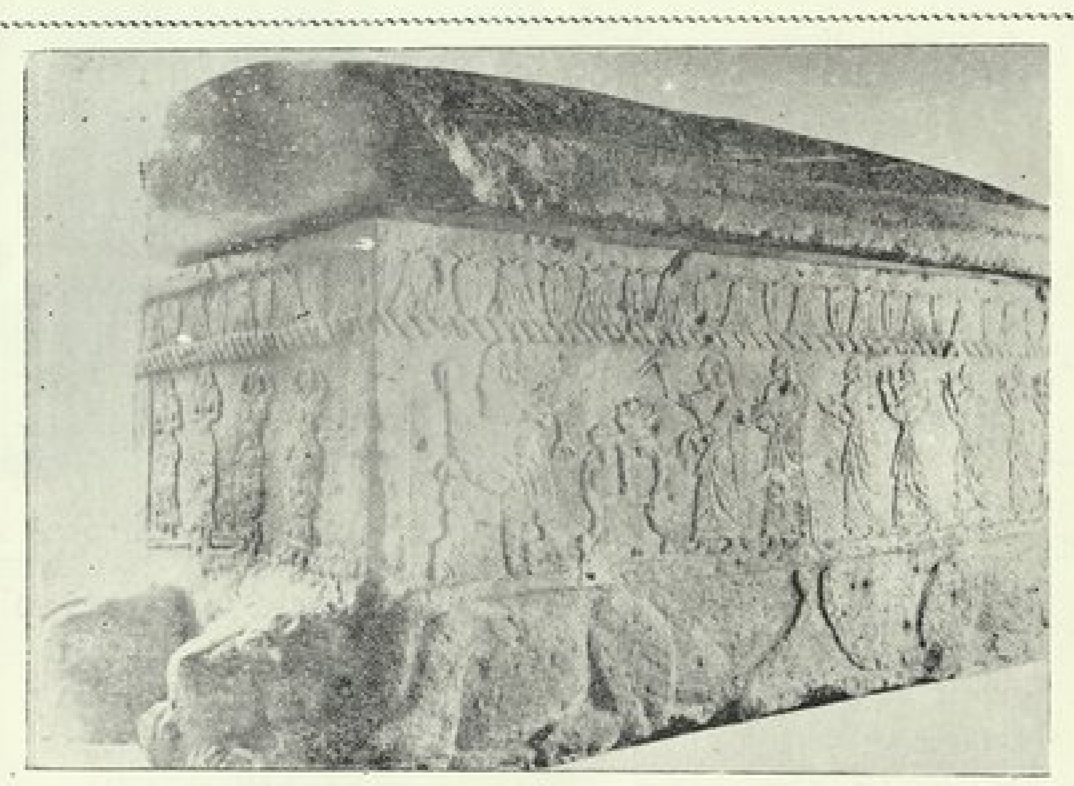
●

أما في الشرق ... فقد تتلمذ العبريون للفينيقيين ، واخذوا عنهم احرف ابجديتهم ... وبعد موت الملك سليمان انشقت الدولة العبرية الى مملكتين : مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل ... واتخذت اسرائيل عاصمة لها في جهات نابلس الحالية ، فاتصلت المملكة الجديدة اتصالا وثيقاً بالفينيقيين ، وسعى ملوكها للتحالف مع ملوك صور ومصاهرتهم ، فدخلت ايزابيل ابنة ايتوبعل ملك الصوريين في الحرم الملكي الاسرائيلي ، وتكتل الكنعانيون « الفينيقيون » حولها لنشر حضارتهم الكنعانية .

وحذا حزائيل – ملك دمشق الارامي – حذو بلاطي يهوذا واسرائيل ، وطلب من الفينيقيين ان يصنعوا له تختاً من العاج ، وقد وجد هذا التخت وعليه كتابة بالابجدية الفينيقية .

ودوّن ملك موآب مشى الواقعة مملكته عبر الاردن ، في القرن التاسع ، سيرة حروبه مع اخاب ملك اسرائيل ، فنقش هذه السيرة باحرف ابجدية فينيقية ، على نصب تذكاري اقامه لتخليد أعماله الحربية .

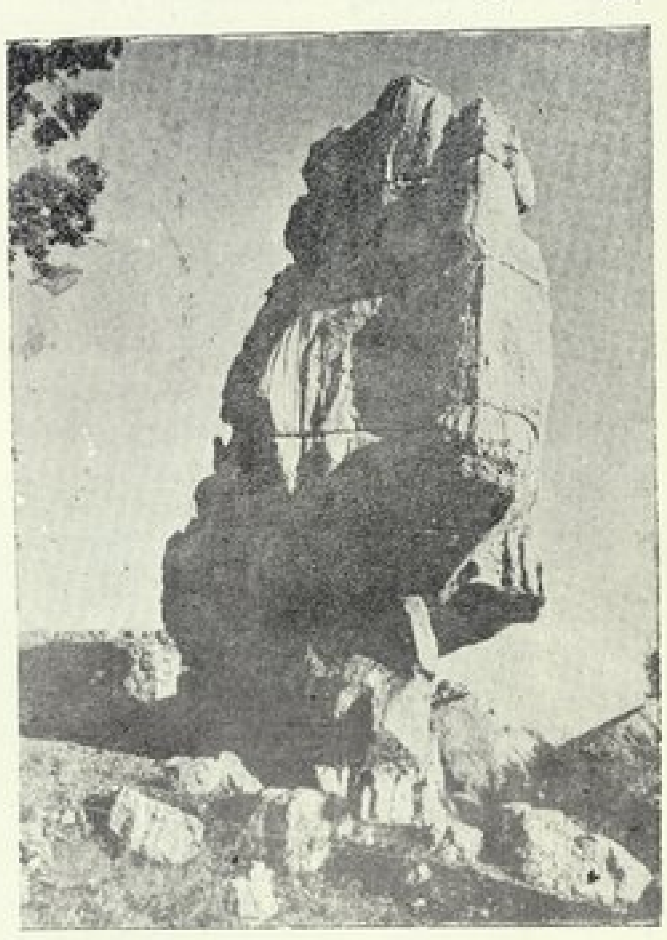
وما انتهى القرن حتى رأينا الابجدية تنتقل ، من الاوساط الآرامية النازلة في دمشق ، الى الأوساط الآرامية في شمالي سورية ، ووجدت نقوش ازدانت بكتابات باللغة الارامية ، وسطرت ايضاً بالاحرف الابجدية الفينيقية .



ناووس أحيرام وعليه أقدم كتابة بالابجدية الفينيقية

واقتبس النبطيون بدورهم أبجدية الفينيقيين . ووجدت هذه لابجدية في محيط سامي تميل عقليتــه الى الاختزال ... فلم تصل عن طريق النبطيين الى العرب ، الا بعـد أن باتت اختزالا لاختزال ، وباتت النقاط وحدها في كثير من الاحيان تميز عدداً من الاحرف عن بعضها .

وعندما تدفق العرب في المعمور ، نقلوا الابجدية التي ورثوها الى البلدان التي فتحوها ، فانتشرت في ارض الله الواسعـة ، من اطراف أفريقيـة الى اواسط آسية ، واحياناً الى جنوبي هذه القارة ، كبلاد جاوه وسواها من البلدان التي انتقلت اليها الحضارة العربية والاسلامية .



صخر مقروض من العصر الابوليدي في منطقة ميروبا

قدموس...

خلّ قدموس عندك مـا امس الا
ومض برق من ضجة الغدر نزر
ستحرون بعد جمجمة الأرض
فيرقى عـلى يدين الفكر
كل صرح برّد في ربى صيـدون
رمـل في شط صور طريح
تتركون البحـار خلف هواكم
لا تكلون او يكل الطموح
آخر الابيض الرحيب مقيـل
السفن من نزهـة لكم قراء
لا « البليـار » شافيات غليلا
لا ولا « غاليـا » الجميـلة داه
صفحة الأرض حدها « الهرقليات »
وتأبونه عـلى الأرض حدّا
فتفضون في المحيط دنى بكراً
لمـا رعشة العصور مردّا
تقحمون « الايبيرياء و « القسيتيريد »
والجزر عـبر بحر الشمال
وتغنون حول أفريقيا ملحمة
من حقيقـة وخيـال ...

*

منكم فارس الوغى يتحـدى
أمـة سوف تسترق العوالم
تزحف القارتان خلف جبـال
الألب في ركبه اذا سل صارم
رومة دمية له وربى ايطاليا
الخضر ملعب لحصانه
يكتب الفتح في مقدمة الفتح
ويبقى للدهر فضـلة شانـه
سفر حرب يقول يوم التنادي
« لبنان تلمـذ الفؤاد »
كل يوم مجحفل بعد هنيبعل
ومض من سيفه جوّاد » ...

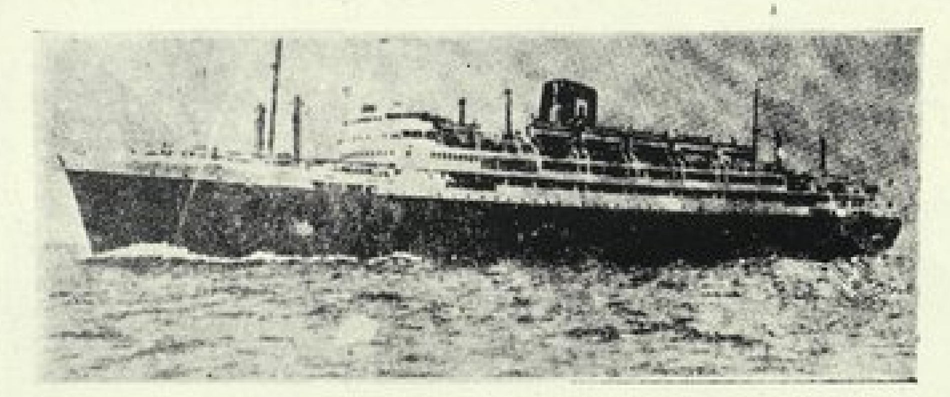
سعيد عقل

S.G.T.M.

الشركة العامة للسفريات البحرية

لزيارة لبنان والسفر الى البرازيل والارجنتين اعتمدوا الباخرتين الجارتين

بروفنس وبريطانيا



حيث الراحة والسرعة والخدمة الممتازة فضلا عن حسن الاستقبال والمعاملة في مرسيليا

من قبل وكيل الشركة العام

جورج حنا انطون

مكاتب ووكلاء الشركة في انحاء العالم

BAHIA .... Wildberger et Cie, 31, Rua Conselheiro Dantas, télégr. "Transports"
RIO-DE-JANEIRO Companhia Comercial E Maritima, 4 avenida Rio Branco , télégr. "Transports"
SANTOS .... Companhia Comercial E Maritima, 26 Praça da Républica , télégr." Dorey,
SAO-PAULO .... Companhia Cmmercial E Maritima, 136 Rua Barao de Campinas télégr. "Transports"
MONTEVIDÉO Navifrance, 350 Calle 25 de Mayo, télégr. "Navifrance"
BUENOS-AIRES Navifrance351, 359, Corrientes télégr. "Navifrance"

الوكلاء العامون في الشرق

شركة « نافيتور » للسفريات والسياحة والهجرة

طريق الشام – بيروت – تلغرافياً : « نافيتور – بيروت »

وفي سائر المدن اللبنانية والسورية

الوكلاء العامون في مرسيليا

جورج حنا انطون	الوكالة البحرية الافرنسية اللبنانية
اوتيل بومبار	شارع مارك كاتالا

الفينيقيون في أميركة

بعد ان توغل الفينيقيون بفتوحاتهم عبر البحر الأبيض المتوسط ، واستقروا في أفريقية الشمالية وجبل طارق، تطلعوا بطموحهم نحو الأفق البعيد... فما هنالك، وراء ذلك الأفق؟

وراح القائد الأكبر «ايل» بعمارة كبيرة الى العالم المجهول الذي تراءى له ... فاذا هو في أرض جديدة أطلق عليها اسم «براس ايل» أي ساحة الله ، وكان ذلك قبل كريستوف كولمبس وبدرو ألفارس كابرال بثلاثة آلاف سنة .

وأقام الفينيقيون في أميركة الجنوبية ،وبعثوا بالذهب الى وطنهم من بلاد «أرج» – ويؤكد المؤرخون أنها الأرجنتين المشتقة من أرج ابون – واستعمروا الاكوادور المترجمة عن لغتهم بمعنى «هذا جبل» .

وظهرت كتابات في بنسلفانيا بالولايات المتحدة تدل على ان جماعات من القرطاجيين الفينيقيي الأصل نزلوها منذ السنة ٣٧١ قبل المسيح ، وكان عددهم كبيراً بدليل انهم كانوا على صلة باكثر من ٧٠ أميراً وزعيما من أعيان وطنهم ، وأنهم ذكروا في كتاباتهم معظم مدن ذلك الوطن ، كقرطاجة وجبيل وصور وصيدون ، اضف اليها اسم الاله «تاند» الذي كان الفينيقيون يلجأون اليه بالصلوات والقرابين في اوقات الشدة .

ومن آثار الفينيقيين في البرازيل ثغر «توراه» أي صور في ماتو كروسو ، وثغر «رودو» أي ارواد، ومئات المناجم والافران لاستخراج «السالتر» في ولاية سيرا وباهيا وميناس ، و«السالتر» هو المادة التي استعملها المصريون ، بعد تحضيرها تحضيراً كيماوياً خاصاً، لتحنيط موتاهم.

وفي مناجم كوروجا – بين ولايتي باهيا وريو غرندي دو نورتي– مغاور وكتابات قديمة أكد العلامة الفرنسي رينان أنها فينيقية ، وترجم بعضها بما يلي :

«وصلت مع رفاقي وثلاثين عاملا بالسفن الأربع التي بقيت لنا بعد سفر بحري طويل محفوف بالمخاطر الى ميناء جديدة ، وبعد مسير بضعة ايام الى داخل الأراضي وصلنا الى هذا الجبل حيث وجدنا مناجم كثيرة ، وقد اشتغلنا هنا ست سنوات –أو عشراً– واستخرجنا من هذه المناجم ذهباً ونحاساً وأحجاراً كريمة كثيرة –التواقيع: ربان وريس أكلتون، معاون امين سر "نادا» .

وقد اثبت العالم الأثري لودفيك شوانهاغن – مدرس التاريخ واللغات في اكبر جامعات النمسة والمانية – بعد درس وتنقيب مدة خمسة عشر عاماً في ولايات مارانيون وبياوي ، أثبت ان الفينيقيين استعمروا البرازيل زمناً مديداً، وان الجبيليين أول من وصل اليها في نحو السنة ١١٠٠ قبل المسيح .

في العام ١٤٩٢ اكتشف كريستوف كولمبس اميركا، وما درى مؤرخو اكتشافه – او انهم دروا وتجاهلوا – ان ابناء شطآننا اكتشفوا تلك القارة قبله بآلاف السنين ، واستعمروها ٨٠٠ سنة ...

ثم التحق بهم أهالي صور ، واستعمروا جزيرة ماراجو في أعالي نهر الأمازون ، حيث عثر الباحثون على آجر قديم ، وعلى أبجدية من لغة «الاتروسكو» يؤكدان ذلك .

وفي عهد الملك داود عقد هذا مع حيرام ملك صور محالفة تقضي بان يقدم ملك اورشليم لحليفه الفينيقي ثلاثين الف عامل يذهبون الى مستعمراته البعيدة الغنية ، وتوجب على حيرام أن يقدم لحليفه في مقابل ذلك ذهباً وفضة وخشباً وطواويس ، وكان السفر الى المستعمرات المذكورة والعود منها يستغرق ثلاث سنوات ، بالنظر الى طول المسافة بينها وبين الشاطىء الفينيقي ، والى الوقت الذي يتطلبه استخراج الذهب والفضة واعدادهما للاستعمال .

وفي عهد الملك سليمان جددت المعاهدة ، واتفق الملكان المتعاهدان على استثمار معادن الأنهر الثلاثة : فروين وأفير وأبيرا من فروع نهر الامازون ، وبمعاونة ملك صور انشئت هناك بعض المستعمرات اليهودية ، وظلت السفن تحمل المستعمرين اليها حتى السنة ٩٥٠ ، وكان المصريون يشاركون الفريقين في استثمار تلك المواطن .

واهتدى الفينيقيون آنذاك الى «السالتر» - مادة التحنيط

التي مر ذكرها – فكانوا يستخرجونها ، ويبيعونها لحلفائهم بأثمان باهظة ، لأن الطب المصري كان يحسن استعمالها ويحتكره ويحتفظ بأسراره .

والمؤرخ اليوناني « سوتون » الذي درس في جامعات مصر في السنة ٧٠٠ قبل المسيح ، يقول في تاريخه نقلاً عن اساتذة الجامعات التي درس فيها :

« ان وراء الأوقيانوس الاتلنتيكي جزيرة كبيرة غنية بالذهب والفضة والحجارة الكريمة ، ولذلك هاجر اليها ألوف من سكان شواطيء البحر المتوسط ، وخشي القرطاجيون أن تخلو بلادهم من السكان بسبب استمرار الهجرة ، فأصدروا – في السنة ٨٠٠ قبل المسيح – شريعة تقضي بالموت على كل مهاجر».

والمدة التي قضاها الفينيقيون في تلك البلاد تقع بين السنة ١١٠٠ والسنة ٣٣٢ قبل المسيح ، حيث استطاع الاسكندر أن يستولي على صور ويقضي على كيانهم ، ويبدو ان الفاتح اليوناني هذا بعث قائده برتولوماو الى المستعمرات الفينيقية للاستيلاء عليها ، فوصل هذا القائد بعمارته الى الشواطيء الاميركية وغرقت عند مصب نهر « ريوبراتا» في السنة ٣٢٨ .



قلعة صيدا قبل فصلها من البحر في منتصف القرن الماضي

الفينيقيون في أفريقيـة

ضاق العالم القديم بالفينيقيين ، فراحوا يفتشون عن عوالم جديدة ، واذا وراء اعمدة هرقل محيط يمتد نحو المجهول ، ونحو المجهول هذا اطلقوا سفنهم ، فاذا بهم يكتشفون فيا اكتشفوا أميركا ، على نحو ما تقدم من وصفنا لذلك الاكتشاف .

وكانت افريقية في جملة الاقطار التي حملوا اليها مصنوعاتهم ، وعـادوا منها بالذهب والعاج والثروة ، وحاول احدهم — هانون القرطاجي — ان يدور حولها ، بعمارة مؤلفة من ٦٠ سفينة و ٣٠ الف رجل ، ولم يوفق في محاولته .

ويقول المؤرخ أريستو إن هانون المذكور كان يقصد بعمارته الضخمة الى انشاء مستعمرة على شواطىء افريقيـة الغربية ، ولكن طبيعة تلك البلاد وظروفاً خاصة حالت دون قصده ، ويقول المؤرخ هيرودوت بهذا الصدد :

« لا هانون ولا سواه تمكن من التعامل مبـاشرة مع الزنوج في شواطىء افريقية الغربية ، بـل كان التجار البيض يلقـون مراسي سفنهم في عرض البحر ، ثم يحملون بضائعهم ومصنوعاتهم عـلى زوارق الى البر ، حيث كانوا يضعونهـا اكوامـاً ويعودون الى السفن ، فكان الزنوج يخرجون من مخابئهم ، ويضعون بقرب كل كومة منهـا شيئاً من التبر او الذهب ويتوارون ، فيعود التجار بدورهم ويقـابلون بين البضاعة والثمن ، فـاذا توازنت القيمة حملوا الثمن وتركوا للزنوج البضاعة » .

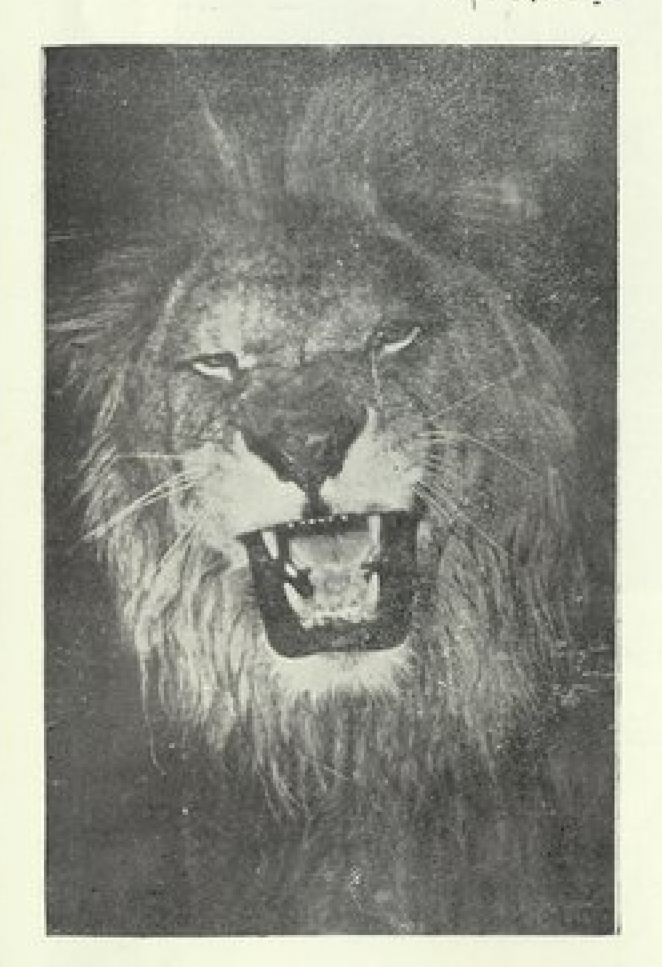
وتلك اغرب طريقة من طرق المعاملة تدل على مبلغ الثقة المتبادلة بين الطرفين المتعاملين ...

وكما كانت سفن القرطاجيـين الفينيقيين تجوب شواطىء افريقية ، كذلك كانت قوافلهم تتغلغل في صحاري هـذه القارة ومجاهلها ، حاملة الى الزنوج من ابنائها انواع الانسجة والملابس واللآلىء والنحاس ، وتعود بالذهب والعـاج وريش النعام والعبيد منهم .

ووجد الزنوج انفسهم أمـام شعب يمثل ارقى مدنيات العالم ، فكان عليهم ان يقتبسوا شيئاً من مبادىء هذه المدنية ، وأول ما اقتبسوا سرج الخيل وركوبها ، وصنـاعة الذهب والنحاس والبرونز والحديد ، وكذلك صنـاعة الزجاج التي علموها بدورهم سائر اخوانهم في انحاء القارة كافة .

ومـا يزال بعضهم الى اليوم يتزينون بأنواع من اللآلىء الزجاجية الملونة ، ويتباهون كثيراً بهـا كارث من اقـدم الازمنة ، ويؤكد الباحثون انها من صنع الفينيقيين انفسهم .

ومن روايات هانون الآنف الذكر انه شاهد على شواطىء خليج الغينه أناساً صغار الاجسام يغطيهم الشعر ولهم رؤوس ضخمة ... وقد قيل له إنهم يدعون بالغوريلا ... والوصف ينطبق على سكان أفريقية الاصليين ، الذين كانوا قبل الزنوج فيها ، وكان هؤلاء ذا لون خاص يميل الى الحمرة ، وقامـاتهم قصيرة لا يجاوز اطولها المتر والنصف ، ورؤوسهم وصدورهم كبيرة جداً بالنسبة الى افخاذهم التي كانت في غـاية القصر ، وكذلك آذانهم وازرعهم فقد كانت طويلة ومخيفة في آن واحد ، الخ ... ويطلق عليهم اسم النغريل او البغمة ، ولعل هانون اول من شاهدهم بعينه ، وقدم للتاريخ برهاناً حياً على حقيقة وجودهم .



اسد افريقي

لبنانيان في رومة

(بابينيانوس واوليبيانوس)

للاستاذ صلاح لبكي رئيس جمعية اهل القلم

عالمان مشترعان من لبنان ، اولهما من بيروت وثانيهما من صور ، تلألأ نجمين حول العرش الروماني وفاضت عبقريتهما شرائع رفعت مستوى الدولة الرومانية الى الأوج ... وكان عهد الدولة « السورية ـ اللبنانية » عهدهما في رومة ، وهما من حكم تلك الدولة الجبارة فعـلاً ، من وراء اباطرتها مواطنيهم : سبتيم سيفير ، وكركلا ، وهليوغبال ، واسكندر سيفير .

من هو بابينيانوس ، ومن هو اوليبانوس ؟

هما مشترعان ، ورجلا دولة ... فاذا ما درسا فقد وجب ان يدرسا من الناحيتين هاتين . على انه لولا تسهيل الاطلاع لما كان ينبغي ان نفرق عند واحدهما بين صفتي رجل الشرع ورجل الدولة. ان المشترع ورجل الدولة كانا دائماً واحداً ، وان رجل الدولة قد يخدم مآرب ومرامي رجل الشرع ، وان رجل الشرع قد اعان رجل الدولة وسدد خطاه واحكم عمله .

●

ولد بابينيانوس في بيروت ... واشغل وظيفة مدع عام في عهـد القيصر مرقس اورلوس ، ثم وظيفة مستشار لمحافظ ديوان الامبراطورية ، ثم وظيفة امين سر الاوامر الامبراطورية ، ثم وظيفة محافظ الديوان الامبراطوري ، وهي الاكبر .

فمحافظ الديوان الامبراطوري كان بالوقت نفسه قائد جيوش ايطالية وروميه ونائب الامبراطور ، تمتد سلطته الى اطراف الامبراطورية ، يرئس مجلس الامبراطور في غيابه ، ويفصل غالباً بالدعاوى التي تستأنف الى الامبراطور .

كان بابينيوس صديقاً لسبتيم سيفير يتمتع بثقتـه التامة ، ومستشاره حتى في المسائل العائلية الخاصة ، وهو ما يفسر انه اصطحبه الى بريطانيا ، لما جهز حملته عليهـا ، بحجة تأديب الكالدونيان البرابرة ... والواقع انه اراد بذلك ابعاد ولديه كركلا وجيتا ، وقد بدأ النفور يستحكم بينهما ، عن محيط رومة ومشورة اهل السوء فيها ، واحكام الروابط بينهما وبين الرجل العالم الفاضل المستشار المخلص بابينيانوس ، ولما حانت منية الامبراطور اوصى ولديه بالجد والاجتهاد ، واوصى بابينيانوس بهما .

ولكن فظاظة كركلا لم تصغ الى وصية الاب ولا الى نصيحة الصديق ، فاوقع باخيه جيتا الذي قتله الجند بامره وبين يدي امه جوليا دمنه ، وراح يعلن انه ما اقدم على هذا الاغتيال الا لينجو هو من المكيدة التي نصبت له ، ودافع امام مجلس الشيوخ عن نفسه ، وامر ببابينيانوس فقطع رأسه ، لانه رفض ان يبرر الجريمة امام المجلس ، متهما اياه بالانتصار لاخيه .

●

اما اوليبيانوس فصوري المولد ، وهو الذي يذكر ذلك في مؤلفـاته ... استدعاه بابينيانوس وعينه مستشاراً ، واذا هو في عهدي سبتيم سيفير وكركلا حافظ الاختام ، او امين سر المراسيم الامبراطورية .

ولكن هليوغبال أبعده عن الوظائف العامة ، ولم يعد اليها الا بفضل جوليا ماذا جدة الامبراطور ، كمعاون لمحافظي الديوان الامبراطوري فلافيانوس وكرستوس ، ثم حل محلهما

احتل بمبيوس الروماني لبنان ، وترك له استقلاله الداخلي ... ومنحت رومة بعض مدنها الرعوية الرومانية، فكان لسكانها حقوق الرومان القدماء ، وتقدم اللبنانيون في مراتب الدولة ، وجلس بعضهم على العرش الامبراطوري ، واشتهر من هذا البعض سبتموس واسكندر ساويروس ...

في محافظة الديوان ، واصبح كبير النفوذ عند الامبراطور اسكندر سيفير الذي كان يدعوه ابي ومستشاري .

وتشابه عهد اسكندر سيفير بغيره من العهود الامبراطورية التي سبقته والتي لحقته ، واتصف مثلها بكثرة المؤامرات والفتن ومحاولات اغتصاب العرش ، ولما وقع عصيان الحرس الامبراطوري في العام ٢٢٨ ، وانقلب الى حرب أهلية بين الحرس والشعب ، انتصر اولبيانوس للشعب فغدر به الحرس .

●

اشتهر بابينيانوس واولبيانوس بانهما مشترعان ، وشهرتهما بذلك هي التي اجتازت الاحقاب الينا :

الف بابينيانوس « الاسئلة » في ٣٧ كتاباً ، و « الاجوبة » في ١٩ كتاباً ، واشتهر بطريقته الدقيقة وبعمق تفكيره ووضوح عبارته .

اما اولبيانوس ـ وهو من تلاميذه ـ فقد الف اكثر منه ، ولكنه بقي على الرغم من سعة اطلاعه وعلمه اقل متانة واضعف شخصية ... فعدا كتبه عن الاجتهاد كالمؤلفات الستة في المخاصمات ، وعدا كتب التعليم كمؤلفيه في الدساتير اللذين اكتشفت اجزاء منها مكتوبة على لرق ١٨٣٥ ، الف شرحاً يقع في ٨١ كتاباً للائحة الدائمة ، وشرحاً آخر يقع في ٥١ كتاباً للحق المدني بسط فيه القواعد العامة لمجموع الحق الروماني .

●

ويظهر فضل مواطنينا على الشرائع العالمية ، وعلى تطور الشرع الروماني ، عندما نلتفت الى اثر الاستاذ والتلميذ ، في وضعهما اركان المبادىء التي ينبغي ان ينهض عليها الحق ، وفي تصنيفها علوم الشرائع ، ويعود اكبر الفضل في ذلك الى اولبيانوس .

فهو الذي علم ان اول مبادىء الشريعة هو ان يعيش الانسان عيشة شريفة موافقة للاخلاق ، وان لا يسيء الى الاخرين ، وان يعطي كل ذي حق حقه .

وهو الذي صنف الحقوق فقال بوجود الحق الطبيعي المثالي الكامل العدالة الذي كانت المجتمعات الاولى تخضع له والذي عدلته الشرائع البشرية فيما بعد ، وبوجود الحق العام الذي كان البشر يحتكمون اليه سواء اكان موافقاً للحق الطبيعي ام غير موافق له ، وبوجود الحق المدني الذي يطبق على شعب ما دون سائر الشعوب ، وهو الذي وضع التحديد المميز بين الحق العام والحق الخاص .

ويبدو اثر مواطنينا على تطور الشرائع الرومانية ام الشرائع العالمية واضحاً ، عندما نعلم ان كتبهما بقيت قروناً طويلة تدرس في جامعات الحقوق ، اوعندما نطلع على مدى اعتماد علماء الشرائع الذين كلفهما جوستينيانوس في القرن السادس جمع وتوحيد القوانين الرومانية على مؤلفاتهما .

●

كان بابينيانوس واولبيانوس مشترعين كبيرين ، وهي الصفة التي بقيت تستدعي الاحترام والاعجاب ، ولكن الرجلين عرفا في عصرهما بانهما رجلا دولة .

لقد اشغلا كما رأينا اكبر وظائف الامبراطورية ، فكل ما ينسب الى سلالة الاباطرة المعروفين بالسوريين ، من توجيه عام في الحكم ، يمكن ان ينسب اليهما على نطاق واسع .

وكان بابينيانوس اول من نادى بحرية الفرد ، وبالمساواة جوهرياً بين الناس ، واعلن اولبيانوس بدوره المبدأ القائل : « ان من اقدس وجبات الحكام ان يسهروا على ان لا يذهب الضعفاء ضحية ظلم الاقوياء والاغنياء والافتراءات » .

من آثار الرومان في لبنان

هذا النشاط اللبناني

لعب لبنان آخر ادواره العالمية على مسرح رومة ، حيث اجلس ابناءه على عرشين من عظمة المادة والفكر ، وانطوى بعدها على غار ماضيه ... فما اصغر الحوادث تمر الان ، ما اصغرها صراعاً ضيق الحلم والمدى ، بالنسبة الى صراعه الذي ملأ الدنيا ، عبر ما لا حد له من المسافات والسنين .

ومع ذلك فقد اضطرته الحوادث مراراً الى اثبات وجوده فكان له مع الروم البيزنطيين شأن، ومع العرب والمماليك بعدهم شأن ، ومع آل عثمان في النهاية شأن آخر .

لقد كتب لهذا البلد الصغير ان يكون ممراً للغزاة ، وجسراً يصل الشرق بالغرب وبالعكس ، فالراحة التي ينشدها بدؤها حافة القبر وحيويته التي لا ينضب معينها تباعده عن هذه الحافة ، وكأرزه الجبار يريد ان يبقى صامداً في مهب الريح ، ومثل هذا الصمود يتطلب تضحيات لم يبخل بها في فترة استراحته وهدوئه ، بانتظار اليوم الذي سيعود فيه الى مسرح التاريخ .

●

انقسمت الامبراطورية الرومانية في السنة ٣٩٥ قسمين او دولتين : الدولة الغربية وعاصمتها رومة ، والدولة الشرقية وعاصمتها بيزنطية .

ودخل لبنان في حكم الاخيرة منها ، وعاملته هذه غير ما تعود في العهد الروماني ، فابعدته عن الجندية ومناصبها ، وفرضت عليه الضرائب العديدة الباهظة ، وتدخلت في شؤونه الدينية .

وهذا ما جعله ينكمش على نفسه ، ويكتفي بالمحافظة على كيانه الداخلي ، لا يدع فرصة تفوت إلا يثبت فيها وجوده ، دفاعاً عن النفس حيناً ، وحفاظاً على التراث الذي تمسك به عبر أجيال عديدة .

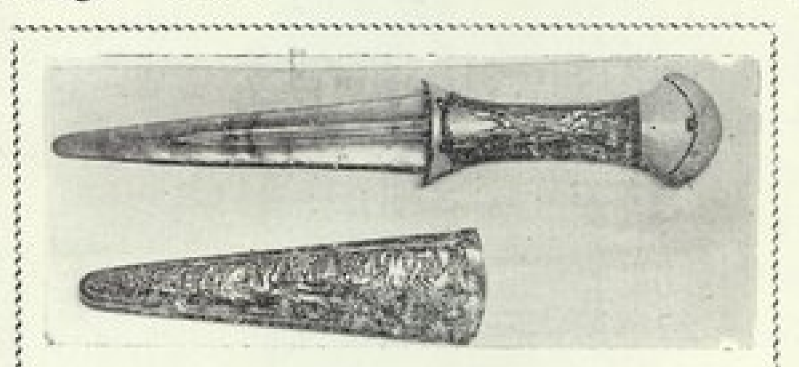
وفي العهد البيزنطي هدمت الزلازل بيروت ومدرستها التي كانت مقصد طلاب الحقوق من انحاء العالم كافة .

وبدا الوهن والضعف على الدولة البيزنطية ، لانصراف حكامها وقادتها الى اللهو والعبث والسفسطة ، والسياسة الخرقاء التي اتبعوها في ادارة شؤون ولاياتهم ، وبخاصة في سورية التي هاجمها العرب واستولوا عليها بعد الانتصار الباهر الذي احرزوه في معركة اليرموك الشهيرة .

●

استولى أبو عبيدة الجراح على البقاع ، وفتح يزيد بن أبي سفيان ومعاوية مدن الساحل، وانتهت ولاية الشام الى معاوية الذي ابتدأ يلعب دوره على مسرح السياسة العربية.

وتطلع العربي الداهية الى البحر ... وبنى اللبنانيون له اسطولا ضخماً. وقاد ربابنتهم وبحارتهم هذا الاسطول الى الفتح ، فدانت له قبرص ورودس ، وحطم اسطول الروم في معركة دعيت « بذات الصواري » لكثرة السفن التي خاضت من الجانبين غمارها .



خنجر ذهبي وغمده من اجل الاثار النفيسة

وبعث الروم المردة الى لبنان ، ولعب هؤلاء دورهم على مسرح الحوادث ، حتى اذا عادوا الى مواطنهم ، واستتب الامر للعرب في الشام والسواحل ، اعتصم اللبنانيون في جبالهم الوعرة ، محافظين على تقاليدهم واديانهم واستقلالهم الداخلي ، ولم يتعرض خلفاء دمشق الامويون لهم بسوء .

●

انتقلت الخلافة من الامويين الى العباسيين في بغداد، ولحق لبنان شيء من الاضطهاد في عهدهم فثار ، وغلب على أمره في معركة المنيطرة بالقرب من بعلبك .

وحصن العباسيون سواحل الشام والشواطيء اللبنانية ، وأسكنوا فيها بعض القبائل العربية، وفي مقدمتهم التنوخيون والارسلانيون ، ولعب هؤلاء دوراً على مسرح الاستقلال اللبناني .

وازدهرت في عهدهم صناعة اللبنانيين وتجارتهم، واستعاد العلم بعض دولته فنبغ كثيرون فيه، كالامام الاوزاعي وقسطا بن لوقا، وقد ترجم هذا في بغداد كثيراً من كتب العلماء القدماء الى العربية .

وعندما ضعفت الخلافة العباسية، قامت في انحاء البلاد دويلات، كالدولة الطولونية والإخشيدية في مصر والحمدانية في حلب .

فكان على لبنان ان يصمد في وجه التقلبات السياسية، وان يؤدي من دمه وراحته وعمرانه ثمن هذا الصمود، وبالرغم من توالي النكبات عليه فقد استطاع ان يحافظ الى حد ما على طابعه وشخصيته .

●

وكان عهد الصليبيين بمده وجزره ... ثم عهد المماليك بما ساده من فوضى ... فرافق اللبنانيون العهدين حرباً وسلاماً، وحافظوا ما استطاعوا على استقلالهم الذاتي، وقد اضطروا مراراً الى القتال للذود عن هذا الاستقلال .

ونبغ منهم في العهد الاخير علماء، كالمقريزي البعلبكي واضع « تاريخ المماليك » وصالح بن يحيى التنوخي مؤلف « تاريخ بيروت » وانتشرت اللغة العربية في هذا العهد انتشاراً واسعاً .

معاوية يركب البحر غازياً الى سفن لبنانية

وكان عهد الترك وفي لبنان التنوخيون والارسلانيون والمعنيون والشهابيون فحالف المعنيون والشهابيون السلطان سليم على المماليك، وعلت منزلة الأمير فخر الدين المعني عند الفاتح التركي، فعزز هذا مكانته، ومنحه لقب « سلطان البر » وقدمه هو وذريته على سائر الامراء اللبنانيين بعد ان امره على ولاية الشوف .

وهكذا نشأت الامارة المعنية، ووضع صاحبها فخر الدين الاول الحجر الاساسي في بناء الاستقلال، وجاء حفيده فخر الدين الثاني فيما بعد يرفع هذا البناء، ويدفع لبنان بكلتا يديه الى مسرح الحوادث والتاريخ .



فخر الدين المعني الثاني الكبير

باني صرح استقلالنا الحديث

مما لا ريب فيه ان استقلال لبنان الحالي ابتدأ في عهد فخر الدين ، فهذا الامير الكبير هو الذي وضع الحجر الاول في اساس هذا الاستقلال ، واذا رجعنا الى الاعمال التي قام بها لذلك وجدناها في الحقيقة اعمال رجل عرف كيف يبني لعظمته وعظمة بلاده في آن واحد .

لقد كان فخر الدين حدثاً - في الثانية عشرة من عمره - حين فتكت قوات العثمانيين الطاغية بابيه الامير قرقماز ، فحملته امه الى كسروان فراراً من نقمة الاعداء ، ونزلت به في حمى الشيخ ابو صقر الخازن الذي حماه وحدب عليه طوال ست سنوات حدب الوالد على ولده .

ودالت على ضفاف البوسفور دولة وقامت دولة ... وسنحت للامير فرصة فعاد الى امارته ، وقدم له اعيان البلاد وقوادها الموالون الطاعة ، واعترفت الاستانة بولايته التي انحصرت حينذاك بلبنان الجنوبي وبعض الولايات المجاورة.

واظهر فخر الدين على صغر سنه حنكة ودهاء ... ولم يمض الا القليل حتى اتسعت امارته ، وهابه حكام الولايات المتاخمة وقادتها وزعماؤها ، ولم يقف عند هذا الحد ... فهو ينظر الى ما هو ابعد من امارة تهددها عواصف السياسة المتقلبة ، واذا كانت موارد هذه الامارة الانسانية والاقتصادية لا تكفي لتحقيق حلمه ، فهناك ولايات قريبة يضمها الى امارته ويفيد من قواها وخيراتها العميمة للوصول الى غايته .

وكي يقوى على ذلك لا بد من تطهير البلاد من عناصر الشر والتفرقة ... وعمد الى التطهير بشدة ... ولم يقف اعماله على الحرب ، فالعمل السلمي مما يمهد له السبيل الى ما يريد ، فاذا به يجمع الشعب كتلة واحدة تحت رايته ، وينشر العدل والرخاء والطمأنينة في الربوع ، ويعزز الاقتصاد الوطني تعزيزاً لم تعرفه البلاد من قبل ، الامر الذي اضرم نار الحسد في صدور منافسيه فراحوا يوغرون صدر الاستانة عليه بما دبروا له من وشايات ومكائد .

●

وهبت العاصفة ... واضطر فخر الدين في السنة ١٦١٣ الى مغادرة البلاد ، بعد ان عقد مؤتمراً في الدامور ، وعرف ان معظم امرائه واعوانه وقادته يترددون في خوض غمرات حرب ضد الاستانة ، وقد اقبلت جيوشها تهدد البلاد بالويل والدمار ، فركب البحر بجماعة من اهل بيته ومقربيه الى البلاد الايطالية.

فخر الدين المعني الثاني الكبير

واقام ضيفاً على امير توسكانه خمس سنوات كان خلالها شعلة حنين الى وطنه وامارته ... ولم يضع الوقت هناك ، فراح يعقد الصلات والمحالفات مع اقرانه وفي مقدمتهم امير توسكانه مضيفه وقداسة البابا ، وكان يرمي من وراء محالفاته تلك الى زحزحة نير الاستانة عن لبنان وسورية والى ما هو أبعد من ذلك ايضاً .

وكان ابنه علي يضطلع باعباء الحكم باشراف عمه الامير يونس في غيابه ، ولم تنس البلاد في خلال ذلك اميرها ، فحنينها اليه لا يقل عن حنينه اليها ، وسعى المخلصون سعيهم لدى الباب العالي ، فعاد فخر الدين الى امارته عود الفاتح الظافر .

●

وتابع عمله ... وتوسع بالفتح ... وضاقت عاصمته دير القمر بعظمته فانتقل الى صيدا حيث ابتنى الدور والدواوين ، ورمم قلعة البحر الصليبية ، وسهل المرفأ ووسعه فبات قبلة السفن التجارية التي ارتاح اصحابها وربابنتها الى حسن سياسته وعدله .

وامتد رواق سلطانه الى حيث لم يحلم سواه ... فها هو يسير بجيشه الفاتح شرقاً فغرباً من شاطىء البحر الى قلب الصحراء، ثم ها هو يطلق لجواده العنان شمالا ويدق اوتاد طنبه على ابواب حلب، وينثني جنوباً فتخضع له البلاد الى غزة ... واذا هو من على قمة المجد الذي بلغه ينظر الى الاستانة فتمد له يدها مصافحة، وتنحه اللقب الذي منحته جده من قبل: « سلطان البر »... ولكن هذا اللقب دون الذي يتطلبه، فهو لن يغمد السيف قبل ان يبيت له وحده حق الاقرار على الولايات ومنح الالقاب.

ورأى « سلطان البر » ان تكون له عاصمة جديدة تليق بدولته الواسعة وبعنويات هذه الدولة، واذا هناك بيروت ... فانتقل اليها، وبنى فيها القلاع والابراج والقصور والملاعب والحدائق، وكان قصره في المكان المعروف الى الان بساحة البرج، وقد سميت هذه الساحة كذلك نسبة الى البرج الكشاف الذي شيده فيها، ووصف الكثيرون من السياح القصر بكونه آية في الفخامة، تحيط به الحدائق الغناء وتتدفق في حدائقه المياه الغزيرة.

واتخذ الحساد والدساسون من ذلك حجة للقيام بحملات جديدة ضده ... فهو في دسهم يتحدى السلطان، حتى في جعل عاصمته تفوق عاصمة السلطنة ابهة، والسفراء والموفدون الذين يستقبلهم يمهدون له السبيل الى توسيع فتوحاته، وحلمه من هذه الفتوحات الوصول الى ضفاف البوسفور والجلوس على عرش السلطان.

وكان فخر الدين يهزأ بما يأتيه من انباء ذلك، فهو الان لا يتودد ولا يسترضي والقوة الجبارة التي جمعها حوله من عناصر داخلية وخارجية تضطر الاستانة نفسها الى بمالئته واسترضائه.. واستعان بحلفائه الاوروبيين على تقوية جهازه الحربي، فبنى قلاعاً ورمم قلاعاً، ووزع الجيش حاميات مجهزة باحدث آلات القتال في كل مكان، وبذل المال دون حساب في هذا السبيل، حتى قيل ان جيشه بلغ اربعين الف مقاتل، وان موازنته التي بلغت مليون ذهب كان ينفق معظمها على هذا الجيش ومتطلباته.

●

ولكن القدر كان هناك ... والاستانة كانت في جانب القدر تتربص به الدوائر ... واغتنمت فرصة انشغال حلفائه بحروبهم الخاصة من جهة، وبالطاعون الذي دهم بلادهم من جهة ثانية، ففاجأته بحرب ضارية لا هوادة فيها.

وفوجىء فخر الدين بذلك ... وبانضمام الخوارج من ابناء وطنه انفسهم الى الاعداء ... فاذا بهؤلاء يطوقون امارته براً وبحراً وحلفاؤه لاهون عنه بانفسهم، وجيوشه تتراجع من مكان الى مكان ومعظمها من المرتزقة التي لا تهتم لشيء اهتمامها بالمال، وولده علي قائد هذه الجيوش العام يخر صريعاً في ساحة الشرف، فبات على يقين من ان غصن النصر قد التوى نهائياً بين يديه.


الاميرة خاصكيه زوجة الامير الرابعة

ولم يبق امامه سوى الاستسلام .. فاستسلم ... ووضع نفسه وجميع افراد اسرته في يد الاستانة، ولم يرج من هذه رحمة ولا رفقاً، فهو قد ادى رسالته لوطنه وبات للتاريخ ان يقدر هذه الرسالة.

وابقت الاستانة عليه الى حين، وكانت تقصد من ذلك الى تحذير اعوانه وانصاره من القيام بأية حركة انتقامية، فحياته وحياة من معه رهينة لديها، وهي قادرة على قتلهم لدى اول بادرة.

وفعلت اخيراً ... فعلته رداً على ضربة كالها الامير ملحم ابن اخيه وخلفه لجيش عاملها في الشام، والامير ملحم كان قد اختبأ في لبنان عندما استسلم عمه، وجلس على اريكة الامارة بارادة الشعب الذي ابى ان يكون له حاكم سواه، واراد ان يسير على خطوات عمه في الحكم والتحرر فاصطدم بالاستانة وعمالها، واذ رأته هذه ماضياً في سياسته التحررية ارادت الانتقام منه، فأمرت بقتل الامير فخر الدين ومعه، باستثناء ولده الاصغر حسين الذي حماه الصدر الاعظم وتبناه، فقتلوا جميعاً في الثالث عشر من نيسان ١٦٣٥.

وهكذا انتهت حياة فخر الدين، الرجل الذي كان ولا يزال رمزاً للحرية والاستقلال ... واليوم، اذ نذكر الاعمال التي قام بها لتحرير وطنه، لا يسعنا الا الانحناء لذكراه الخالدة، ودعوة كل مسؤول منا الى السير على خطاه والنسج على منواله.

قصر بيت الدين

آخر معاقل الامارة اللبنانية

ولد الامير الشهابي الكبير في غزير السنة ١٨٦٧ ، وتوفي والده وهو طفل رضيع ، ونشأ فقيراً في برج البراجنة ، حيث انتقلت والدته ، بعد ان تزوجت ثانية ، من احد الاقرباء الامراء .

ولما اصبح في الثالثة عشرة من عمره ، راح الى دير القمر ، واعجب به الامير يوسف الحاكم ، فعهد اليه بادارة املاكه ، وتزوج في خلال ذلك احدى الاميرات الغنيات ، هي الست شمس ارملة امير شهابي من امراء حاصبيا ، فبات من الاغنياء .

وبعثه الامير يوسف ذات يوم الى عكاء ، بمهمة لدى حاكمها الجزار ، وكان هذا ناقماً على الامير يوسف ، فولاه على الجبل بدلا منه .

واظهر بشير من الحنكة والدهاء والبطش في سياسته وحكمه ما اكسبه انصاراً واعداء ، فكان عليه ان يداري هؤلاء حيناً ويبطش بهم احياناً طوال ايام حكمه ، فما كان الامر يستتب له يوماً ، ويخيل اليه انه بات في مأمن من عاديات الزمن ، حتى يكفهر جوه وتعيده الحوادث مرغماً الى ساح النضال .

●

وكما كان الامير فخر الدين يحلم بالاستقلال الناجز التام عن الاستانة ، هكذا كان الامير الشهابي لا يغمض له جفن الا على هـذا الحلم ، حتى اذا قضى الجزار - وكان هذا العقبة الاولى في طريقه - تنفس الصعداء ، وراح يعمل لنشر الامن في البلاد ، والقضاء على كل ظاهرة تهدد بفتنة ، ولما اطمأن الى ذلك ، انصرف الى تقوية جيشه ، وتعزيز قلاعه وحصونه ووسائل دفاعه .

ووالاه الزمن الى السنة ١٨٢٢ ، حيث اضطر الى مغادرة الحكم واللجوء الى مصر ، فراراً من غضب السلطان محمود ووزيره درويش باشا والي عكا ، واستجار بمحمد علي باشا الذي استقبله بكل حفاوة ، وحالفه سراً على محاربة العثمانيين .

الامير بشير الشهابي الثاني الكبير

وبسعي محمد علي باشا عاد الامير بشير الى لبنان ، وانتقم من اعدائه ومناوئيه انتقاماً القى الرعب في قلوب الناس ، وضاعف الجهد في تقوية جيشه وتعزيز معداته الحربية ، بانتظار اليوم الذي تواعد وعزيز مصر عليه ، وهو اليوم الذي كان يحلم فيه بتحطيم نير الاستانة ، واعلان استقلال امارته دون قيد ولا شرط .

●

وكان الامير بشير جباراً لا يلين ، وذا هيبة تفرض على الناس احترامه ، وتلقي الرعب في قلب من يضمر له الشر ، وله ايمان وطيد بقوته ومناعة جبله ، هـذا الجبل الذي « يعجز الاسطول الانكليزي مهما يكن قويا عن تسلق صخوره » .

وكان عادلا لا يهاود في حق ، ويأبى ان يرى في امارته قويا يعتدي على ضعيف ، وكثيراً ما اضطر الى استعمال الشدة في معاقبة من يخون ، ومن يعتدي على اموال الغير واعراضهم وارواحهم ، ولم يتردد في البطش باقرب الناس اليه ، حين بدا له انهم يعملون في الخفاء لعرقلة مساعيه ، فهابه الناس الى حد ان بات عهده مضرب المثل بما توافر فيه من طمأنينة وهناءة وهدوء .

وكان عمرانياً مصلحاً ... وميالا الى العلم والادب ... ففي قصره شعراء وادباء ، وفي البلاد مدارس يشجع اربابها ، وفي مصر بعثات تتلقى العلم على نفقته ، وتبلغ عظمته بهذا حداً يرفعه الى مستوى الملوك ، فكان عليه ان يبني لهذه العظمة ما يحدث الاجيال الاتية عنها ، فاذا هناك قصر بيت الدين .

●

وجاء اليوم المنتظر ... وزحف الجيش المصري على « بر الشام » وانضم اليه الجيش اللبناني امام اسوار عكاء ، وراح

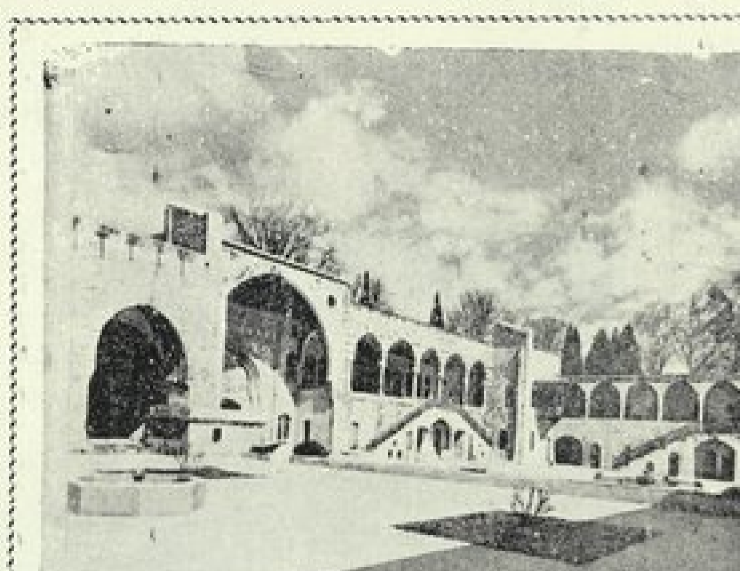
الجيشان من هناك يحطهان قوى دفاع السلطنة ، ويستوليان على المعاقل والحصون والمدن تباعاً ، وبعد انتصارات باهرة سجلاها في حمص وبيلان ، سحقا جيوش الصدر الاعظم في قونيه ، ولم يبق امامها سوى وثبة للاستيلاء على الاستانة .

ولكن الدول الغربية،وقد راعها ما رأت من انتصارات الحليفين الجبارين ، وباتت تخشى على مصالحها في دولة « الرجل المريض » تدخلت في الأمر ، وعقدت مؤتمراً في كوتاهية قررت فيه منح محمد علي سورية وكيليكية ، ودعته الى الانسحاب من الاراضي التركية لقاء هذه المنحة ، فلم ير بداً من تلبية الدعوة .

وتعاون ابراهيم باشا قائد المصريين ، ونائب والده في حكم الايالات الجديدة ، مع الامير بشير على تنظيم البلاد، واستتب لهما الامر ... الى ان ابدل ابراهيم سياسته ، فراح يثقل الناس بالضرائب،ويجند الشبان للاعمال الشاقة بابخس الاجور ، ويجمع السلاح ممن تعودوا حمله للذود عن حياضهم وارواحهم ، فكان ذلك من اسباب النقمة الاولى عليه ، ومن دواعي الثورة التي اشتعلت نيرانها في كل مكان ، وراحت الاستانة والدول الغربية تغذيها بالمال والسلاح والرجال ، الى ان لم يبق للمصريين اي امل بالتغلب على الثائرين ، فانسحبوا مكرهين الى بلادهم .

●

واضطر الامير بعد انسحاب حلفائه الى التسليم ، واختار جزيرة مالطة اولا لسكناه - ولهذا لقب بالمالطي - ثم انتقل منها الى الاستانة ، وعاش فيها محترماً مكرماً الى السنة ١٨٥٠ حيث قضى نحبه .



قصر بيت الدين

وفي العام ١٩٤٧ نقلت الحكومة اللبنانية رفاته الى وطنه ، واودعته ضريح زوجته الاولى الست شمس ، في ظلال حديقة قصر بيت الدين ، القصر الذي بناه معقلا للاستقلال ، وابى ان يعود اليه الا وعلم الارز يرفرف فوقه ، رمزاً للحرية التامة والسيادة المطلقة ، وقرت بهذا عيناه ...



نهاية استقلال

(الحروب الأهلية ١٨٤٠-١٨٦٠)

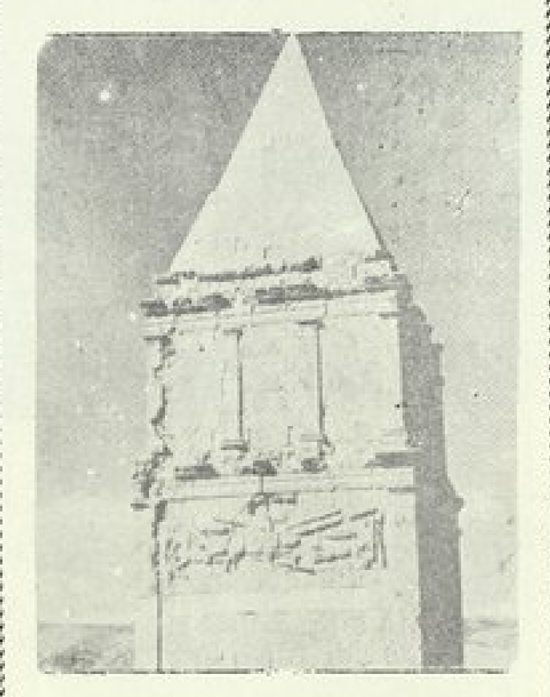
لقد بدأ استقلال لبنان الحديث بدولة بني معن ، وظهرت خطوطه الرئيسية واضحة في عهد كبيرهم فخر الدين الثاني ، وظلت هذه الخطوط تتأرجح بين الواقع والشك الى عهد الامير بشير الثاني الكبير ، ففي اواخر عهد هذا الامير تحالفت الحوادث والسياسة الدولية على لبنان ، فقضت على استقلاله بمؤامرة مثلت على مسرحه افجع المآسي .

ذلك ان طموح اللبنانيين الى تحررهم التام قض على اسياد الاستانة مضجعهم ، وباتوا يخشون ان يتمثل الآخرون من ابناء الدولة العلية بهم ، فقر رأيهم على خنق ذلك الطموح في المهد ، ولم يجدوا سبيلاً لذلك الا بالتفرقة الطائفية ، فراحوا يوقظون الفتن ويغذونها بما ادى الى نشوب سلسلة من الحروب الاهلية .

لقد وقعت الحرب الاهلية الاولى في السنة ١٨٤١ ، ففتحت الباب على مصراعيه لتدخل الاستانة من جهة ، ولاغتنام الدول الطامعة « بتركة » الرجل المريض الفرصة للتدخل من جهة ثانية ، فغاص لبنان من جراء ذلك في لجة لم يكن له ان يخرج منها بسهولة ، وبعد مفاوضات ومساومات عديدة بين سفراء الدول والباب العالي ، انتهت الازمة بقسمة البلاد قائمقاميتين درزية ومسيحية .

وكانت الحرب الاهلية الثانية في السنة ١٨٤٥ ، فالاستانة تريد القضاء التام على الحكم الوطني ، والدول الاجنبية تحاول الافادة من الظروف ... فكان من نتائج هذه الحرب الابقاء على نظام القائمقاميتين ، مع تضييق صلاحيات الحكم الوطني ، واعادة الحكم والبت في الامور الرئيسية الى والي صيدا .

وكانت بعدها الفتنة الكبرى وحروب ١٨٥٨ — ١٨٦٠ ، فاذا بالبلاد تجتاز ازمة من اشد ازماتها التاريخية خطراً ... وظهر تحيز الاتراك ... وتدخلت الدول الاوروبية تدخلاً مباشراً ، وجردت فرنسا حملتها الشهيرة بالاتفاق مع روسيا وبروسيا ، فكانت النتيجة نظام السنة ١٨٦١ ، النظام الذي ان دل على شيء فعلى تضارب الآراء والنظريات في حل الازمة المشؤومة ، والرغبة في انهاء المسألة بما يوفق بين مصالح الجميع ، ويحول دون تحكيم السلاح في الامر .



هرم أثري فينيقي جبيل

والنظام المذكور المعدل في السنة ١٨٦٤ جعل لبنان متصرفية يحكمها مسيحي من غير اللبنانيين ، ويعاون الحاكم مجلس ادارة منتخب ، ويحفظ الامن درك وطني . . . وثبت الحدود بعد تضييقها ، بسلخ بيروت والبقاع ووادي التيم ، وجعل الطائفية قاعدة للحكم ولتوزيع المناصب .

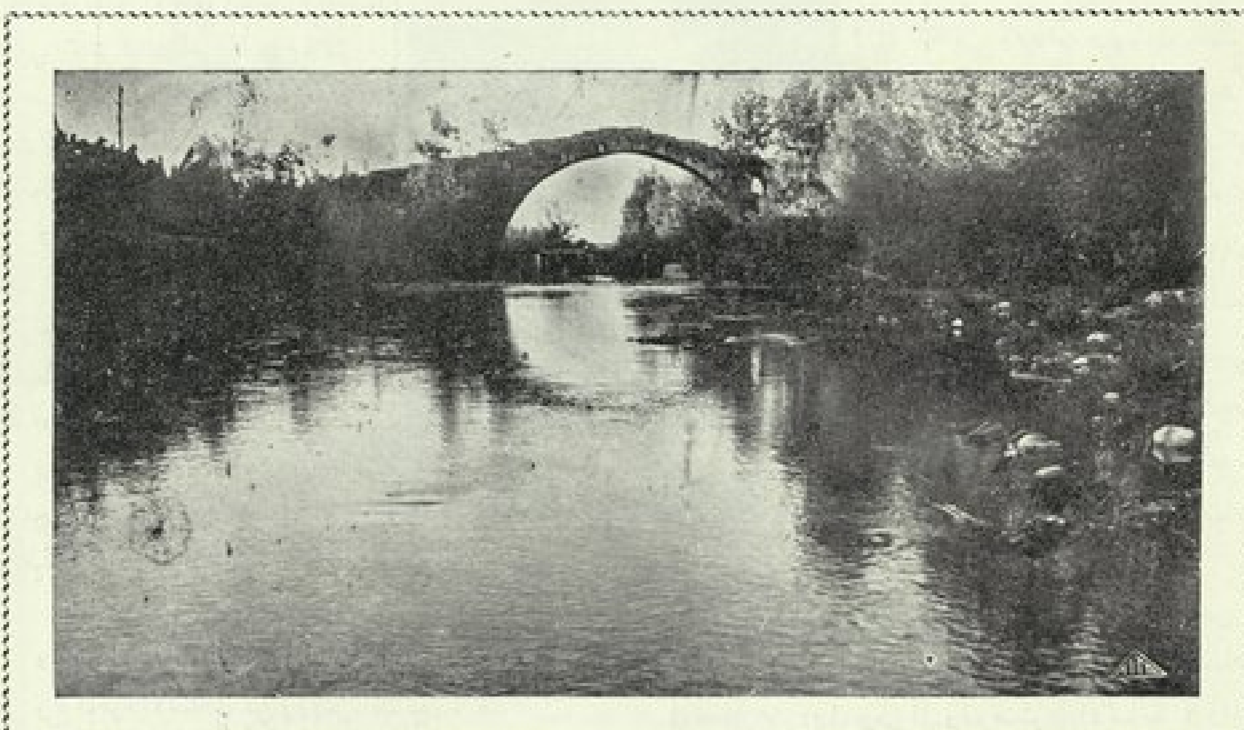
لقد افاد لبنان من هذا ان قضيته خرجت من نطاق التحكم التركي الى النطاق الدولي ، وان امتيازاته باتت مضمونة بمعاهدات دولية ، بما اعاد اليه الهدوء والطمأنينة نسبياً ، ولكن تضييق حدوده عاد بالضرر البليغ عليه ، لان الارض الصخرية التي حصروه ضمنها ما عتمت ان ضاقت بأهليه ، ولم يبق لهؤلاء ما يقيهم شر الفقر والذل ، فركبوا البحر مغتربين الى كل قطر من اقطار المسكونة .

ولكن « موت » الاستقلال هذا لم يكن موتاً ابدياً ، فالحيوية اللبنانية لم ترم سلاحها ، والبلاد العربية بأسرها تتحفز الوثوب ، والبعث المنشود له ولا شك يومه ، وسيأتي هذا

اليوم عاجلاً ام آجلاً ، فاذا بالايدي العربية واللبنانية تتصافح وتتعاهد على التحرر ، وبالصرخات الاستقلالية تدوي في الداخل والخارج ، وتتحدى القوة المريضة المحتضرة على ضفاف البوسفور .

وكانت الحرب الكونية الاولى... فمزق الترك المعاهدات وخرقوا حرمة النظام اللبناني الدولي ، وخيل اليهم ان الوقت قد حان للقضاء نهائياً على حلم اللبنانيين بالتحرر ، وسلكوا الى ذلك سبيلاً اقل ما يقال فيه انه « غير انساني » ... فاذا بتربة لبنان الجرداء ، وقد حولها الطغيان مزارع بشرية ، من ضحايا الجوع والمرض والصلب والتشفي ، تتدفق حيوية جديدة لعهد استقلالي جديد .

* * *



جسر على نهر الكلب – من آثار عهد الامارة اللبنانية

ولادة إستقلال

في السنة ١٩١٥ جرت مفاوضات بين الحسين بن علي شريف مكة وبريطانية بشأن اعلان ثورة قومية على الاتراك على اساس قيام دولة عربية تضم جزيرة العرب وسورية وبلاد ما بين النهرين ، وتم الاتفاق على ذلك برسائل سرية تبادلها الحسين وماكماهون، ولخص الحسين فيها مطاليبه بمايلي :

١ – الغاء الامتيازات الاجنبية في مختلف بلاد العرب .

٢ – عقد حلف بين الدولة العربية الجديدة وبريطانية.

٣ – منح بريطانية افضلية اقتصادية اي مركزاً ممتازاً .

وفي السنة ١٩١٦ جرى اتفاق سري بين بريطانية وفرنسة ـ اتفاق سايكس بيكو ـ ينقض الاتفاق السابق ، حيث يقضي بتقسيم البلاد العربية دويلات ، وجعل القسم الشمالي منها اي لبنان وسورية تحت اشراف الفرنسيين ، والقسم الجنوبي اي فلسطين تحت اشراف بريطانية .

وبعد ان تم النصر للحلفاء ، وجاء دور المؤتمرات لاقتسام الغنائم تمسك الفرنسيون بلبنان وسورية ، والانكليز بفلسطين والعراق ، وانبرى اليهود يطالبون بوطنهم القومي ، برأ بوعد بلفور ... وعبثاً راح العرب وعلى رأسهم الامير فيصل ، يطالبون باحترام العهود وتنفيذ الوعود والمواثيق.

●

ولم يقو الانتداب الفرنسي في لبنان ـ وقد عاش ٢٥ سنة ـ على نزع فكرة الاستقلال من رؤوس اللبنانيين ، فكان هؤلاء يطالبون بحقهم في العيش احراراً ، وترتدي مطالبتهم في الغالب ثوب التذكير بالصداقة ، وبما اشتهرت به فرنسة من عطف على كل فكرة تحريرية .

وكانت الحرب العالمية الثانية ، وتطورت الحوادث في لبنان وسورية تطوراً جاء في مصلحة البلدين .

ففي تشرين الثاني ١٩٤١ اعلن الجنرال كاترو استقلال لبنان الناجز التام ، وفي آذار ١٩٤٣ اعيد الدستور المعلق، وفي آب السنة نفسها انتخبت البلاد اول مجلس نيابي للعهد الجديد ، وفي ايلول انتخب الشيخ بشاره الخوري رئيساً للجمهورية، وكلف المغفور له رياض الصلح تأليف اول وزارة استقلالية ، فعدلت هذه الدستور تعديلا ازال كل ما تبقى من قيود الانتداب .

الشيخ منير تقي الدين

●

ورفع لبنان على اثر ذلك علمه الاستقلالي الجديد ، وتبادل التمثيل الدبلوماسي مع الدول العربية وسائر الدول الصديقة ، واشترك بمؤتمر سان فرنسيسكو الدولي في السنة ١٩٤٥ ، واحتفل بجلاء الجيوش الاجنبية عن ارضه في السنة ١٩٤٦

وتألفت جامعة الدول العربية في السنة ١٩٤٥ ، وكان لبنان في جملة واضعي اسسها القائمة على مبدأ « توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها ، وتنسيق خططها السياسية ، تحقيقاً للتعاون بينها ، وصيانة لاستقلالها وسيادتها » .

وهكذا بات لبنان شخصية دولية ذات كيان خاص ، يمد يد الاخاء والتعاون للاقطار الشقيقة المجاورة، ويساهم في كل عمل دولي يرمي الى رفع مستوى الانسانية ، والى بناء العالم الافضل الذي يهدف اليه المسالمون من ابناء الشعوب ...

لخص هذا الفصل عن كتاب « ولادة استقلال » للشيخ منير تقي الدين مدير وزارة الدفاع الوطني العام ، والشيخ منير ممن واكبوا سياسة العهد الحاضر منذ بدئه ، وقريباً يظهر له مؤلف جديد بعنوان « الجلاء » لا يقل عن سابقه « ولادة استقلال » دقة في سرد الحوادث وافادة لقراء التاريخ ...

مفاهيم استقلالنا ومقوماته

لم يكن لأمة ان تستقل بأرضها دون شعبها وبالعكس، فالاستقلال مفهوم يشترك الانسان والطبيعة في وضعه، والانسان والطبيعة يتعاونان على تفسيره والحفاظ عليه، لذلك كان على طلاب الاستقلال ان ينشدوه في نفوسهم اولا، ثم في الارض التي يعيشون عليها ومن خيراتها، حتى اذا توافرت فيهم وفي ارضهم عناصر الاستقلال وشروطه استقلوا.

ومفاهيم الاستقلال وعناصره واضحة معروفة، فهي في الانسان فضائل تبتدىء بمعرفة الحق والواجب، وتنتهي بالتضحية في سبيل الاثنين معاً ... وهي في الارض ثروة تؤمن للمرء حاجته للعيش، وتمده بالقوى اللازمة لتكييف وسائل عمرانه وحضارته، وتغنيه الى حد ما عن اللجوء الى الغير في تنمية امكاناته المادية.



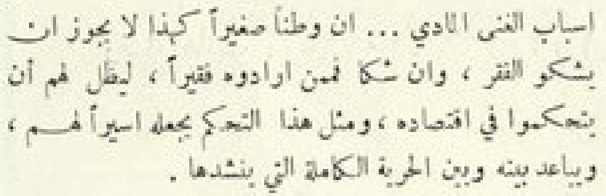
الجلاء الأول ...

ويخطىء من يظن ان الشروط والعناصر المذكورة غير متوافرة لنا فنحن اول من عرف الحق والواجب ودل العالم عليهما، وما من أرض في المعمور الا زرعناها ضحايا في سبيل مثلنا العليا، وارضنا على صغرها ما تزال قادرة على توفير اسباب الغنى والرفاهية لنا.

لقد برهنا امس واليوم على ان مواهبنا الادبية لا تقل عن مواهب أي شعب تقدمي في الدنيا، وهذه المواهب من عناصر الاستقلال الرئيسية، من حيث كونها الحافز على طلب الخير، والداعي الى التمسك بالحريات الفردية والجماعية، والباني الاول للجمال والحب والاخلاص، ولكل الفضائل التي ترهف الحس الانساني، وتقيم التوازن المثالي بين رغائبه المادية والروحية.

ووطننا مستودع خيرات طبيعية، ومركز اقتصادي ممتاز بين الشرق والغرب، عرف الاقدمون قدره فأفادتهم المعرفة، وما ينقصنا الا العمل للافادة مثلهم، ولا عذر لنا – في عهد الاستقلال – ان نحن لم نعمل، وتركنا العمل المجدي لمن تعودوا استثمارنا، فالعيش في هذا العهد على الهامش معناه الجهل، وقد يكون «التجاهل» للابقاء عمداً على «الماضي» وشر الاخطار التي تهدد الاستقلال خطر الرجعية.

ان وطناً صغيراً كوطننا يدخله مئات الالوف من السياح والمصطافين في كل عام، ويتدفق على شواطئه الذهب الاسود من اقطار العرب كافة، وتجود ارضه بالثمار التي لا تجود بمثلها أرض من اراضي البلدان المجاورة، وثروته المائية – لو استثمرت – لكونت طاقة جبارة تحول ارضه، بكل ما فيها من مدن وقرى ومزارع وسهول واودية، مستودعاً لكل



اسباب الغنى المادي ... ان وطناً صغيراً كهذا لا يجوز ان يشكو الفقر، وان شكا فمن ارادوه فقيراً، ليظل لهم أن يتحكموا في اقتصاده، ومثل هذا التحكم يجعله اسيراً لهم، ويباعد بينه وبين الحرية الكاملة التي ينشدها.

ولوطننا فوق ما تقدم قوة معنوية جبارة، قوة طالما وجهنا اليها اهتمامنا وآمالنا، على اعتبار ان لها من امكاناتها الادبية

والمادية ما لو تلاقى وامكاناتنا ، ومن الواجب ان يتم ذلك للمصلحة العامة ، لنهض هذا الوطن النهضة التي يرجوها ، في مختلف الحقول التي تضمن له استقلاله ومستقبله .

ونحن الان امام فرصة خيرة ، هي « صيف المغتربين » الذي او ناه لجمع نصفينا المقيم والمغترب على صعيد العاطفة اولا ، ومن ثم على صعيد الرغبة في توثيق الصلات بين النصفين ، فلتكن هذه الفرصة في الوقت نفسه لبحث القضايا العامة ، وفي مقدمتها القضايا الاقتصادية على اختلاف انواعها ، حتى اذا تم التفاهم على هذه القضايا دعونا الفريقين الى وضع التصاميم العملية لها وتنفيذها .

ومن يعرف المغتربين وتوقهم الى الاسهام في انعاش اقتصادنا الوطني ، بشرط ان تكون لهذا الانعاش الاقتصادي سياسة قوية واضحة ، لا يشك في ان الاموال التي يستطيعون تمويل مشاريعنا بها تغنينا عن القروض التي قد ابتدأنا نمد ايدينا لتمويل هذه المشاريع بها .



عندما يغمر الثلج جبالنا ويبدو ارزنا بثوبه الابيض الجميل ...

لبنان بلد سياحة واصطياف والشتاء

لبنان بلد سياحة واصطياف واشتاء، وليس أدلّ على ذلك من الواقع، فهذا البلد الذي يجمع بين «الصيف على سواحله، والربيع على سفوحه، والشتاء على قننه» فضلاً عن الآثار الموروثة عن أمجد عصور التاريخ، وعما حبته الطبيعة من محاسن وخصائص، هذا البلد لا يحتاج الى الكثير لاحتلال مكانته بين البلدان ذات الجاذبية الخاصة بالاصطياف والسياحة.

ونردد قولا مبتذلا حين ندعو بالحاح الى احتلال هذه المكانة، ان لم يكن للحفاظ على طابع ورثناه عن أقدم العصور، ففي الأقل لما لم يبق من شك فيه، بالنظر الى تأرجح اقتصادنا الوطني، من حاجتنا الملحة الى موارد محلية ثابتة، لدفع الخطر الكامن وراء هذا التأرجح.

ونردد هنا قولا لأحد الاختصاصيين، ممن عالجوا الموضوع الذي نحن بصدده: «أملك سياحة واصطيافاً واشتاء وتقلق على مصيرنا الاقتصادي... ان قلقاً كهذا لا يساور الا شعباً يجهل واقعه وموارده ويأبى أن يثق بنفسه».

●

لقد عرفنا مفهوم السياحة: انها التنقل في البلدان للترويح عن النفس، ولمطالعة كل ما في هذه البلدان، من خصائص وآثار ومحاسن وطرائف.

وعندنا لرواد ربوعنا كل ما يتطلبون من ذلك: في بعلبك وبيت الدين وجبيل وصيدا وصور، في متحفنا الوطني -حيث ناووس أحيرام، وأقدم كتابة بالاحرف الفينيقية- في مغاور قاديشا وأفقا وجعيتا، وفي غابة الأرز التي ليس في العالم من لم يسمع بها ومن لا يتوق الى رؤيتها.

ونقف لحظة امام مغارة جعيتا، تلك التي لم نعرف الا القليل عنها، ومع ذلك فقد عرفنا أنها من أجمل وأروع مغاور الدنيا، ووصف ما فيها يكفي لجذب الناس اليها من أقاصي الارض، فكيف لو صرفنا الجهود اللازمة لاكتشاف اسرارها، ومهدنا السبيل الوعر الى مواطن هذه الاسرار، ودعونا المولعين برؤية الغرائب الى رؤيتها؟



مطارنا الدولي مفخرة لبنان والشرق الادنى

●

أما الاصطياف فقد عرفته جبالنا منذ أقدم الأزمنة، حيث كانت هذه الجبال قبلة انظار طلاب الاستجمام، وقد شاءت الطبيعة أن تخصها بما لم يتوافر لسواها، من ميزات يشترك في تكوينها البحر والجبل من جهة، والعوامل والاوضاع الجغرافية المتناسقة من جهة ثانية.

ومن ميزات هذه الجبال وجودها في محيط تشتد في معظم بلدانه وطأة الحر صيفاً، مما يحمل أبناء هذه البلدان على الفرار الى الاماكن المعتدلة، وليس أقرب من لبنان ملجأ يجدون فيه ضالتهم، وهم الى ذلك أبناء البيت لا ضيوف، بالنظر الى وحدة اللغة والعادات والتربية والمصالح المشتركة.

وعدد طلاب الاستجمام من أبناء البلدان الشقيقة يتزايد من يوم الى يوم، نتيجة طبيعية لتكاثر المال بين ايديهم، وسيتزايد اكثر فأكثر بنسبة انتشار الثروة في بلدانهم من جهة، وانتشار العلم وحب الاطلاع والامتزاج بالآخرين من جهة ثانية.

صيف المغتربين ـ مفاهيمه واهدافه

لصيف المغتربين معنى ارفع من أن نحدره في نطاق مادي، فالاغتراب اللبناني رسالة أرجو ان يوفق صاحبا هذا المؤلف في شرحها ، بما توافر لديهما من دروس عن واقع اغترابنا ، وعن أثر هذا الاغتراب دانياً وقاصياً ، منذ بدء تاريخنا الى اليوم .

لقد اغترب قدماؤنا في طلب الثروة، وكانوا رسل ثقافة وحضارة ، فأخذوا من ابناء عهدهم مادة ، واعطوهم ما هو أغلا بكثير منها : أخذوا فضة وذهباً وعاجاً ، واعطوا ما اطلق الفكر من سجنه ، وما حرر الروح من اسرها ، فكان أن دالت دولة ما اخذوا ، وكتب الخلد لما اعطوا من نتاج العبقرية والروح .

وكما اغترب قدماؤنا اغتربنا ... تحدانا ضيق ارضنا فتحدينا سعة الدنيا ، طموحاً الى المال نرفع به مستوانا الانساني، حتى اذا بعث الماضي في اهابنا، وتجمعت حروف رسالته العريقة في دمنا ، رحنا نوزع هذه الحروف رسالة جديدة لنا ، وحيثما وجد لبناني قرأت عنوان الرسالة ، في نشاط اسطوري لبناء عالم أفضل ، حتى في اظلم المجاهل وأبعدها عن معالم المدنية والنور .

ولصيف المغتربين ـ مع ذلك ـ معناه المادي ، فالعهد الذي نحن فيه يتطلب قوى مادية ، الى جانب قوانا الادبية والمعنوية ، ومثل هذا التطلب يدعو المفكرين المصلحين الى التنادي لجمع الصفوف ، ولتوحيد جبهة العمل في حقول الاقتصاد الوطني ، حتى اذا تم ذلك تهافرت لنا اسباب الاستقلال السياسي ، وبلغنا من نضالنا الوطني الهدف المنشود.

والمغتربون الذين برهنوا في مناسبات عديدة على انهم من جنود الطليعة ، والذين نستقبل في هذا الصيف رسلهم وممثليهم، ما يطيب لهم اكثر من ان يسهموا في نهضة وطنهم الام ، وان يروا هذا الوطن في مستوى الاوطان التي اتخذوها اوطاناً ثانية لهم ، ومن اجل هذا نراهم على اتم الاستعداد لوضع مالهم وعلمهم وخبرتهم في خدمة هذا الوطن .

للاستاذ ميشال توما

مفوض السياحة والاصطياف العام

واني حين اذكر المغتربين لا اعني فئة دون اخرى منهم ، واخص بالذكر ابناءهم ممن ابصروا النور في ديار الغربة ، ولم يعرفوا وطنهم الام ، الا من خلال المطالعات والاحاديث عنه ، فهؤلاء من اجيالنا الطالعة من نود ان نوثق صلاتنا بهم ، وان نحث العاطفة الكامنة في صدورهم نحو هذا الوطن الذي يعيش في دمهم ، والسبيل الى ذلك الدعاوة الطيبة والاتصالات المنظمة المتوالية ، وعندي ان الافادة التي نجنيها منهم لا يمكن وصفها ، وبخاصة من الناحية المعنوية ، بالنسبة الى المكانة التي يحتلونها في دنيا الادب والأجتماع والعلم والسياسة في اوطانهم الجديدة .

وجل ما نرجو ان يكون صيفنا هذا ، بما توافر فيه من اسباب التعارف والتفاهم ، وبالروح الاخوية المثلى التي جمعت بين الشطرين المقيم والمغترب ، على صعيد العاطفة والمصلحة معاً، جل ما نرجو ان يكون صيفنا هذا فاتحة عهد عملي ، يسير فيه الشطران جنباً الى جنب ، الى ما يعلي شأن وطنهم ، ويصل به الى الاهداف التي يرمي اليها ، بسيره في ركب الامم الحرة ، والتي يؤهله لبلوغها تراثه الثقافي والانساني .

ميشال توما

ناهيك بالاخوان المغتربين الذين يدفعهم الحنين الى رؤية وطنهم الأم ، والى الدعاية المبذولة لتوثيق عرى الاتصال بهم ، ونحن نرى المئات والألوف منهم في كل عام بين ظهرانينا ، والاموال التي ينفقونها عندنا تفوق الاموال التي ينفقها سواهم لاعتبارات عديدة، أهمها نزعتهم الطبيعية الى البذخ والاسراف، والرغبة في انعاش الاقتصاد الوطني الصغير عن طريق موارده

الشعبية اليومية .

●

والاشتاء ... شيء جديد بالنسبة الينا ، ولكنه شيء مهم في دنيا سوانا ، بعد أن باتت الرياضة ضرورة ، ومن امتع أنواعها التزلج على الثلج ، والتفرج بما في دنياه من مفاتن خاصة.

وقد لمسنا ما في الاشتاء من افادة في المدة الاخيرة .

ونود ان نحصر افادتنا بالمادة ، ما دمنا نبحث اقتصادياً في الموضوع ، وما دامت الناحية الاقتصادية وحدها هي التي توجه اهتمامنا الى الاشتاء والدعوة اليه ، بعد ان ابتدعنا منه ومن السياحة والاصطياف ثالوثاً لدعم اقتصادنا .

فالاشتاء كالاصطياف مورد طبيعي من مواردنا التي لا تزاحم ، وجيراننا الذين يحملهم الحر الينا في الصيف ، والذين يسمعون بالثلج ولا يرونه عندهم ، يشوقهم كثيراً ان يمتعوا النفس برؤيته ، وان يقضوا اياماً ولو قلائل في مرابطه .

ومنهم من يهوى الرياضة على انواعها ، وليس لهم في بلدانهم وسيلة للتزلج ، وبلدنا أقرب البلدان « الثلجية » اليهم ، أفلا يجدر بنا استغلال هذه الميزة وظروف المكان والزمان التي تضمن الافادة منها ؟

●

لقد استعرضنا عناصر « ثالوثنا » الاقتصادي الطبيعي : السياحة والاصطياف والاشتاء ، فبقي ان نستعرض الوسائل التي لدينا ، والتي لا بد من توفيرها ، للافادة المنشودة من هذا الثالوث .

ان الاصطياف والاشتاء والاصطياف متع في الدرجة الاولى ، وطلابها عادة من الأثرياء — او من الموسعين — الذين تمكنهم حالاتهم المادية من هجر اعمالهم ، ومن ارتياد الاماكن البعيدة عن اوطانهم ، والاقامة فيها ما طاب لهم ان يقيموا ، والانفاق على توفير اسباب العيش واللهو لأنفسهم ،



التزلج على الثلج من امتع الرياضات التي يوفر لبنان اسبابها لضيوفه

دون ان تتأثر بذلك ميزانيتهم المادية .

لذا وجب ان نميز بين هؤلاء وبين المرضى والمرهقين الذين يصف لهم اطباؤهم تغيير الهواء ، فهؤلاء يكفيهم مستشفى او منزل هادىء بعيد عن الضجة والناس ، في حين ان اولئك يتطلبون بالعكس الاختلاط الصاخب بأمثالهم ، ويؤثرون الاماكن التي ترافق التطور العصري ، حيث يجدون من اسباب الترف والرخاء ما تعودوا في منازلهم ومحيطهم .

لهؤلاء نريد ان نوجه عنايتنا الاصطيافية الاشتائية السياحية ، فارضين ان لسواهم كل ما يتمنى عندنا من هواء وماء وثار ، فما هي السياسة الاقتصادية الخاصة التي وضعناها لهذا التوجيه ، واي عمل جدي قمنا به حتى الآن لتنفيذ هذه السياسة ؟

●

لو عددنا الاعمال التي قام بها افرادنا لاحياء مرافق الاصطياف لوجدناها كثيرة ، ونتيجة حتمية لحاجة هؤلاء الافراد الى ما يؤمن لهم اسباب العيش ، ولكنها اعمال أولية لا يسلام المقدرون فيها بالنظر الى امكاناتهم المادية ، وليس عندنا من الاعمال الكبرى المستوفاة الشروط في هذا الحقل سوى القليل .

ان اعمال الفرد لدعم الاقتصاد الوطني ذات مدى محدود ، واي بلد اكتفى بها كان بلداً ينقصه الوعي ، وبات على الواعين من ابنائه ان يوعوا المسؤولين عن مقدراته ، وان يدلوهم على السبيل السوي للخير العام الذي تعمل له الشعوب بأفرادها وجماعاتها ، وعلى المسؤولين اذ ذاك ان يعملوا .

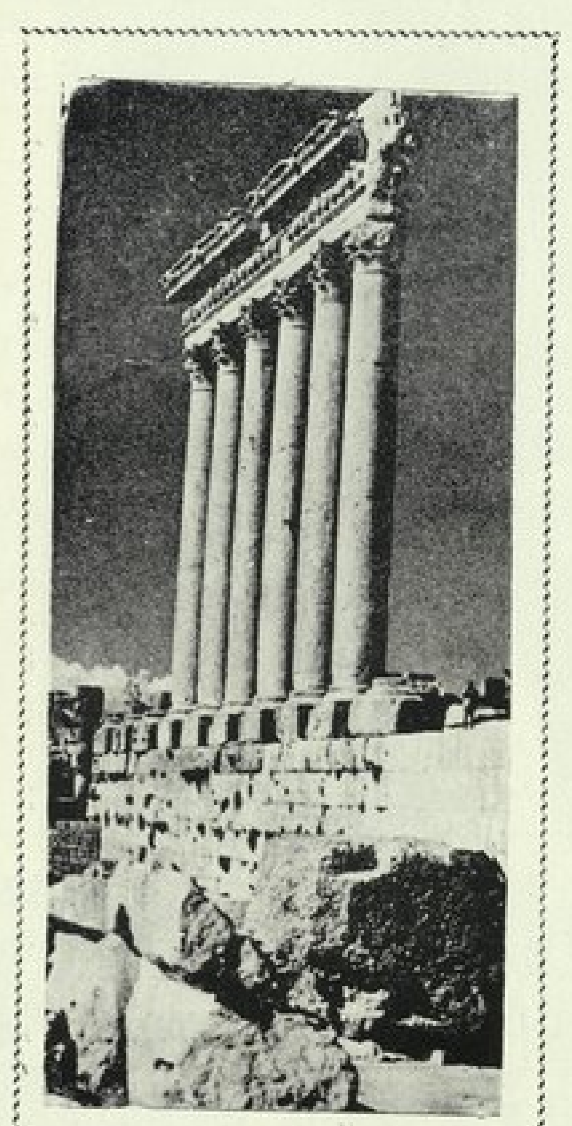
والعمل في الحقل الذي نحن بصدده متسع المجال ، وما يحتاج الى اكثر من ارادة واعية منظمة عاملة ، والى سلطة مختصة تسن القوانين وتضع التصاميم وتوجه التنفيذ ، بعد ان تؤمن الرؤوس الاموال اللازمة لذلك ، وتوجد الضمانات التي تحول دون العبث بهذه الرؤوس الاموال ، وضياع المصلحة الخاصة والمصلحة العامة في آن واحد ، بما يزعزع الثقة بها وبكل ما لديها من اعمال ومشاريع .

●

ان البلاد بحاجة الى مجموعة فنادق من الدرجة الاولى ، تبتدىء في السواحل وتنتهي في القنن ، والى احدث انواع الملاهي و « البلاجات » بحيث يفيد المصطاف من طبيعتنا الخيرة ساحلا وجبلا ، والافادة المزدوجة هذه لا تتوافر أسبابها للمصطافين في اي بلد آخر .

والبلاد بحاجة الى تنظيم واحياء اعياد واحتفالات ، من امثال عيد الازهار الذي تعودت بكفيا احياءه ، والذي نراه — مع الاسف الشديد — يتلاشى من سنة الى سنة ، بالنظر الى النفقات التي يتطلبها ، والتي لم تفكر المراجع المختصة بتوفيرها له ، وخسارة بكفيا عيدها يعني خسارة البلاد بادرة طيبة من بوادر وعيها الوطني .

والبلاد بحاجة الى تنظيم سياحي اصطيافي يتولى شأنه اختصاصيون ، ولا بأس من الاستعانة بأجانب منهم ، ويهدف في الدرجة الاولى الى ايجاد انسجام بين اعمال الشعب والحكومة ، وبين التفاعل المفروض بين عناصر العمل المنوعة من قوى روحية ومادية ، وما على المجتمع ان يؤديه بدوره لاكمال الشروط التي تؤدي الى الهدف المنشود .



ومن آثارنا ما فيء آلهة وكتب الخلود للانسان

ولا بد من التوقف هنا لحظة ، للنظر في أمر اختلفت الآراء

فيه ، ثم انتهت الى الاتفاق عليه ، وهو الآن قيد التنفيذ .

ذلك هو اباحة المقامرة .

فأنا من القائلين بهذه الاباحة ، على ان تباح بقيود وشروط احتكارية ، وان تتولى الدولة الاشراف عليها ، كما هي الحال في بلدان عديدة ، حيث تراعي الحكومات الناحية الاخلاقية والناحية الاقتصادية في آن واحد .

لقد قلت واكرر القول ان السياحة والاصطياف للاغنياء أولا وقد تعود هؤلاء حياة البذخ والاسراف في اوطانهم ، والمقامرة داء المجتمع الباذخ المسرف في أي مكان ، فليس لنا ان نحول مصايفنا الجبلية « مدرسة اخلاق » ولا أن نجعل سياستنا الاصطيافية مواعظ لاصلاح ما فسد من اخلاق الآخرين .



شلالات افقه ... وفي مياهها غسل ادونيس جرية الخلق بالموت

ان ما نعده فساداً ونقصاً اخلاقياً يجد فيه المجتمع الغني سلوى مشروعة له ، ولا يرضى بوجه من الوجوه أن يحول بينه وبين حرية التصرف بماله احد ، وحريتنا في حرمانه من التمتع بلذة المقامرة تنتهي حيث تبتدىء حريته في عدم ارتياد ربوعنا .

وما الداعي بعد كل هذا التفلسف المضر ؟

ان مبدأ احتكار موارد المقامرة متفق عليه في معظم بلدان العالم ، وتأتي مونتي كارلو في مقدمة هذه البلدان ، وفي الارجنتين كازينو « مار دل بلاتا » الفخم ، ويكفي للدلالة على الافادة التي تجنيها الحكومة منه ان دخله في صيف كل سنة لا يقل عن الخمسين مليون بسوس .

قد يخيل الى البعض ان ما قدمناه الى الآن نظريات لا اهمية لها ، والواقع ان نظرياتنا هذه ليست سوى رؤوس اقلام لموضوع تعيره أكبر الدول واوفرها غنى كل الاهتمام ، وفي اية دولة من الدول المذكورة سياسة خاصة بالاصطياف والسياحة ولجان مهمتها الدرس ووضع التقارير والتصاميم والتوصية بتنفيذها والاشراف على التنفيذ .

ومن الآن الى ان يرتفع اهتمامنا للسياحة والاصطياف الى مستوى اهتمام تلك الدول ، لا يسعنا الا التفاؤل بالجهود التي تبذلها مفوضية السياحة والاصطياف العامة لذلك ، وعلى رأسها رجل « ديناميكي » العزم هو الاستاذ ميشال توما الذي نراه يعمل بما اشتهر به من غيرة واخلاص للاضطلاع باعباء مسؤولياته . فالاستاذ توما يعمل ويريد ان يعمل ضمن اختصاصه ، ولكنه

يشعر شعورنا بحاجة البلاد الى سياسة اصطياف وسياحة ، سياسة يشترك في تنفيذها الافراد والجماعات باشراف الدولة وتوجيهها ، وتسهم في مشاريعها رؤوس الاموال الخاصة والعامة وبدون ذلك لا تتم الغاية المنشودة من وجود مفوضيته.

ولما تقدم نقترح على مفوضية السياحة والاصطياف ، وعلى المسؤولين الواعين في الدولة ، اغتنام فرصة وجود عدد كبير من اخواننا المغتربين بيننا ، ومفاوضتهم في تأسيس شركة او شركات سياحية اصطيافية ، على اساس منهج اقتصادي رصين يتناول انشاء فنادق وملاهو طرقات ، ووسائل نقل برية وبحرية وجوية الخ ... ونحن على ثقة بان رؤوس اموالنا المغتربة ترحب بمشاريع من هذا النوع ، متى وضعت على اسس رشيدة وخلصت النيات في توجيهها الى المصلحة العامة .

احصاءات سياحية

١ – العدد الاجمالي للسياح والمصطافين الذين دخلوا لبنان خلال السنوات الاربع الاخيرة بموجب القيود الرسمية للامن العام المسجلة على الحدود :

سنة	عدد
١٩٥١	١٢٧،٢٤٦
١٩٥٢	٢١٦،٣٣٣
١٩٥٣	٢٨٥،٠٧٣
١٩٥٤	٦٩٥،٣٠٣

٢ – مقارنة بين الثلث الاول لسنة ١٩٥٥ والثلث الاول لسنة ١٩٥٤ :

السنة	عدد
الثلث الاول لسنة ١٩٥٤	١٥٨،٠٢٦
« « « ١٩٥٥	٢٥٩،٣٠٠

٣ – وسائل النقل المستعملة للقدوم :

السنة	جواً	بحراً	براً	المجموع
١٩٥١	٥٠،٥٨٤	١٧،٩٣٤	٥٨،٧٢٨	١٢٧،٢٤٦
١٩٥٢	٨٥،٩٦٩	٢١،٤٣٦	١٠٨،٩٢٨	٢١٦،٣٣٣
١٩٥٣	٩٢،٠٨٤	٢٦،٧٢٩	١٦٦،٢٦٠	٢٨٥،٠٧٣
١٩٤٥	١٢٥،٢٦١	٣٧،٠٨١	٥٣٢،٩٦١	٦٩٥،٣٠٣

٤ – عدد الفنادق في لبنان :

	عدد الفنادق	عدد الغرف	عدد الاسرة
الجبل –	٢٧٩	٥٠٢٥	١٠١٠٢
بيروت –	٢٦٧	٢٢٥٠	٤٥٧٧
	٥٤٦	٧٢٧٥	١٤٦٧٩



من مشاهد جبلنا الساحر في فصل الشتاء

جَمعُ قوى الأمَةِ المتفرقَة

ليس الاستقلال الذي نلناه غاية بل واسطة ... لقد بذلنا ما بذلنا من ارواح ومال ، عبر اجيال عديدة من التاريخ ، لحفاظ على رسالتنا الانسانية العالمية ، ولمقاومة التيارات المختلفة التي هددت على مر العصور كياننا، وكان آخر البذل ومنتهاه في الحقبة الاخيرة ، منذ الحرب العالمية الاولى الى اليوم، فهل كان هذا لنغمض الجفن مطمئنين، ونستسلم الى الاحلام الذهبية بيننا كيانات الدول تتربص بها المطامع ، وبخاصة الدول الصغرى الطريئة العود كدولتنا الناشئة ؟

ان الجهود والتضحيات التي بذلناها سخية لنيل الاستقلال لا تعد شيئاً بالنسبة الى الجهود والتضحيات التي يتطلب بذلها الحفاظ على استقلالنا.

لقد ناضلنا بالأمس ضد معتد خارجي، ونحن اليوم امام الف « معتد داخلي » مما ورثناه عن الماضي ، من علل تربوية واجتماعية واخلاقية طغت على مواهبنا ، وجعلتنا نعيش في القرن العشرين وكأننا ما نزال في غياهب القرون الوسطى ، تلك التي حكمت الجهل بالعلم ، واخضعت القيم الانسانية كلها لأفراد اذا سألت : « ما الدولة ؟ » أجابوا بلغة الالوهية : « نحن الدولة » .

والدولة اليوم هي الشعب ... هي هذا الشعب الذي كتب تاريخها بعرقه ودمه ، وليس من شعب كشعبنا كتب تاريخه بالعرق والدم، منذ ان كان لبنان وكانت رسالته ، على نحو ما ذكرنا لماماً في فصولنا السابقة ، فمن العدل اذن ان تكون دولتنا الحاضرة دولة هذا الشعب ، الشعب الذي بنى وطنه قديماً ، وعلى اعضاده وحده يقوم اليوم بناء هذا الوطن .

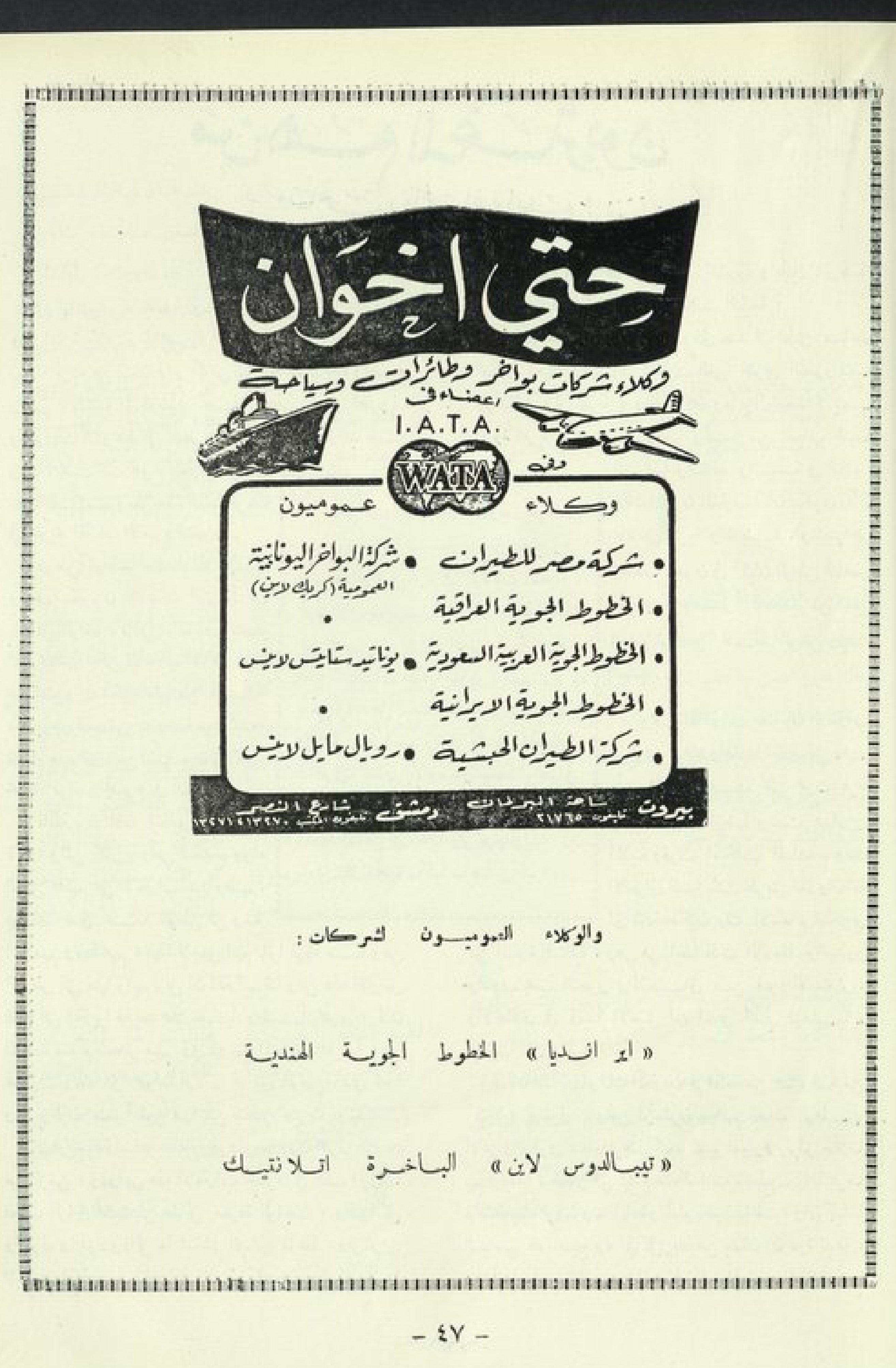
ولا تبنى الاوطان الا بجمع قواها المتفرقة ، وبتوجيه هذه القوى توجيهاً رشيداً على ضوء الواقع والمنطق والعدالة ، تلك التي تساوي بين الجميع ، لا فارق بين من اقام ومن اغترب ، فالمقيمون والمغتربون سواء في ساح نضالهم ، والنضال على جبهات متعددة ، والنصر في النهاية على جبهة واحدة .

لقد بنى المغتربون لمجدنا القديم ، والمغتربون يبنون لمجدنا الحاضر ، فهم كانوا جنود طليعة في مواطن اغترابهم ، وجنود طليعة يظلون في تلك المواطن ، تصهرهم الغربة كالذهب ولا يتغيرون، وينتزع المحيط منهم لغتهم وعرضهم، ولا يقوى على انتزاع دمهم وجوهرهم، ومن عرفهم عن كثب عرف لبنان في وجوههم ، وعلى تلك الوجوه سطور نضال هو امتداد تاريخ عريق من الماضي الى المستقبل.

لنبن اذن وطننا ... بالمقيمين والمغتربين معاً ، بالنصف العامل هنا والنصف العامل هناك ، بالجانح الحامل المعول والقلم والسيف ضمن حدودنا والساعد الذي يتحدى الصعاب والاخطار والابعاد نضالاً في سبيل الحياة الفضلى .

الندوة اللبنانية

من ندوة الشعب هذه ، ارتفعت اصوات المسؤولين اكثر من مرة ، منذ بدء عهد الاستقلال ، بضرورة جمع قوانا المقيمة والمغتربة كتلة واحدة على صعيد المصلحة العامة .


حتي اخوان
وكلاء شركات بواخر وطائرات وسياحة
اعضاء في
I.A.T.A.
وفي
WATA
وكلاء عموميون
• شركة مصر للطيران
• الخطوط الجوية العراقية
• الخطوط الجوية العربية السعودية
• الخطوط الجوية الايرانية
• شركة الطيران الحبشية
شركة البواخر اليونانية العمومية (كريك لاين)
• يونايتد ستايتس لاينس
• رويال مايل لاينس
بيروت ساحة البرلمان تلفون ٢١٧٦٥
دمشق شارع النصر
والوكلاء العموميون لشركات :
« اير انديا » الخطوط الجوية الهندية
« تيبالدوس لاين » الباخرة اتلانتيك

مَن هُم المغتربون

وما هي دواعي اغترابهم ؟

يتساءل الكثيرون منا – وقد يكون تساؤلهم عن جهل او عن تجاهل – عما يحدونا الى الاكثار من ذكر المغتربين، والى اثارة شؤونهم الاهمية التي أعرناها الى الان، فكأني بهؤلاء غرباء عن لبنان، او كأني بهم يتجاهلون عمداً واقع وطنهم، بالنسبة الى اوضاع هذا الوطن، والى الظروف والحوادث التاريخية التي اضطرت ابناءه الى الاغتراب عن ربوعه، بحيث بات مجموع المغتربين يوازي عدد المقيمين منهم ومثل هذه النسبة فريدة في تاريخ اغتراب الامم والشعوب.

فوطن كوطننا نصف ابنائه مقيمون ونصفهم مغتربون لا يمكنه ابداً ان يتجاهل الواقع، فيأبى الاعتراف بنصفه المغترب مهما تكن الاسباب الداعية لهذا، على اعتبار ان لكل مقيم من ابنائه مغترباً هو قطعة من لحمه وفلذة من كبده، فابعاد هذه الفلذة عن اختها جريمة ترتكب نحو الأفراد والمجموع في آن واحد.

فالمغتربون اذن لبنانيون كالمقيمين تماماً، ولئن كان داعي الكدح وراء العيش حملهم على الاغتراب عن وطنهم، بعد ان ضاق هذا الوطن عن وسع احلامهم ومطامحهم، فهذا لا يعني انهم باتوا غرباء عنا وعن الارض التي منها ترابهم، بل ان اغترابهم عنا وعن هذه الارض للغاية التي اغتربوا لها يعد عملاً جهادياً وطنياً محموداً، لان الافادة منه لم تنحصر فيهم وفي ذويهم المتخلفين افراداً، بل تجاوزت ذلك الى مجموعنا أولا، ثم الى الوطن الذي كانوا وما يزالون عنصراً قوياً مهماً من عناصر حيويته ونهضته.

ان تاريخ اغترابنا بوجه عام يعود الى ما دون القرن الواحد من الزمن، ودواعي هذا الاغتراب نحصرها في طلب الرزق، فطلب الرزق فضيلة من فضائل معرفة الواجب، والتواكل والخمول والجمود رذائل ما استسلم اللبناني لها قط، ولو ان اللبنانيين المغتربين لم ينتشروا في الارض كادحين، ولو انهم آثروا شظف العيش في جبالهم على مكابدة الشوق والحنين الى هذه الجبال في ديار اغترابهم، اذن لكانت النتيجة:

تضخم عدد السكان في البلاد الى حد لا تطيق مساحتها الصغيرة احتماله، فالمليون المغترب الغني القوي الفخور بنفسه وبوطنه في ديار الغربة، والذي كان وما يزال معيناً لا ينضب لثروة القرية والمدينة، وسبباً رئيسياً من اسباب النهضة العمرانية والثقافية والسياسية في البلاد، ذلك المليون المغترب كان يكون الآن عالة على القرية والمدينة، وعنصر فقر وضعف وهون في كيان الوطن الناهض لحرمانه، ومصدراً لكثير من العلل التي تؤخر نمو هذا الوطن ونهضته العامة.

> يبلغ عدد اللبنانيين المغتربين نحواً من مليون و٣٠٠ ألف مغترب، وأكبر رقم منهم في البرازيل، ثم في الولايات المتحدة، ثم في الارجنتين ... ولا يخلو بلد في العالم، من اقصى مشرقه الى اقصى مغربه، ومن قطبه الشمالي الى قطبه الجنوبي، منهم ... وحتى في المجاهل البعيدة عن العمران والسكان وفي الجزر المغمورة في ظلمات المحيطات الكبرى، تجدهم ... وصدق حافظ ابراهيم في قوله عنهم:
>
> رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا
> الى المجرة ركباً صاعداً ركبوا ...

ويجب الاعتراف هنا بان الاغتراب فرج عن البلاد وافادها افادة جلى ... فأموال المغتربين التي عمرت قرية واحيت موات ارضها وسعت عمران المدينة وقوت امكاناتها المادية، وتلك الاموال نفسها شقت طريق العلم والثقافة الى القمة فكان ذلك الاشعاع الفكري من المنارة اللبنانية، وهي هي ايضاً غذت الادمغة والصدور والقلوب بحب التحرر والانعتاق من قيود الاستعمار، والانطلاق في دنيا الامل الى المدى الذي تؤهلها له عبقريتها الموروثة.

لذلك قلنا إن اولئك المغتربين هم قطعة من لحمنا وفلذة من كبدنا، ونقول – ونحن مؤمنون – انهم نصف الوطن الاعز والاقوى، فاذا عرفنا كيف ندبر امورهم ونوثق صلاتنا بهم ونبعدنا لأخطار التي تهدد هذه الصلات بالقطع... اذا عرفنا ذلك فحينئذ نرى ثروتنا المادية والمعنوية قد تضاعفت، وان كياننا السياسي قد اصبح وله في كل بلد من بلدان الله قوة تدعمه، وهذا ما سيلمس القارىء واقعه في ما سيأتي من ابحاثنا.

الايـاب

للشاعر شفيق معلوف

عاد شاعرنا العبقري شفيق معلوف الى وطنه لبنان بعد غياب طويل فرأينا في هذه المناسبة ان ننشر له قصيدة عنوانها «الاياب» تعبر اجل تعبير عما يخالج قلب المغترب اللبناني من شوق الى وطنه لبنان:

●

اي صوت ادعى غداة التنادي   من نداء الاكباد للاكباد
صدقت ذمة الزمان فعدنا   ننفض الجمر من خلال الرماد
هاك ملهى الصبى فيا قلب لم   ذكرياتي على ضفاف الوادي
صفقت بالجناح مستطلعات   طائر اوكارها الطيور الشوادي
عليها تستشف من خلل الاظلال   اظلال غابر الاعياد
يوم اغشى الرياض في الليلة القمراء   وثباً بين الربى والوهاد
شارداً انشد النجوم وفي جفني   مائي وبين جفني زادي

*

بالتي تقطف النجوم يداها   ثم ترمي بهن تحت وسادي
بفتاة كأن اجنحة الشحرور   كحلن عينها بالسواد
تلقي يا يد النسيم على اهدابها   السود ريشة العواد
ان اهدابها بقيات اوتاري   شدت الى بقايا فؤادي

*

نشط الشوق للاياب ونادى   باسم لبنان في الضلوع منادي
كيف لبنان والمغنوه كثر   لم تصفق صناجتاه لشادي
رب داء يحز لبنان في الصلب   ولبنان مبرأ الرواد
أمن العائدين انت اليه   عمرك الله ام من العواد؟
قرب الشط فليقلك بين الموج   والشوق هودج متهادي
هذه في الفضاء اعلام لبنان   على غرة الصباح بوادي
يغمر الفجر منكبيها فتنكب   عليه مشبوحة الاعضاد
قم صدعت على الافق بحراً   هائج اللج صاخب الازباد
تشرئب الجبال منه فهلا   ولد البحر من جديد بلادي!

*

موطني ما رشفت وردك الا   عاد عنه فمي بحرقة صادي
في قلوب المغربين جراح   حملوها على الجباه الجعاد
لا تلمهم فيوم هجرك كانوا   وعذارى العلى على ميعاد
يوم دقوا سواحل الشرق بالغرب   ولم يهدهم سوى العزم هادي
كلما احتكت المجاذيف شع   الافق منهم بكوكب وقاد
وزعتهم كف الرياح فهلا   جمعتهم يد النسيم الهادي
غصص الامهات ما هي الا   ذمم في خسارة الاولاد
حان ان يخنقوا الشراع ويطووا   علم الفتح بعد طول الجهاد
ذهب الارض ، يعلم الله ، ما   يعدله غير تربة الاجداد

*

يا لطود اعناقه آخذات   بحبال شم من الاعجاد
هو لبنان هب بنيه سيوفاً   تلفظ الروح وهي في الاغماد
هبه مستضعف الجناب فلم   يفخر بماض ولا ازدهى بتلاد
او فهبه كما تشاء فحسبي   ان لبنان خفقة في فؤادي

شفيق معلوف

علاقات البيت اللبناني بأبنائه المغتربين

... والبيت اللبناني بابنائه المغتربين علاقات تبتدىء بكل ما هو طبيعي بين ابناء البيت الواحد ، وتنتهي بتعلق اللبناني بأرضه ومحيطه وبيته تعلقاً هو ما يعبر عنه المثل القائل : « هنيئاً لمن له مرقد عنزة في لبنان » ... فلا المغترب عن مرقد العنزة هذا يجد راحة في سواه ، ولا المقيم فيه ينسى من اغترب عنه ، فكل من الفريقين يقيم في الاخر بتصوره وحنينه ، ولولا هذه العلاقة لتراخت اواصر قرباهما ، ولما كان ما كان حتى الان بينهما من تعاضد وتعاون .

لا اشك في ان منكم من كان مغترباً وأنا نفسي عانيت لوعة الاغتراب عشرين سنة ، والشعور الذي حملته في اغترابي حمله كل من اغترب منكم... لقد كنت في اغترابي غريباً حتى في بيتي ، فالبيت الذي ربيت فيه لا يفارق ابداً تصوري، احسه ملء نفسي بما يختلج فيها من شعور ، ويكاد شعوري بالواجب ينحصر كله في العود الى هذا البيت ، وفي اغماض جفني على التراث الغالي الذي انتقل الي عن آبائي وأجدادي .

لقد مرت بوطني هذا حوادث ومحن ، فكنت أتلقى انباء هذه الحوادث والمحن بعاطفتي الوطنية مرة وبعاطفتي البيتية مرتين ، فبيتي هو الصلة الاولى التي تربطني بهذا الوطن ، اذا انقطعت طويت اجنحة شوقي وحنيني اليه على ألمي الصامت ، ورحت في دنيا اغترابي اتابع الطريق الى المجهول المظلم الذي ينتظر كل من لا بيت ينتظره ، ولا وطن يغمض فيه بيد طول الاغتراب عينيه .

وشعوري نحو بيتي في غربتي لا يحاكيه سوى شعور هذا البيت نحوي ... فالفراغ الذي احدثه تغيبي عنه لا يسده سواي ، و كلما طال اغترابي ازداد من فيه شوقاً وحنيناً الي... اذا جلسوا الى طعام او شراب ذكروني وتحدثوا عن ماضي بينهم ، واذا ألم باحدهم مكروه كنت اول من يمر في خاطره ويود لو اني الى جانبه ليتعزى بوجودي على ما به ، فكأن كل من حوله من اهل وصحب لا يكفون لتعزيته وانا وحدي اجلب التعزية له .

وانا احس ذلك ... احس العاطفة الفياضة التي تغمر ذكراي في ذلك البيت المحبوب ، وأود لو أكافىء اصحابها بكل ما امكن من شعور ومال، وأروح ارسم للسعادة صورة اجعل منها تلك المكافأة ، فأجدها اولا في تجديد ما تقادم من مظاهر عيشهم ، فأبذل المال دون قيد ولا شرط ولا حساب لذلك ، وكلما تزايد بذلي تزايد حبي لهم وحنيني الى لقياهم .



من محاضرة الشيخ هنري الجميل
وزير جمهورية ليبيريا المفوض في لبنان

فالشعور المتبادل بيني وبين اهل بيتي هذا ، بين كل مغترب والبيت الذي اغترب عنه ، هو اساس كل الصلات التي تربط المغتربين بالمقيمين ، وتجعل كلا من الفريقين يعيش في الاخر ومن صلاتها الوثقى الصلات التي تربطها بالوطن .

فحيث يكون بيتي يكون وطني ، وكم من مغترب فقد أهله وبيته ، تحت سماء هذه البلاد التي يحن اليها ، فحنا رأسه على ألم الفقدان ، وكبت ما يجيش في صدره من عواطف وشعور وقال : « الان لم يبق لي ما يربطني بذلك الوطن ، فمن يستقبلني اذا عدت اليه ، واين اطلب الراحة التي فقدتها ، من يوم ان فارقت البيت الذي لم اجد في سواه راحتي ؟ » .

ان للمرء لعلاقات بيني قومه وأمته أجل ، وهذه العلاقات تحل احياناً محل العلاقات البيتية ، ولكنها في اي حال علاقات لا تعدو فروضها حد الاعتبارات والواجبات الاجتماعية ، فهي ليست كعلاقات المرء بأهله وذويه وملكه تفرض عليه البذل الذي لا حد له شعوراً وعاطفة ومالا .

أنا ابذل لوطني واجباً اذا تكرر مرة لا يتكرر الى الابد وبذلي له كبذلي للمجتمع لا يكون الا بعد قضاء واجبي نحو من أنا من دمهم وهم من دمي ، فليس من الطبيعي ان ارى بيتي مهدماً وابني بيت غيري ، ولا ذوي عراة جائعين متألمين وابذل مالي كله لمواساة سواهم، فبيتي وذوي اولا ورأيي بعدهم كل من ليس هم في محيطي وبيئتي .

فالعلاقات القومية والوطنية اذن توطدها العلاقات البيتية ، والبيت اللبناني كان ولا يزال على امتن العلاقات بابنائه المغتربين وبفضل علاقاته نرى اولئك المغتربين الأبرار يسعون لتمكين علاقاتهم بوطنهم الأم ، فما يدعوهم هذا الوطن لأمر الا لبوه ، ولا تنزل به شدة من الشدائد الا كانوا في طليعة المجاهدين لتفريجها .

لقــد رأيناهم في كل حين ... ومنذ نهضنا لتحطيم قيود الاستعمار رأيناهم في اروع مظاهر وطنيتهم ، يرسلون الصرخة تلو الصرخة احتجاجاً ، ويضعون انفسهم وكل ما يملكون في خدمة قضيتنا ، حتى اذا انتصرت هذه القضية راحوا يعبرون عن فرحهم وشعورهم بالبذل ، ويؤيدون انتصارها بكل ما ملكت ايديهم من ثار عبقريتهم المعنوية والمادية .

وأنا على يقين من ان الدافع الاول لهم على ذلك هو ما تقدم من علاقاتهم بالبيت الذي عناه الشاعر بقوله :

كم منزل في الارض يألفه الفتى
وحنينه ابداً لأول منزل ...

أثر المغتربين في نهضات وطنهم الأم

لا نحتاج الى التعمق كثيراً في البحث لنحس الاثر الذي كان ولا يزال لنصفنا المغترب في حياتنا الخاصة والعامة ، فكل شيء عندنا يدل على ان الأيدي الكريمة العاملة عبر الابعاد ، تلك التي تعودت البذل لرفع مستوى ذويها عالياً ، لم تبخل على من خلفتهم هنا اعزاء بما يرفه عنهم ، ويمهد سبلهم الى الحياة المثلى التي يطمحون اليها .

فهذه نهضاتنا المختلفة في النصف القرن الحاضر ... لنرافق تطورها منذ بدئها الى اليوم ، في مدننا وقرانا ومزارعنا ، في سواحلنا وسفوحنا وجرودنا ... اما نرى اثر المغتربين في كل منها ، من منازل عصرية تستدعي الاعجاب ، وبيوتات تجارية توحي بالفخر ، ومؤسسات مالية تبعث الثقة ، ومزارع استثمارية تنعش الأمل بالمستقبل ؟

اي معبد للصلاة لا يشهد ، وأي معهد للعلم لا يعترف ، وأي ملجأ للمرض والعجز لا يجهر ، وأي مؤسسة للخير لا تقر بفضل من امدوها بمالهم ، وعطفوا عليها بما تعودوا العطف على أي عمل وطني ، من كرام ذلك النصف الأبر المغترب ؟

لقد اغترب اللبناني بجسده وخلف روحه هنا ... وهذا يكفي ليظل لبنانياً بروحه ، لا يحول البعد بينه وبين القيام بأي واجب ، ما دعي مرة لمكرمة قومية الا اجاب ، ولا أحس ضيما ينزل بأخيه الا بذل من قلبه لدفع هذا الضيم ، فكأني به من حرس الطليعة ساهر لا ينام ، وكلما دوهمت الحدود صاح بالمداهم : « لن تمر » .

* * *

ما ذكرنا مرة واقعنا الاقتصادي الا ذكرنا المغتربين ... فهذا الواقع الغريب العجيب بما يكتنفه من أسرار ، نحاول ان نعيده الى طبيعة وجوده ، ونستعين على محاولتنا بكل ما في الدنيا من اختصاص ، وننتهي ابداً الى حقيقة واحدة ، هي ان أموال مغتربينا كانت وما تزال دعامة هذا الواقع .

فالعجز المزمن الذي لا يفارق ميزاننا المالي ، بالنظر الى التفاوت المحسوس بين صادراتنا ووارداتنا ، وطغيان هذه طغيانا هائلا على الاولى ، يهددنا سنويا بالافلاس ... وكان يجب ان نعلن افلاسنا منذ امد بعيد ، لولا ما يتسرب الينا من مال المغتربين ، من اميركا وافريقيا وسواهما ، وهذه حقيقة اعلنها الملمون بشؤوننا المالية ، وبها وحدها يفسرون سر بقائنا في منجاة من خطر الانهيار الى الآن .

ولعلنا نذكر فيما نذكر الاعانات المتعددة التي تدفقت على بلادنا وعلى الاقطار العربية جمعاء ، منذ الحرب العالمية الأولى الى اليوم ، من أيدي اولئك الأخوان ... ومن يذكر كارثة فلسطين ، ولا يذكر الملايين وعشراتها ، مما دعوناهم الى بذله باسم الوطنية والقومية والمروءات ، فكانوا اكرم من لبى الدعوة ومن بذل ؟

ومن يعرف المغتربين ، والى اي مدى يمكن التعاون واياهم ، في أي حقل من حقول المصلحة العامة ، لا يسعه الا التساؤل بدهشة : « كيف ... كيف يكون لنا مثل تلك القوة المادية الجبارة ، ولا نجمع بينها وبين قوانا الناشئة ، في سبيل نهضة استقلالية اقتصادية ، النهضة التي نحس حاجتنا القصوى اليها لدعم كياننا السياسي » ؟

* * *

انذكر بعد بأدبنا المغترب ، هذا الذي رفعنا لواءه عالياً في مصر ، وبنينا له ما بنينا في ظل نصب الحرية ، وأعدنا به ذكرى الاندلس على ضفاف الأمازون ، وحملناه تراثاً غالياً الى كل قطر ، وأبينا الا ان نذكر العالم بأننا من امة تؤدي رسالة الأدب اليوم ، كما أدت رسالة هذا الأدب بالأمس ، وأرسلت الفكر دفقة نور غمرت اقطار المسكونة ؟

لقد كان ادبنا المغترب في مصر مدرسة ، ومدرسة كان هذا الادب في العالم الجديد ، وما من كاتب وشاعر وصحافي عربي الا تأثر بالمدرستين ، فكان طبيعياً ان يكون كتابنا وشعراؤنا وصحافيونا اللبنانيون اول المتأثرين بها ، فالريحاني وجبران ونعيمة وحتي واسطفان والمكرزل وابي ماضي والقروي وفرحات ومعلوف ، بعد اليازجي والحداد وزيدان وصروف وتقلا والشميل والجميل وسواهم ، يمثلون في اقلامنا مهما نحاول ان لا نمثل في هذه الاقلام سوى شخصيتنا .

وليست نهضتنا الادبية وحدها مدينة لمن تقدم ذكرهم من ابطال الفكر والقلم المغترب ، فالنهضة الوطنية نفسها تعترف بما لهم من دين عليها ، ومن طالع نتاج اولئك الابطال الادبي ، وقد ارادوه فكراً انسانياً يحتوي كل معاني الخير

والحق والعدل ، يشعر بما انطوى عليه في الوقت نفسه من دعوة الى الثورة ،الى تحطيم القيود التي ترهق المجتمع بالعبودية، وطبيعي ان تكون ثورتهم لتحرير وطنهم قبل اي وطن آخر ، وطبيعي ايضاً ان ينتقل ادبهم الثوري الى من تخرج في مدرستهم من حملة الاقلام عندنا .

* * *

اما السياسة ... والحديث عنها شجون ... فيكفي القول ان الكثيرين من ابطالها لاذوا بالاغتراب للانطلاق في جوها احراراً ، فكانت القاهرة وباريس ونيويورك وسواها مسارح اولئك الابطال ، حيث التف حولهم من طلاب الاصلاح والاستقلال كل من يفكر تفكيرهم ، وما اكثر هؤلاء بمن تعرفوا الى الحرية في مواطنها ، فأبوا الا ان يحطموا قيود وطنهم ويصفعوا بها وجه العبودية .

ويكفي ان نذكر جمعيات مصر وباريس ونيويورك ، وفي مقدمتها جمعية النهضة اللبنانية العاملة الى اليوم ، لنطالع صفحات من تاريخ نضالنا الوطني ، ومعظم هذه الصفحات لا يفتقر الى المجد ، ولا نكون منصفين ان لم تقدرها قدرها ، ولم تنزلها المكانة التي تستحقها في النفوس .

وصفحة خالدة في تاريخ مغتربينا ، تلك الصفحة المطوية التي لم ينشرها احد الى الان ... هي صفحة الجندي المجهول ... صفحة النواة التي منها انبثق جيشنا الباسل، الجيش الذي يحمل سيفنا وعزتنا ومقدراتنا ، الجيش الذي يرفع رايتنا ويذود عنها ، وما رايتنا سوى المال والكرامة والعرض والحرية والروح .

في الحرب الكونية الاولى ، الحرب التي اطلقت عاصفاً من جحيمها على لبنان والبلاد العربية، تألفت نواة هذا الجيش المحبوب، من فتيان المغترب الصباح الوجوه ، اهاب بهم داعي الوطنية فما ترددوا في التلبية ، وكان لهم شرف القتال في جبهة وطنهم ، والدخول الى هذا الوطن ابناء بررة وجنوداً متقدين .

* * *

ذلك اثر المغتربين في نهضات وطنهم — بعض الاثر لا الكل — فالكل يحتاج الى اكثر من كتاب ضخم ، ونحن هنا امام حقيقة تعلن ، والحقيقة كلها يكفي ان نقال بحروفها السبعة ، وان ننظر من خلال هذه الحروف ، لنرى فيها كل معاني الوجود .

كل الجبل اصوات

تهدى الى كل مغترب لبناني

الشاعر الشعبي الملهم اسعد سابا

كلّ الجبل اصوات بتعيط الك
والأرز والوديان
يلا على احلى وطن تحت الفلك
يلا على لبنان !

*

لبنان ، بيت الانبيا والملهمين
اهلك واجدادك
وكل ساعة دقت غناني السنين
من ساعة بلادك
مطرحما جنحك رفرف وغصنك ربي
واندق ريحانك
مين غيرك قال : للشمس العبي
ع صدر لبنانك ؟

*

اشتقلك «قاديشا» اللي هدى «جبران» نور
وبا ما كتب عنو :
— بتسوى الدني ، و كنوزها ، ومجد القصور
شقفة حجر منو !
اشتقلك نسر ابيض على كتف الزمان
يطوي ع جنحو سنين
نسر شالح للنسور العنفوان
قلب الدهر ، صنين !

*

لبنان ، يلي بالسما رمش النجوم
وعاطي الصبح الوان
ليش فوقو تكدست كل الغيوم
منو القمر هربان ؟
انت القمر ، عن ارزنك حاجي تغيب
وتتمرد عليها
انت الحبيب ، وما حدا غيرك حبيب
يحلا بعينيها ...

جيشنا في التاريخ

المغتربون كانوا نواته الاولى

من حسنات الاستقلال انــه اعاد الينا حقنا الطبيعي في الالتفاق جنوداً احراراً تحت راية وطننا ، الحق الذي فقدناه منذ السنة الستين وحوادثها المشؤومة ، حيث فرض علينا نظام قضى بنزع السلاح من ايدينا ، والاكتفاء بقوة بوليسية صغيرة للحفاظ على امننا الداخلي ، على اعتبار ان لحدودنا حرمة لن يعتدى بعد عليها ، بضمانة كبريات الدول آنذاك وفي جملتها الدولة العثمانية .

واستتب امننا الداخلي في الواقع بفضل النظام المذكور الى العام ١٩١٤ ، وكدنا ننسى حاجتنا الى السلاح للذود عن حياضنا ، حتى اعتدى الأتراك أنفسهم علينا متناسين العهود والمواثيق ، فدخلوا الى ارضنا دخول الغزاة دون ان يلقوا اية مقاومة ، ولم يكن لنا ان نقاوم وليس في ايدينا سلاح ، والنظام الذي نزع سلاحنا افقدنا في الوقت نفسه روح الجندية .

واذ ننظر اليوم الى جيشنا الصغير ، الذي وقف سلاحه للذود عن كياننا ، تداخلنا الطمأنينة الى ان حدودنا لن تباح لمعتد ، وان لم يقو هذا الجيش لصغره على رد اعتداء الاقوياء فيكفي ان يسجل ، بوقوفه في وجه اية قوة معتدية ، اننا شعب يعرف كيف يموت ذوداً عن حقوقه وكراماته الغالية .

وللتاريخ نقول : ان الفخر في تأليف نواة جيشنا يعود الى المغتربين ، مما يدل على ان هؤلاء لم يكتفوا ببذل المال لوطنهم الأم ، ولا بالعاطفة النبيلة يغمرون هذا الوطن بها في كل سانحة بل انهم لم يترددوا في حمل السلاح متطوعين ، حين دعاهم صوت الواجب لنصرة قومهم وذويهم في اشد ايام المحنة .

وفيما يلي مقتطفات من كتاب عنوانه «مذكرات جندي» لأحد ناشري هذه المجموعة الأستاذ عبدالله حشيمه يلقي نوراً الواقع الذي تريده للتاريخ جلياً مجرداً :



سعادة اللواء الأمير فؤاد شهاب

قائد الجيش العام والجندي المتفاني في خدمة وطنه باخلاص وتجرد وتواضع

١ – صوت الواجب

في اليوم الأول من العام ١٩١٥ ، ركبت البحر من بيروت الى مصر ، وانا احسب ان الحرب لن تطول ، وأعود بعدهــا الى الوطن لمتابعة دروسي التي اضطرني وقوع تلك الحرب الى الانقطاع عنها .

ومر عامان ... وأخبار لبنان الفاجعة تقض علي مضجعي ، من الجوع والعري والتشرد ، الى النفي والاعتقال والشنق ، الى العبث بالحق والكرامة والعرض ، الى ... وأية نكبة تلك التي لم يرو التاريخ عن مثلها ، ولا حول لنا نحن المغتربين ولا طول على نجدة من تطحنهم رحاها ؟

وقيل ان حملة من الجيش الفرنسي تتهيأ للزحف على سوريا ولبنان لانقاذهما ، وستؤلف فرقة خاصة باسم «الفرقة الشرقية» لمرافقة ذاك الجيش في زحفه ، ولمن شاء من اللبنانيين والسوريين ان ينخرط فيها .

ودعانا صوت الواجب فلبينا .

ووقعنا بكل طيبة خاطر عقد تطوعنا « لمحاربة الاتراك في الشرق » وفي صباح ٧ أذار ١٩١٧ ركبنا القطار من القاهرة

الى بور سعيد ، وارتدينا هناك الثوب العسكري ، وتسلمنا السلاح الذي كان حمله كافياً ليبعث فينا الشعور بان عهداً جديداً قد ابتدأ في تاريخنا .

٢ ـ نحو الشمال

كنا اربعة وعشرين فتى .

وبعد ثلاثة اشهر بتنا نحواً من مئتين ، عن انضم الينا من الاخوان المتطوعين من اميركة وأفريقية ولم يكن يهمنا العدد بقدر ما تهمنا الروح التي تسودنا .

فتى نمشي . . . الى الوطن ... الى جبهة القتال ، لنكتب بدمنا الصفحة التي لا بد من كتابتها ، ليكون لنا حق الحياة في جانب الشعوب الحية ؟

لقد تغير المنهج ... تغيرت الخطة ... والسياسة الدولية تلعب دورها ، فالحملة الفرنسية لن تذهب الى سوريا ولبنان ، وهناك ميادين اخرى تحتاج اليها ، والبلقان في مقدمة هذه الميادين .

ونحن ... من يحسب لنا حساباً ؟

علينا ان ننتظر ، والأفضل ابعادنا عن مصر ، البعض الى جزيرة ارواد ، والبعض الاخر الى جزيرة قبرص ، فالانتظار هناك يقربنا في الاقل من جو بلادنا .

٣ ـ في مملكة اراد

هذه « أراد ــ ارواد » وأنا فيها .

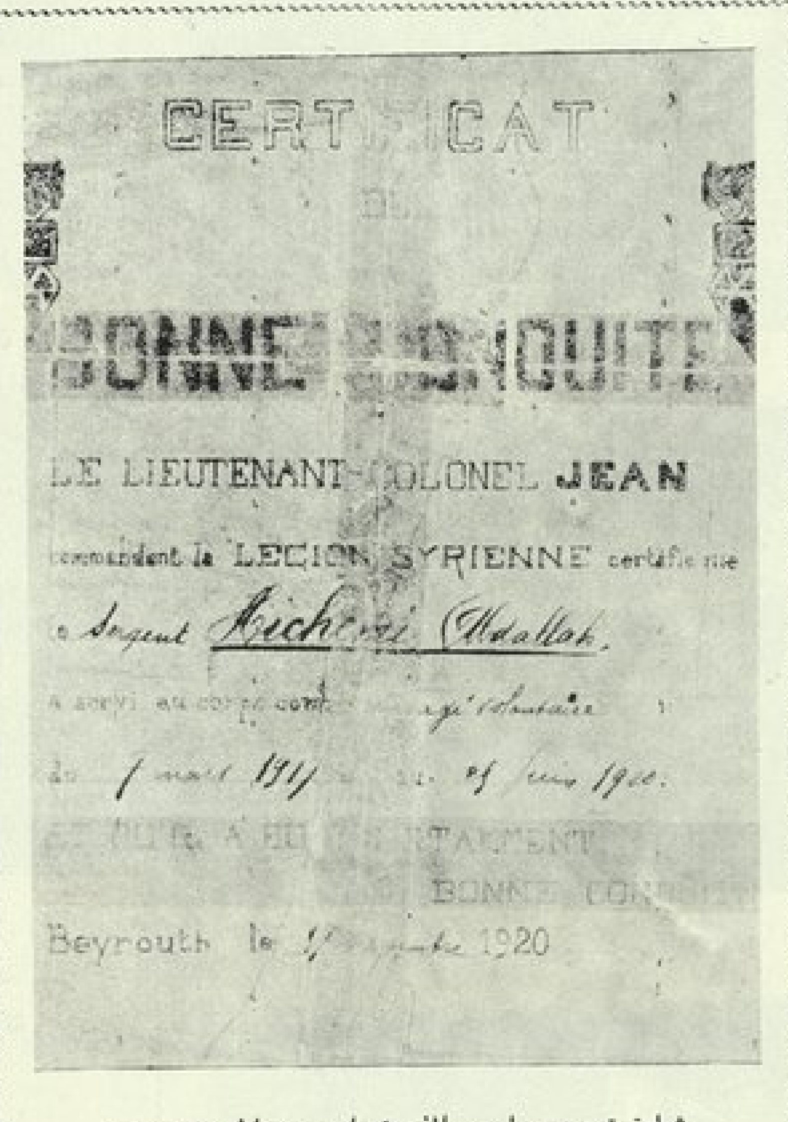
وهذه الجزيرة الصغيرة جداً ، هذه الصخرة العريقة بتاريخها كانت في قديم الأزمنة مملكة ، عاصمة مملكة بحرية قادرة ، ومن آثارها ما يذكرني بقدمها .

سبعة اشهر اقمنا فيها .

وفيها « تعمدنا بالنار » حيث ان قواة البر التركية ، وبين هذا البر وبيننا ثلاثة كيلومترات خطاً مستقيماً ، الا ان تطرنا ذات يوم وابلاً من قنابل مدفعيتها .

وفيها ايضاً كان القومندان ترابو حاكماً ، وأتيح لي ان اعمل في ديوانه ، وان اؤدي له بعض الخدمات ، ولما دعينا الى مغادرة الجزيرة تذكر خدماتي ، فقال لي بالحرف الواحد :

ــ اذا قدر لي ان احتل مركزاً في لبنان ، بعد ان ندخله منقذين ، فأرجو أن اكافئك على خدماتك .


CERTIFICAT
DE
BONNE CONDUITE
LE LIEUTENANT-COLONEL JEAN
commandant la LEGION SYRIENNE certifie que
le Sergent Michel Abdallah
a servi au corps comme volontaire
du 1 mai 1917 au 21 Juin 1920
BONNE CONDUITE
Beyrouth le 1920

شهادة تسريح صاحب الذكرات من الخدمة ١٩٢٠

٤ ـ علم الفرقة

من ارواد الى قبرص ، ومن قبرص الى بور سعيد . ومن هذه الى فلسطين ، الارض المقدسة .

ونحن الان جنود حرب .

وقبل ان تغادر بور سعيد ، اقامت لنا جاليتها حفلة وداع وسلمتنا علماً جميلا بات منذ ذلك اليوم علم فرقتنا ، والعلم هذا مؤلف من لونين افقيين ، اسفلها احمر واعلاهما أبيض ومن الاحمر تشرق شمس ، وعلى الأبيض كتابة « الفرقة السورية » .

وفي العلم رمز ...

٥ - في فلسطين

أقمنا في فلسطين ، بين الرملة واللد ، ثمانية اشهر ونيف وافكارنا القلقة منصرفة الى الجبهة الغربية .

وفي جبهتنا هدوء .

وفرقتنا الصغيرة التي لا يجاوز عددها المئتين والخمسين تضيع في خضم الجيوش البريطانية .

انها فرقة رمزية .

ولكنها في أي حال تتهيأ للحرب ، وسواء اكانت قلة أم كثرة ، فانها ستشترك في عملية الانقاذ ، وسيكون لها هذا الشرف .

ولكن ... متى؟

٦ - واخيرا المعركة

المعركة الوحيدة .

ولكنها المعركة الفاصلة .

وقبل ان نخوضها زارنا القائد العام الجنرال اللنبي ، وتنازل الى مخاطبتنا والسؤال ... عن اشياء كثيرة تهمه معرفتها ... وعندي ان غير « مجرد المعرفة » ما يشغل اهتمامه .

والمجال ليس للتكهن والسياسة .

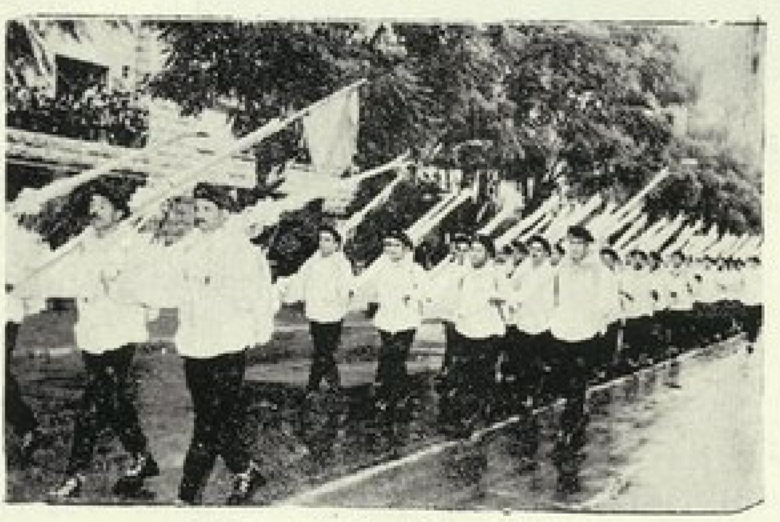
ونحن في مكان يدعى «رفح».



طلاب المدرسة الحربية في عرض بديع



فرقة من المشاة تسير بفخر بصفوفها المنظمة



فرقة المتزلجين وقد كانت ولا تزال في جبهة البطولة

ويوم ١٩ ايلول ١٩١٨ يطل بالنصر علينا ، بعد معركة ليست في اي حال معركة المارن او معركة فردون ، ومع ذلك فقد سهمنا فيها كأية فرقة من الفرق التي خاضت غمارها .

وسهمنا في الوقت نفسه بانقاذ وطننا .

٧ – نحو الوطن

نمشي والطريق تطول .

الى بيروت ... اصحيح اننا سنصل اليها ؟

واذا كانت حيفا قد استقبلتنا بالزغاريد ونثر الازهار ، فأي استقبال سيكون لنا هناك ... في بيروت ؟

وانفصلت عن الفرقة في عكاء .

لقد عينت اوامر عليا حاكماً عسكرياً فرنسياً لطرابلس ، والتعيين لسباق سياسي . . . وعينتني في جملة معاونيه ، وسرني التعيين هذا لأمرين : للتخلص من السير المضني الذي نعانيه مشاة ، ولقرب مشاهدتي بيروت التي سأبيت فيها ، بفضل السيارة التي ستطير بي اليها .

٨ – بيروت ...

الساعة العاشرة ليلا .

وانا الان في بيروت ، في عروس الجبل الاخضر ، وهذه جناتها وشوارعها وبيوتها ، ولكن ... أين السكان ؟

وانا في ساحة الاتحاد .

أي اتحاد ؟

بالأحرى ساحة الشهداء .

وامر بها وكأني امر في قبر ، بله في مقبرة تتراءى فيها



فرقة المصفحات ...



فرقة الدبابات ...

اشباح ، اشباح أموات باتوا في القبور وأشباح احياء قبرهم هذه المدينة التعسة .

وانا في الليـل .

أبعد اللهم عن عيني رؤية الصباح ...

عبد الله حشيمه

اللبنانيون رجال حرب وشدة
من شواهد التاريخ على ذلك الى يومنا هذا

- ١ -

ولما توافر المال بين يدي فخر الدين عزز جيشه ونظم اموره واشتد الخصام بينه وبين والي دمشق مصطفى باشا، فجمع هذا اثني عشر ألف مقاتل، وزحف على لبنان يحاول اخضاع أميره، وما ان بلغ وادي الحرير، واقام معسكراً له عند نبع عنجر، حتى انقض عليه فخر الدين بخمسة آلاف جندي، فشتت شمل جيشه في ساعات معينة، مما اضطر الوالي الى الاستسلام له.

- ٢ -

وقام في عكا وال طاغية هو احمد باشا الجزار، واضطر الامير بشير الكبير الى السعي للتخلص من فساده، فعزز مكانته السياسية الداخلية بحكمة ودهاء، وربط قسما كبيراً من شيوخ الاقطاع بشخصه، واصبح - بشهادة مابقي من الاوراق السرية في سراي عابدين - يمثل اعظم قوة عسكرية في «بر الشام» ينزل الى ساحة الحرب عشرة آلاف فارس لبناني في عشرة أيام، واشتهر فرسانه بشجاعتهم وشدة بأسهم، وبمهارتهم في استعمال السلاح الابيض واطلاق النار.

- ٣ -

وطمع يوسف كنج باشا والي دمشق في السنة ١٨١٠ بحكم البقاع، وكانت موقعة داريا بالقرب من دمشق، فانهزم الوالي التركي وفر الى اللاذقية ومنها الى مصر ... وحذا حذوه درويش باشا في السنة ١٨٢١، وطالب بالبقاع لضمه الى ولايته، فكانت موقعة المزة التي وضعت حداً لطمعه.

- ٤ -

وفي السنة ١٨٣١ حارب اللبنانيون والمصريون جنباً الى جنب، وانتصروا في عدة مواقع على الجيوش العثمانية ... ثم كانت الثورة على المصريين، ومثل الثوار اللبنانيون فيها دورهم بشجاعة نادرة، مما أدى الى انسحاب المصريين من بلادهم.

- ٥ -

وفي ١٩١٧ - ١٩١٨ حارب المتطوعون اللبنانيون في في صفوف الحلفاء، ولمعت فرقتهم بصورة خاصة في رفح وطول كرم ... وفي السنة ١٩١٨ اصبح هؤلاء المتطوعون مع اخوانهم السوريين نواة الجيوش الخاصة في الشرق، وفي السنة ١٩٢٠ بدأت المدرسة العسكرية في دمشق تغذي هذه الجيوش بالضباط، ثم انتقلت الى حمص في السنة ١٩٣٢.

- ٦ -

وفي الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) اشتركت جيوشنا الخاصة في جميع العمليات الحربية، وفي مجمل جبهات الشرق الأوسط، وفي حوض البحر المتوسط، وفي النورماندي والالزاس وألمانيا.

- ٧ -

وكان من جراء الاتفاقين اللبناني الفرنسي والسوري الفرنسي في السنة ١٩٤٥ ان انتقلت الجيوش الخاصة المذكورة الى القيادتين اللبنانية والسورية ... ومنذ ذلك التاريخ والقيادة اللبنانية تعنى بتنظيم جيشها على اسس جديدة، وتموينه باحدث المعدات، وبتدريبه للدفاع عن سلامة اراضي الوطن ... وقد برهن هذا الجيش في موقعة المالكية، في الخامس والسادس من حزيران ١٩٤٨، على تعاضد وتكاتف وانضباط شديد في خطوط النار، مما ادى الى نجاح هجومه على مراكز العدو والاستيلاء عليها في الوقت المعين.

نيا في كتاب «؟»



الصحة .. والجمال
وبيرة «لذيذة»
ينتظرونك في لبنان
Laziza
BIERE de LUXE
في لبنان مقاه وفنادق ومطاعم كثيرة ، تشرف
على مناظر ذات جمال خلاب .. وبيرة
لذيذة في مثل هذا الجو الساحر
تضاعف سروركم وتزيدكم بهجة وانشراحا
بيروت تلفون : ٥٨ - ٦٣
وفي موسم الاصطياف بلبنان تكثر اقامة
الحفلات الكبرى .. وفي هذه المناسبات ايضا
بل وفي كل مناسبة ستجد ان بيرة لذيذة
هي التي تنعشك وتبعث فيك السرور والانشراح
ص . ب : ٧٦٢

رحلة في دنيا اغترابنا

لقد كانت الرحلة الى اميركا حلماً في خاطري ، منذ ان تمت برحلتي الافريقية ، في العام ١٩٢٩ – ١٩٣٠ ، ووضعت مؤلفي « في بلاد الزنوج » عنها ، وعن مغتربينا النازلين ربوعها فكنت ارى نفسي تارة بين ناطحات سحاب نيويورك ، وطوراً على ضفاف الأمازون والريو دي لابلاتا ، وحيناً على قمم جبال الاندس وسفوحها ، وآخر امام أهرام المكسيك أقابل بينها وبين أهرام مصر ، واتساءل : « ترى اية صلة بين من بنى هذه ومن بنى تلك ، واني نجد الدليل على هذه الصلة ؟ » .

وتحقق في الآخر حلمي... فغادرت لبنان قاصداً الى مصر ومنها الى باريس ، ومن هذه الى ريو دي جانيرو ، فكانت البرازيل البلد الأول من بلدان العالم الجديد الذي فتحت عليه عيني ، وطالعت فيه ما طالع اسطفان زويك في مؤلفه « البرازيل أرض المستقبل » .

واسطفان زويك كاتب يهودي كبير ، فر من النمسة قبل الحرب العالمية الأخيرة خوفاً من النازيين ، ولجأ الى البرازيل حيث وضع مؤلفه المذكور ، ثم انتحر وزوجته في متروبوليس – مصيف العاصمة ريو دي جانيرو – على اثر الانتصارات العديدة الخاطفة التي احرزها الجيش الهتلري في بدء الحرب .

●

وما انتهت الرحلة هنا ... فأنا بعد في الأرجنتين ، وفي جارتها الشرقية الحلوة الأوروغواي ، ثم في شيلي بلد الجبال والأربعة آلاف كيلو متر طولا على شاطىء المحيط الهادىء ، ثم في البيرو حيث خلف الاسبان ابدع واثمن آثارهم الاستعمارية ، ثم في كولومبيا – غرناطة الجديدة – التي اتخذها بوليفار بعد حركته التحريرية مقراً ، ثم في بناما رابطة المحيطين بقناتها المشهورة ، ثم في المكسيك وريثة حضارة الازتكاس وقاتلة الأمبراطور مكسيمليان واخيراً في الولايات المتحدة ...

يقول لعلم الخفاق في يده
فيء من الارض ما تختار يا علمُ

●

ولن اتعب القارىء بمرافقتي في هذه الرحلة التي استغرقت ثلاثين شهراً ، ولن احمله أية نفقة مادية لقاء ما سأوفر له خلالها من افادة ومتعة ، وأي متعة وافادة توازي متعة التنقل من بلد الى آخر ، وافادة الاطلاع على تواريخ البلدان وخصائصها وميزاتها المختلفة ، في عالم يزخر بالحيوية والجمال وكل اسباب المدنية والحضارة ؟

●

ولن اقتصر في ما سأقص على القارىء على مشاهد البلدان التي زرتها فقط ، فهناك ايضاً – في البلدان التي ذكرت – جاليات لنا عزيزة ، جاليات ضربت بسهم وافر في الغنى المادي والأدبي ، وبنت لوطنها الأم صرحاً عالياً في دنيا العزة والمجد ، فأنا اذ احدث عنها فانما أحدث عن اسطورة اشترك في وضعها طموح وثاب وعصامية فذة .

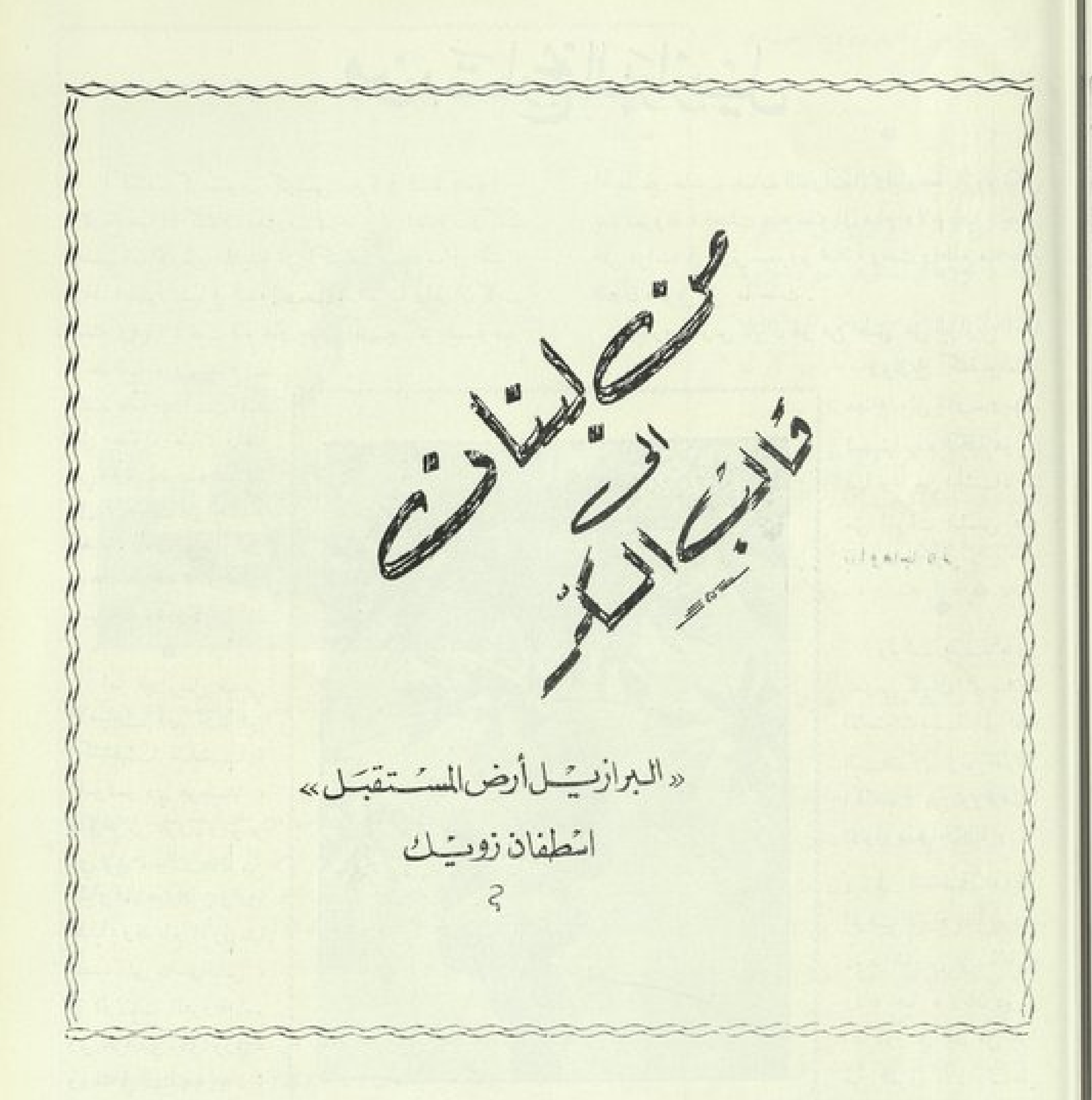
وعصامية تلك التي حملت ابناء الجاليات المذكورة على

الاغتراب ، فتفرقوا فقراء ضعفاء تحت كل كوكب ، حتى اذا جد جدهم رأيتهم اغنياء اقوياء ورأيت فيهم التاجر والصناعي والأديب والصحافي والعالم ، وراحوا بطموحهم الى ابعد من هذا ، فاذا هم موظفون ونواب وحكام وقادة بر وبحر وجو ، واذا هم فوق ذلك اقطاب فانون وطب وهندسة وفن ، ويرد الفخر الينا والى العلم الذي يرفرف فوقهم وفي كل مكان مزهواً بهم .

واغتنمها فرصة لأذكر المقيمين بأولئك الاخوان، وانا من القائلين أبداً بوجوب توثيق الصلات بهم ، وما تكفي لذلك الخطب والرسالات والعواطف توجيها من حين لآخر اليهم ، فالخطب والرسالات والعواطف — مهما يكن وزنها — لا تجمع شملا ولا توحد كلة ، وعمل واحد نقوم به في هذا السبيل يغني عن ألف خطبة ورسالة ...



بكفيا مدينة الازهار ، وهي من اوليات المدن اللبنانية التي كان للاغتراب اكبر فضل عليها



لفت نظر

فصولنا التالية من سلسلة مؤلفات لأحدنا الاستاذ عبدالله حشيمه عن اميركا وافريقية وجالياتنا النازلة فيها ، والسلسلة معدة للطبع في ثمانية اجزاء ... ومن مطالعة هذه الفصول يتبين قدر المؤلفات المذكورة التي قضى صاحبها سنوات في الرحلة والدرس لوضعها .

مِن تاريخ البرازيل

اكتشف كريستوف كولمبس اميركا في السنة ١٥٠٢ — وتاريخ هذا الاكتشاف معروف لا يحتاج الى اعادة ـ وكان يحسب ان الارض الجديدة التي اكتشفها ليست سوى الهند ، ولهذا اطلقوا عليها في البدء اسم « الهند الغربية » الى ان كانت السنة ١٤٩٨ ، حيث قام بحار يدعى اميركو فيسبوسيو برحلة اليها ، واستطاع ان يثبت علمياً انها ليست الهند التي يبحثون عنها ، وانما هي قارة جديدة مستقلة كل الاستقلال عن العالم القديم ، فاقتنع رجال العلم بصحة نظريته ، واطلقوا عليها اسمه « اميركا » .

●

اما البرازيل فيدعي الاسبان انهم اول من اكتشفها ، بشهادة الفونسو دي هوجيدا ، والاخوين بنزون وديوغو دي لوبي ، والثلاثة من كبار الملاحين الذين رادوا الدنيا، وقد بلغ الأول منها مصب نهر داسبرانياس ، في الولايات المعروفة باسم ريو غراندي دي نورتي ، وذلك في السنة ١٤٩٩ .

وفي ٣ نوار ١٥٠٠ اهتدى بدرو الفارس كابرال البرتغالي اليها . . وكان هذا قد ابحر بعمارة الى الهند ، ولدى وصوله الى الرأس الاخضر ـ كابوفردي ـ من سواحل افريقية الغربية أراد ان يتجنب هذا المكان ، خوف الامراض والاخطار التي كان قد شاع خبر انتشارها فيه ، فاتجه بعمارته الى عرض المحيط غير حاسب حساب التيارات الاوقيانوسية التي لم تكن بعد معروفة ، فحملت هذه سفنه الى مياه ولاية باهيا ، حيث القى مراسيه في بورتو سيغورو محتلا ، وبعث واطلع مليكه الدون مانويل على ما حدث .

وبدرو الفارس كابرال هو من اطلق على البرازيل اسمها — وبرازيل كلمة برتغالية معناها مثل النار ـ وسبب تسميتها بهذه الكلمة هو ان فيها نوعاً من الخشب الاحمر متى اشرقت الشمس عليه بدا وهاجا كالجمر .

من اشجار البرازيل وفاكهتها « ماو ماو »

●

وتوالت بعد بدرو الفارس كابرال الرحلات الاستكشافية الى تلك البلاد ... ومن اطرف الحكايات عن روادها الاول هذه الحكاية :

في السنة ١٥١٠ اغرقت الانواء سفناً يقودها ديوغو الفارس على شاطيء ولاية باهيا ، وكان ديوغو المذكور في جملة من نجوا من الغرق فلاذ بالساحل حيث عثر ببرميل بارود مما قذفت الامواج اليه .

وشعر الهنود المتوحشون بوجوده فاقبلوا يريدون الفتك به ، فما كان منه الا ان صوب بندقيته الى طائر في شجرة ورماه فذعر مهاجموه لذلك وصاحوا « كاراموروا » — ومعناها النار او التنين الصاعد من البحر — وخروا له ساجدين ، وبات منذ

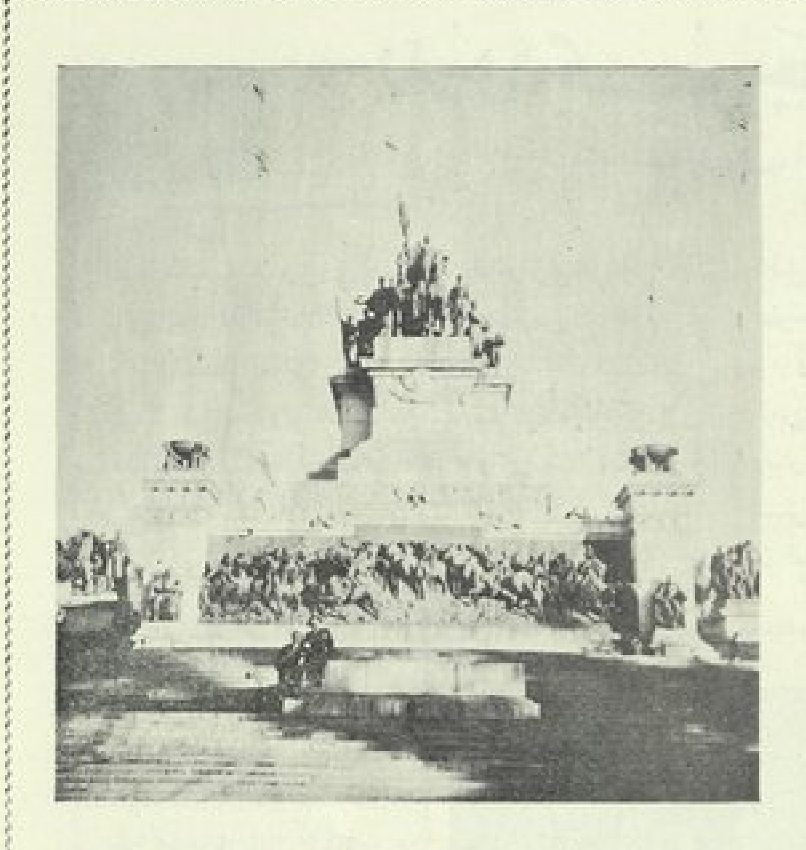
ذلك الحين من آلهتهم وتزوج احـدى اميراتهم .

●

وفي علم بعض المؤرخين ان عرب الاندلس عرفوا البرازيل قبل سواهم ، وقد ذكروها في اخبارهم باسم « الجزيرة الخضراء » وهناك من يزعم ان ملاحيهم هم الذين دلوا بدرو الفـاوس كابرال عليها ، فهذا في زعمهم لم يكن ملاحـاً عالماً بالطرق البحرية وقواعد السير فيها ، ولم تكن قصة الانحـراف عن الرأس الاخضر ، وحمل التيارات الاوقيانوسية سفنه صدفة الى هنـاك ، سوى اختـلاق مقصود لصرف الافكار عن الواقع .

ولا يستبعد هذا ... فدولة العرب في اسبانيا والبرتغال انما كانت دولة علم وثقافة ، ولئن كانت الاحداث السياسية قضت عسكرياً عليها ، واعادت الارض التي احتلتها ثمانيـة قرون متوالية الى اصحابها فمما لا شك فيه ان اثرهـا العلمي والثقافي ظل يعمل هناك ، وان الكثيرين من حملة هـذا الاثر ساهموا في بنـاء الدولة التي قامت على انقاض دولتهم .

●



هذا النصب التذكاري للاستقلال ، في حديقة قصر ايبرانغا ، يحتوي كل معاني الفن والجمال والوطنية .

انه لقطعة حية من التاريخ .

تقف امامه فترى الحوادث تمرّ ، في موكب من حماسة شعب تطلع الحرية ، ومشى اليها على طريق تزخر بالتضحية ، حتى اذا ارتوت الارض من دم شهدائه ، وامتلأت صفحات التاريخ بأخبار بطولتهم ، فتح عينيه على دنياه فاذا هي الدنيا التي ارادها في حمى نضاله لأجياله الاتية .

ما بكى النصب على موتاه الاحياء .

الانصاب هنا لا تبكي .

الانصاب هنا تضحك للفجر المطل ، وتعصر من كرمة الالفة خمراً ، فعلى من يقف امامها ان يرتفع عن الارض ، وان يرى فيها دنيـا ارواح اطلقت بالموت حياتها من قيود المادة . . .

ريودي جانيرو

اجمل مدينة في الدنيا

مما لا شك فيه ان ريو دي جانيرو عاصمة البرازيل هي اجمل مدينة في الدنيا ، وموقعها الجغرافي وطبيعة الارض التي تقوم عليها مما في مقدمة اسباب جمالها ، فالبر والبحر يلتقيان فيها بشكل لا مثيل له ، وقد يحار الناظر اليهما متعانقين متشابكين بين هضابها ، وحول هذه الهضاب الخضر ، في اي منهما كان علة الابداع في تصويرها ، وفي تلوين صورتها التلوين الذي ضنت به الطبيعة على سواها .

واذكر اني التقيت المصور الروسي ايفانوف ، وهو من كبار المصورين العالميين ، فسألتـه عن رأيه في مناظر هـذه المدينـة الساحرة ، فقـال : « لقد عرفت مواطن الجمال في الدنيـا واقمت زمناً على ضفاف البوسفور ، حيث للطبيعة سحرها الخاص ، فما وقعت عيناي قط على مناظر كهذه ... واعترف باني مـا صورت منظراً منهـا الا تعمدت تشويه الوانه ، لئلا أتهم - وانا اعرض غداً لوحاتي في اوروبا وسواهـا - بالمبالغة ، لان الواناً كهـذه لا ترى العين مثلها في اي مكان » .

●

وهضاب الريو الساحرة تمد سلسلتها في قلب المدينة وحواليها ومنها ما يعلو عن سطح البحر نحواً من ٨٠٠ متر ، ولكل منها خصائصها وصورتها البارزة في مخيلة الاهلين ، فهذه مثلاً هضبة الكور كوفادو - اي الاحدب - وتلك هضبة قـالب السكر ، وغيرها هضبة كرسي الامبراطور ، وسواها هضبة نهدي العذراء ، الخ ...

وتغطي بعض هذه الهضبات غابات قديمة العهد ، ذات اشجار باسقة ضخمة ، وتتدفق منها شلالات مياه عذبة اهمها شلال المنظر الجميل - البوافيستا - الذي يمون قسماً من المدينة بمياهه ، وعلى سفوحها دارات لذوي الثراء ، وحدائق لا تمل العين رؤيتها .

وعلى قمة الكور كوفادو - اعلا القمم كلها - تمثال مسيح الريو ، اكبر تمثال من نوعه ، ينتصب على قاعدته الجبارة ، ويبارك المدينة بيديه المبسوطتين ، ويصعد اليه بحافلة كهربائية تتسلق الهضبة بطريقة هندسية خاصة ، ومما يؤثر عن هذا التمثال ان العلامة ماركوني اناره يوم تدشينه لاسلكياً من ايطاليا .

وفي اعلى قمة قـالب السكر متنزه ومقهى ، وهناك مصعد معلق بسلك فولاذي ضخم ينقل المتنزهين اليها ، وجدير بالذكر ان هـذا المصعد الغريب ، والذي يخشى ركوبه من لم يتعوده ، قد صنع منذ خمس واربعين سنة ولم تقـع له ولراكبيـه الى الان حـادثة واحدة .

ومن مفاخر الريو شاطيء الكوباكابانا ، فهذا الشاطيء الجميل ذو شهرة عالميـة ، وقد تغنى به الكثيرون مـن الشعراء ، فهو بناطحات سحابه وقصوره ونواديه الذهبية مقر الاثرياء من ابناء البلاد وسواهم ، وبرماله ومياهه الصافية ملتقى الالوف من عشاق التريض بالاستحمام ، ولأحد شعرائنا قصيدة في وصف غانياته الفاتنات مطلعها :

خلعن الحرير وما تحته   فكدنا نهم بخلع الحيا ...

ومما يستحق الذكر ان معنى الكوباكابانا قبة الكوخ ، والقسم الاول من الكلمة « الكوبا » تحريف القبة العربيـة ، وفي اللغة البرتغالية - على ما يقول علماء هذه اللغة - سبعـة الاف كلمة من اصل عربي .

مسيح الريو

على قمة هضبة الكور كوفادو

ومواطن الجمال والفتنة هنا بعد كثيرة.

ففي فورناس — مغاور — دي اغاسيس تعيش ساعة في التاريخ فتتمثل الهنود الحمر قبل البيض على المسرح ، يهدهدون احلامهم في الغابة البكر ، حتى اذا دوهموا نفروا الى الوعر ، وجعلوا من مغاورهم هذه حصوناً تتحطم دونها حراب مداهميهم .

ويستقبلك الشعراء في كهفهم على الشاطيء حيث استقبلوا من قبل ملوكاً ، فتبيت من دنياك في دنيا تنسيك كل ما بنت المادة ، وما ترى بعد حواليك الا كل ما انزل من عالم الروح للروح .

وتتوغل بعدها صعداً الى حديقة آل غنلي ، وقد قدمها هؤلاء متنزهاً للمدينة ، وترى ما ترى فيها من بدائع اشتركت في تكوينها وتلوينها يد الطبيعة ويد الانسان الخيرة ، ويقع بصرك على اتباع الاله كيوبيد يغفون على احلامهم بين بدائعها ، فان تكن منهم باركت ، وان لم تكن منهم ادرت وجهك ولم تلعن ، لانك ان لعنت الحب في ريودي جانيرو فقد لعنت كل شيء فيها.

●

ولتكن خاتمة مطافنا في ساحة باريس « براسا باريس » حيث يلتقي الجمال بالفن ، وتلتقي الروح البرازيلية بالروح الفرنسية في دنيا تحالف الليل والنهار على خلق فتنتها ، فما انت في نهارها سوى ما انت في ليلها مأخوذ مسحور ، وكل ما فيها يبعدك من دنياك ، مهما تكن علاقتك وثيقة بهذه الدنيا .

تبدأ الساحة هذه من قلب المدينة — من جوار قصر مجلس الاعيان — وتمتد على شاطيء طويل بحدائقها واحواض مياهها وازهارها وتماثيلها ، وللتماثيل فيها دنيا تزخر بالادب والشعر والفن والوطنية .

وللعشاق دنياهم بين هذه التماثيل ... فكأني بهم روح الادب والشعر والفن تنطلق من كل قيد ، ومتى انطلقت هذه الروح من قيودها فما هي بعد من دنيانا ، ومهما تكن نظرتنا الى اوربا فان نظرتهم الينا معروفة :

نظرة باردة قاسية ... فمن هذا الغريب ، يفتش عن نفسه بيننا وما هو منا ، وما شأنه في دنيا الادب والشعر والفن ، ان لم يجد فيها سوى تماثيل ، سوى جماد ابكم ، ولم يفهم اللغة التي ينقلها الشبه والحجر عنها الينا ؟

وعا هالسطيحه كل سهريي

الشاعر الريفي اسعد السبعلي

بجني نجوم الليل شو فيها ... سبحان خالقها وباريها
بالسما قناديل مضويي ... بتقدري بجني تعديها ؟
ومثل النعاج بارض بريي ... سارحه والبدر راعيها
ليكي القمر رفرف على المي ... وصورتو لليل هاديها
وحقولنا بالزهر مكسيي ... عكتاف ضيعتنا وروابيها
بكرا السفر يا نور عينيي ... خدودك على الهجران حنيها
مالي قلب اكسر قلب بيي ... ولا ضيعتي ودع اهاليها

●

خيي انت غلطان يا خيي ... كلمة سفر من تمك رخيها
ان رحت بدنا ندوب حنيي ... وقلوبنا تفقد امانيها
وامك بزت الدمع مسيي ... بالحزن ما بيسوى تكافيها
لين بدا تقول يا بنيي ... خيي.. وحيدا.. لاتجافيها
صارت على العكاز محنيي ... عليي انا بدك تخليها ؟

●

بجني تا اصبر ما بقا فيي ... بلادي بقلب وروح بفديها
حنت ع غيري وجارت عليي ... ومين متلي مجد عاطيها
خليتها للفكر غنيي ... بابيات عمتحكي قوافيها
وخلجات قلبي عطيتها هديي ... وماقابلت بالمثل هاديها ...

●

خيي معك بحكي بحريي ... ورقة فراق بلادك طويها
وعالسفر لا تصمم النيي ... بكرا الدني بتضحك لياليها
كل غفوي تحت هالفيي ... بتنسوا الغربي وكل ما فيها
وعاها السطيحه كل سهريي ... هموم الدني عنك بتجليها
جبالنا لوحات زينيي ... حكاية وطن حلوي معانيها
خليك عاهليت شمسيي ... بكرا بتجي ايام حلوي كثير

وكلمة سفر من بالك محيها !!!

الصحافة البرازيلية ونقابتها

لقد كان واجباً علي كصحافي ان ازور بيت الصحافة البرازيلية .

وكان رفاقي في هذه الزيارة ثلاثة من ادباء جاليتنا : جورج حسون المعلوف ، وميشال عضيمي ، وجان الوف ... والصحافي البرازيلي باسترا ، صاحب مجلة متروبول ، وقد عرفوه الي كصديق وقف قلمه ومجلته على الانتصار في كل ساعة لنا .

ومثل هذا الصحافي الصديق هنا كثيرون .

ولا بدع في ذلك ، فجاليتنا في الريو — مثلها في اي مكان آخر — ذات مكانة اجتماعية وأدبية فضلاً عن مكانتها المادية ، تحمل كل من جمعته بها رابطة على التمسك بصداقتها الى النهاية .

●

وبيت الصحافة البرازيلية مظهر مهيب من مظاهر التوثب الروحي ، فهو عبارة عن ناطحة سحاب من عشرة طوابق حديثة الهندسة والبناء ، فيها مكتبة ومعرض دائم للرسوم ، وقاعات للاستقبال والتمثيل والمحاضرات ، وفي اعلى طابق منها حديقة ومطعم يتردد اليه اعضاء البيت وضيوفهم ويقيمون فيه مآدبهم وحفلاتهم .

وعدد الذين ينتمون الى هذا البيت ٤ آلاف صحافي واديب وكاتب وشاعر ، والحكومة تقدم له اعانات سنوية قيمة ، وفيه عدا من ذكرت من جنود الادب والفكر اطباء ومحامون متطوعون لخدمة المنتمين اليه بالمجان .

●

وهذا كبير البيت يستقبلني مرحباً باسم الصحافة التي يمثلها والاربعة آلاف الذين يرئس مجلس نقابتهم ... وهربرت موزس رجل متوقد الذهن ، يعرف كيف يكون رئيساً لهذا الجيش من ارباب الفكر والثقافة وقد حدثني الرفيق باستواعن شخصيته قبل ان اراه ، حتى اذا التقيته شعرت بالقوة الكامنة فيه ، والتي بها يضطلع باعباء مسؤولياته .

وحدثني عن مصر التي زارها في السنة ١٩١٤ ، واسفه الشديد على انه لم يزر آنذاك لبنان ، وحملني رسالة الى الصحافة اللبنانية بعثت بها على الاثر الى نقابة صحافتنا ، وللتاريخ اعيد نشر تلك الرسالة :

●


تمثال بائع الصحف
في ريو دي جانيرو

نقابة الصحافة البرازيلية
نيسان ١٩٤٧

الى الصحافة اللبنانية .

ان نقابة الصحافة البرازيلية — اقدم مؤسسة من نوعها في البرازيل — تلقت بسرور زيارة الصحافي السيد عبد الله حشيمه ، صاحب « العرائس » اللبنانية ، وكلفته ان ينقل الى الزملاء الكرام حديث الحفاوة التي يلقاها مواطنوهم هنا ، والكرامة الموفورة للجالية اللبنانية لدى صحافة البرازيل ونقابتها .

فهذه النقابة ، تعبيراً عن شعور اربابها وكل من ينتمي اليها ، تكل الى حامل رسالتها هذه ان يحيي باسمها صحافة لبنان والعاملين فيها .

رئيس — هربرت موزس

●

وكما دعاني الواجب لزيارة بيت الصحافة هكذا دعاني لمصافحة الرجل الوحيد الذي يعمل الى الآن في حقل صحافة الجالية ، وطاب لي في الاكثر ان احيي صاحب « بريد الشرق » نخله الخوري ، باسم اخيه الاخطل الصغير ، فاذا بالرجل يلتقيني بعاطفة حرى ليرد التحية باحسن منها .

لقد نشأت هنا — في ريو دي جانيرو — صحافة عربية ، واول صحيفة انشأها باسم « الرقيب » نعوم لبكي واسعد خالد ، في السنة ١٨٩٦ ، وعدد الصحف التي صدرت بعدها الى الآن ٣٧ صحيفة ، لم يبق منها سوى « بريد الشرق » هذه .

ولبثت « بريد الشرق » بالصحيفة الكبرى التي تنفق ومركز الجالية ، ولكنها — على صغرها وضعتها وتبرم الناس

بها – ذات قيمة معنوية ، فهي رمز جهاد وتضحية اكثر منها معن ثروة مادية ، وعناد صاحبها واصراره على اصدارها معناه العناد والاصرار على ان يكون للجالية ولو « شبه صوت » يعبر عن شعورها ويردد صدى كلماتها .

●

وفي الجالية صحافيون غير نخلة الخوري الا ان لغة معظمهم غير لغتنا وصحفهم غير صحفنا ، منهم راجي باسيل المحرر في جريدة « برازيل برتغال » وداود ندمر الذي يتهافت الجمهور على قراءة كتاباته في مجلة « أو كروزيرو » وطنوس البستاني المحامي وصاحب مؤلفات يحاول ان يجعلها معرضاً للقيم اللبنانية .

وفي مقدمة شعرائنا وادبائنا هنا نسيم الخوري وشكرالله الجر ... ونسيم هو صاحب القصيدة الجميلة التي نشرت مطلعها في وصف غانيات الكوباكابانا ، وأما شكرالله فصاحب مجلة « الاندلس الجديدة » التي اصدرها زمناً وانصرف بعدها الى التجارة ، وما اخال احد من قراء العربية يجهل شعره وشاعريته .

●

وما دمت في دنيا الصحافة والادب فلا بد لي من ذكر الدكتور حبيب اسطفان ... الخوري يوسف اسطفان ... تجني السياسة عليه ، فينزع منها الى عبقريته الادبية ، فاذا هو ملء العالم الجديد بادبه وعبقريته ، يتسابق الكبراء والعظماء الى التقاط درر بيانه ، حتى اذا خر صريعاً في حومة جهاده كان اول ما تناساه اولئك الذين اورثهم غار انتصاراته ومجده .

وهنا تحت سماء البرازيل ، في ضاحية هادئة من ضواحي عاصمتها الجميلة ، ينام ذلك الرجل نومه الابدي .

ولولا اكاليل من الزهر يضعه بعض حافظي ذكراه على قبره ، ولولا سؤال يطرحه غريب مثلي « اين قبر الرجل ؟ » ولولا ان هناك من يذكر طريق ذلك القبر .. لولا هذا كله لما خطر لاحد ان في التراب المهمل هذا يقيم من بنى للجالية صرح عزتها الادبية .

●

ايها المغتربون :

كرموا ادباءكم ونوابغكم ، فأنتم نزلاء بلدان تقيم لامثال هؤلاء في كل زاوية تمثالا ... وحبيب اسطفان لا فارق عنده في ان ينام تحت التراب ام في قبر ذهبي ، فهو لم يبق من ابناء هذا العالم وانتم الباقون ... أفيليق بكم وبالامة التي انتم منها ان يقف الناس على قبور موتاكم ، ولا يجدون بينها – على كثره رخامها – رخاماً لعبقري ؟

بين أنياب الافاعي

«معهد «بوتانتان» الثاني من نوعه في العالم»

لقد وجدت هنا رفاقاً كرفاق الربو ... وهذا رفيق جديد اكتشفه واشكر ، هو الاديب الصحافي في الأمس والصناعي اليوم ميشال شاول الحايك ، وقد ابى الا ان يحملني هو الاخر دينا ، قال :

— اما اتاك حديث معهد بوتانتان ؟

في ضاحية جميلة من ضواحي المدينة تدعى بوتانتان تقوم بنايات هذا المعهد ... قال الرفيق ميشال يصفه لي :

— انه الثاني من نوعه في الدنيا ، فالهند لها شرف الاولية بمثله ، وفيه يستخرج الطب السم من انياب الافاعي ، ومن السم المستخرج يستحضر المصل الشافي من اللسعات .

وابى الا ان يمضي بي اليه .

ولولا رغبة حارة في كل جديد لما اكتفيت بسد اذني عن سماع اخبار افاعيه فقط ، بل لعجلت الرحيل ايضاً عن مدينة في ضاحية من اجمل ضواحيها تقيم تلك الزحافات الخبيثة الكريهة .

وها انذا بين الانياب قاطرات السم .

●

لقد كان العلم وما يزال في عراك عنيف مستمر لنصرة الحياة على الموت ، وما عرفت ساحة كهذه تهدد الاخطار فيها جنوده ، ويكفي ان يقف المرء لحظة حيثما انا واقف ، وان يحدثه محدث عن مهمة ابناء العلم هنا ، ليجمد الدم في عروقه .

مئات الحيات والافاعي من كل لون ونوع يحبس على السام منها في حجر زجاجية ، فتراها في حجرها سوداء صفراء خضراء حمراء رقطاء ، تحاول الخروج منها وما تجد سبيلاً لذلك ، وتحتدم غيظها فتندلع السنتها كأنها ألسنة نار ، وتقرأ على المحابس ما يدل على نوعها وجنسها وعلى ماهية السم الكامن في انيابها ، فما تنهالك من الابتعاد الى حيث يخيل اليك ان لا خطر عليك بعد من امثالها .

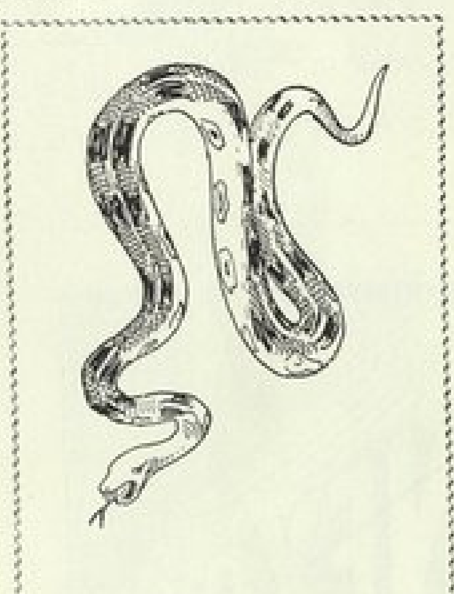
ولا مفر هنا من الخطر .

وان لم يكن من خطر ، فالرعب كل الرعب في ما ترى حواليك وفوقك ... فعلى يمينك ويسراك اوكار تخرج الحيات منها سارحة مارحة ، وتتسلق الاشجار التي تظلك وتتدلى على اغصانها ، وترى من تعودوا رؤيتها كذلك هادئين مطمئنين ، فتحاول ان تتكلف الهدوء والطمأنينة مثلهم وما تقوى على ذلك .

وتسمع وانت فيما انت فيه القصة التالية :

لقد اسس هذا المعهد طبيب عالم يدعى فيتال برازيل ، وكان له ولد نجيب درس الطب وتفوق فيه بدوره ، وراح يساعد اباه في عمله الانساني .

وبينا الطبيب الشاب يستخرج السم من حية ، من ذوات السم الناقع ، فاجأته اللعينة بلسعة نفثت فيها كل سمها ، فتراكض زملاؤه لانجاده بالمصل الشافي ، فقال لهم : « لا افادة من هذا » ومات .



●

تسمع القصة فما تقوى على البقاء هنا .

انها لقصة تضحية ينحني لها رأس العلم ورأس الانسانية .

ولكنها في الوقت نفسه تضحية مخيفة ، ما يقوى عليها سوى رسل العلم ممن وقفوا حياتهم على خدمة المجتمع ، المجتمع الذي يراهم يموتون في سبيله فيكتفي « بالتأثر » ... وهو لو انصف — لو انصفهم — لتعلم منهم في الاقل ان يحب ، ومن احب حبهم حتى التضحية ارتفع عن الدنايا ، وتلك هي المثالية التي لو انتهى العالم اليها لكان « العالم الافضل » الذي ننشد .

●

قلت للرفيق ميشال وقلبي يدق دقات الحزن على الطبيب الشاب : « لننهض يا رفيق » والرفيق ميشال يضحك ضحكة الشجاع المعتز بشجاعته ، وأقسم بالله اني حاولت تقليده في ضحكته فما وجدت لذلك سبيلا ، حتى بعد ان بت في الفندق وراء باب غرفتي الموصد ...

القهوة.... مغترب عربي

متى ذكرت القهوة فقد ذكرت البرازيل ، وذكرت سنطس المشهورة ببنها ، وسنطس مرفأ ولاية سان باولو ، واعظم مستودع للبن في الدنيا .

ويجب ان تأتي الى البرازيل لترى كيف يشرب الناس القهوة ، واية علاقة لحبة البن بالخمسين مليوناً من ابناء الحياة هنا ، وأي تأثير لها في مجرى حياتهم الاقتصادية خاصة وعامة .

نحبة البن هذه هي في الواقع اساس ثروة البرازيل ، بها تؤدي ثمن المواد الاولية التي تحتاج اليها ، وسعرها العالمي هو ميزان حرارة اقتصادها ، فمتى ارتفع كان ارتفاعه بشرى خير ورفاهية ، ومتى هبط اضطرت الحكومة الى شراء كميات ضخمة من محصولها وطرحها دون شفقة في البحر .

والمليك الجالس على العرش هذا من اصل عربي ، وحكاية وجوده — كحكاية اغترابه — تستحق ان تذكر :

مزرعة قهوة وهي لمغترب لبناني

●

في اساطير العرب ان رعاة رأوا ماعزهم تكثر من رعي بعض الاشجار الغريبة ، وتروح بعدها تقفز وتمرح كأن بها مسا ، فلما اكلوا بدورهم من حب هذه الاشجار احسوا بنشاط حيوي لا عهد لهم به من قبل .

فكانت من ثم القهوة — ومعنى اسمها مبعدة النوم — والعرب علموا الاتراك طريقة اعدادها وشربها ، وحملها هؤلاء بدورهم الى النمسا حيث تركوا كميات كبرى من حبها ، بعد ان حاصروا فيينا واضطروا الى التراجع عنها .

ومن النمسا انتقلت تهريباً الى فرنسا ، فبعثت بها هذه الى الغويان — احدى مستعمراتها الاميركية — وشددت الرقابة على مزارعها ، وفرضت عقوبات صارمة على من يحاول تهريب شيء من اغراسها .

والبرازيل مديونة بها الى امرأة .. فقد كان لحاكم المستعمرة المذكورة زوجة وقعت في حب ضابط برازيلي ، وفي ساعة غرام « خيرة » اهدت المرأة الضابط بعض تلك الاغراس ، وتمكن هذا من تهريبها الى بلاده حيث وجدت التربة الصالحة لها .

وكانت مزارع القهوة اولا في شمالي البلاد ، ثم اخذت تنحدر شيئاً فشيئاً نحو الجنوب ، الى ان استقرت نهائياً في ولاية سان باولو ، حيث تجد اعظم مزارعها واجود اصنافها .

ومحصول البرازيل منها يقدر بثلثي محصولها العالمي .

وفي مدينة سنطس المستودعات الكبرى التي منها توزع على العالم وذلك بعد تصنيفها انواعاً يوافق كل منها ذوق كل من طلابها ، وقوافل السفن التي تحملها من هناك سلسلة متواصلة .

●

ولا تقدر الكمية التي يستهلكها البرازيليون انفسهم منها ، ولكنها تتراوح بين العشرة والعشرين فنجانا في كل يوم لكل منهم ، وعلى من ينزل ضيفاً عليهم ان يجاريهم حتما في هذا .

والمقاهي هنا تختلف عن مقاهينا ، فلا طاولات ولا كراسي ولا خدم يروحون ويجيئون ، وكل ما هناك بنك يؤلف دائرة كاملة في وسط المقهى ، وفي داخله ساقيات صبايا يغسلن الفناجين ويصففنها عليه ويسكبن القهوة .

وعلى المدخل الصندوق ... فهناك تدفع الثمن ، وتأخذ قسيمة الاشعار بالدفع ، وتقف في الصف بانتظار دورك الى

للوصول الى البنك .

والحركة حول هذا البنك لا تهدأ .

●

قلت : ان الاكثار من القهوة بهذا الشكل مضر .

فكان الجواب على هذا ضحكة وبعدهـا قصة ... قصة طبيب برازيلي زار رومه ، واكتشف في مكتبة الفاتيكان الشرقية كتابا عن القهوة وفوائدها ، ومؤلف هذا الكتاب لبناني قديم يدعى « مرهج بن نيرون » وقـد كان للفصول والنظريات التي نشرها المكتشف - نقلا عن كتابه هـذا - صدى بعيد في الاوساط المختلفة ، وبخـاصة في اوساط زراع القهوة وتجارها :

- اما تكون قصة هذا الكتاب دعاوة ؟

- تو سنيور ... فالناشر يملك نسخة منه ، والكتاب بعد في مكتبة البلاط البابوي ، واسم المؤلف معروف عند اللبنانيين ومن لا يعرفه فليراجع دربان والدبس والدويهي وابن القلاعي و ...

آمنت يا اخانا وصدقت ، وفاخرت بابن وطني مرهج بن نيرون وبكتابه ، وسأشرب القهوة مـا دمت هنا بدون حساب ، ان لم يكن للافادة المزعومة في الاقل فتأييداً لابن وطني ، وانا ما كنت لبنانياً لاتهرب من مثل هذه التضحية !

جالية القصور والملايين

نحن في البرازيل منذ السنة ١٨٨٢ ، واول مغتربينا اليها رجل من مزيارة يدعى يوسف موسى ، ومن اوائلنا الاحياء فيها من يعود اغترابه الى ٦٣ سنة .

اما عددنا فمن قائل انه يناهز المليون — بين لبنانيين وسوريين — ومن قائل ان هذا العدد مبالغ فيه ، وما من احصاء رسمي يصح الاستناد اليه ، الا ان هناك من يقدر عدد اللبنانيين والمتحدرين منهم بنحو ٤٠٠ الف .

ومهما يكن من امر فالواقع الذي لا ريب فيه هو ان مغتربينا هنا منتشرون في كل مكان : في المدن والقرى والمزارع وقد تجدهم في بقاع لم تطأها اقدام الكثيرين من قبل .

•

قيل ان روزفلت الاول رئيس الولايات المتحدة الاسبق — وكان من اشهر المغامرين في صيد الحيوانات الضارية — جاء مرة يصطاد في غابات الامازون البكر ، وبلغ من توغله في هذه الغابات حداً حمله على المفاخرة بقوله : « لا شك في اني اول ابيض وطأت قدماه ارض هذه المجاهل » وكم كانت خيبته عظيمة عندما لج في توغله ، ولقي على ضفة جدول قصاصة جريدة عربية ، فقال بكآبة : « لقد سبقني ابناء العرب الى هنا » .

•

وما يقل عدد جالية سان باولو عن الستين الفاً بين سوري ولبناني ، فهي والحالة هذه اكبر جالية لنا في ديار اغترابنا ، وهي في الوقت نفسه اغنى جالياتنا على الاطلاق ، ولذا اطلقت عليها لقب « جالية القصور والملايين » .

اما القصور فقد اسعدني الحظ — وقلما اسعد الحظ الاديب —



« جالية الملايين » في مظهر اجتماعي باهر ، وتبدو الارزة المزهوة بهم في الصدارة ، وكأنها تقول : « هؤلاء ابنائي ... » .

بالدخول الى بعضها ، واما الملايين فقداكتفيت من متعدنياها بسماع اخبارها ، فانا احدث عنها كالمؤمن الذي يحدث عن خيرات الجنة .

●

وتبتدىء دنيا الملايين — دنيامغتربينا هنا — في شارع ٢٥ اذار «25 DE MARÇO» مقر الجالية العملي ، والشارع هذا يقع في قلب المدينة ، ولم يبالغ من قال انه قلب البرازيل التجاري ، تتوزع منه البضائع في الجهات الاربع ، وتتجمع فيه الاموال من كل الجهات .

وتاريخ هذا الشارع تاريخنا :

هنا حل ابن العرب « التوركو » كشئه غريباً وضيعاً ، وهنا اسس اول عمل تجاري في بناء من خشب ، وهنا ابتنى اول منزل يأوي اليه ، وشيد اول كنيسة يمارس فيهاطقوس عبادته ، والف اول جمعية لترحيد كلمته وصفوفه ، و كون في الاخر شخصيته المادية وما يزال يحاول ان يكون الى جانبها شخصيته الادبية والأجتماعية .

لقد افلح هذا الغريب الكادح في شيء واخفق في شيء .

اما الفلاح فعنوانه في محله التجاري ومصنعه ومكتبه ، في منزله ومعبده وناديه ، في اسرافه وبذخه وعطائه ، في مآدبه واحتفالاته واسباب لهوه ، في ما بلغ فردا من مراتب العز ، وما ابتنى لنفسه من منازل الكرامة .

واما الاخفاق ففي محاولة التجمع والتكتل حول فكرة ورأي في رفع شخصيته الادبية الى مستوى شخصيته المادية ، في تنقية جوه الاجتماعي وتصفية مناهله القومية ، في تنزيه معنى الوطن فيها مصدره العقل والعلم وفي ابتعاده عن التعصب لكل ذميم .

لقد نشأت هنا صحافة اوشكت ان تطاول صحافة الوطن الام بما توافر لها من اسباب العيش ، وكان فرضاً عليها ان تقود وتناضل وتوجه للخير العام والحق ، فاذا هناك من اربابها من يغـــذي البلبلة والفوضى ، ومن يعرض بالصدور احياناً لنار المسدسات .

وتأسست هنا جمعيات واندية غايتها الاحسان وتلبية نداء المكرمات ، فاذا بالغاية تنقلب في وقت من الاوقـــات الى عكسها ، واذا في الثنية لبناني وسوري يتزاوران ويتخاصمان حول اسم يطلق على مستشفى ، وحول جميل يسدى لهـذا او لذاك من بلديها ، بينما هما اخوان غريبـــان في تفرق صفوفهما ضعف وفي اجتماع كلمتهما قوة .

وشيدت هنا بيوت للعبادة .. لعبادة الله الآمر بالالفـــة والمحبة ، فما ان قرعت اجراس هـــذه البيوت حتى تجاوبت اصـــداؤها في حنايا بناتها تعصباً ، فالصفوف يتصدع بناؤها تصدعاً ينذر بالانهيار ، وتلعب الايدي من وراء الستار فما في البناء من حجر يلتحم بأخيه .

وكانت هنا « اندلس جديدة » .

●

لقد بنى المغتربون ما بنوا لانفسهم ولوطنهم ، ولئن كان البنيان لهذا الوطن لم يكتمل بعد فالذنب ليس ذنبهم ، وانما هو ذنب القيادات المضللة التي كانت تدعي تنظيمهم وتوجيههم .

ونحن الان في عهد جديد .

وفي مقدمة واجبات هذا العهد جمع قوى الامة المتفرقة لخدمة الامة .

أيكون للمغتربين هؤلاء بعض اهتمام اولي الامر وعنايتهم؟

دنيـــا في كتاب «?»

«الاندلس الجديدة» والعصبة الاندلسية

في لاديرا بورتوجيوال ، بين شارعي فلورنسيو دي ابراو و ٢٥ اذار ، مكتب شيخ الادباء حبيب مسعود – للادب والتجارة في آن واحد – وفي هذا المكتب ، بين اثواب الحرير المتراكمة بترتيب وبدون ترتيب ، وبين الاوراق والصحف والكتب المبعثرة في كل مكان ، يجتمع اعضاء العصبة الاندلسية .

والعصبة هذه انشأها الشاعر الثري المرحوم ميشال المعلوف ، ويتعهدها بعده – بروحه وماله – الشاعر الثري شفيق المعلوف ، فهي مديونة للاسرة المعلوفية بوجودها وبقائها .

ويتناسى اعضائها في اجتماعاتهم – ولو الى حين – مشاغلهم ومتاعبهم المادية ، ليتذكروا ايام عزهم ومجدهم ، ايام كانت لهم اقلامهم وصحفهم ومجتمعاتهم ، وكل بيت من الشعر ينظمونه يساوي قصراً ، وكل مقالة يدبجونها ترجح في الميزان على ملايين الجالية كافة .

النصب التذكاري الجليل الذي اهدته الجاليتان اللبنانية والسورية الى البرازيل لمناسبة مرور ١٠٠ سنة على استقلالها

هذا توفيق ضعون يطل بحمله الثقيل من الهم ، وهمه الدائم ان يقوم اعوجاج الخلق بسن قلمه ، وان يسلط لسانه حيث ينبو في المعترك قلمه .

وكنت اود لو اجالسه ساعة اتملى فيها من ادبه ، ولكني جئت سان باولو في زمن كثرت فيه مشاغله ، ومن هذه ارتباكه باصدار كتاب عن الجالية ، فما لاحد ان يزعجه باكثر من التحية الى ان يصدر كتابه .

●

وهذا نظير زيتون يحمل على منكبيه امجاد تآليفه الضخمة ، من هيرودس الكبير وقياصرة روما وذكرى الهجرة و ... والحمل ثقيل يكاد ان ينوء به ، وبما يشغله في الحقل الاجتماعي ، فما لك اذ تلقاه اكثر من كلمة ترحيب ، ووعد بالملتقى في فرصة ثانية .

●

وهذه سلمى صايغ – في صدفة جميلة – تحدث عن عهدها القصير هنا ، وعن اعتزامها العود الى الوطن ، وعن كتاب اصدرته مؤخراً بعنوان « النهضة النسائية في لبنان » فتحس في تحدثها عن كل ذلك ثورة وألماً .

واشد ما تكون ثورتها اذ تحدث عن السياسة الحاضرة في الوطن ، تسياسة كهذه من شأنها ان تحط من قدر الاستقلال الذي اعلناه ، وفي التالي من قدرنا كأمة تريد ان تحتل مكانتها بين الامم .

وهؤلاء هم انطون سعد واسد يافث واسكندر كرباج ويوسف البعيني وسمعان ندمر وسواهم .. تضمهم عصبتهم ضمة الام المحتضرة ، الغصة كل الغصة في الصدر ، والدمعة كل الدمعة في العين ، وما من احد منهم الا في صدره غصتها وفي عينه دمعتهـــا .

●

وهذا في الاخر رشيد الخوري – الشاعر القروي – وكنت قد سمعت انه يتنكر للبنان ، فرحت اسمعه يحدث :

– واذكر عهداً في الشوير وسوق الغرب ، وعرزالا في الاخيرة منها انظم فيه الشعر واضرب على العود واغـني ، واتمرغ على التراب بين الرياحين في جواره ، وارشف الندى العالق با كمام الزهر ، وابكي ...

ورأيته يبكي :

– وقريتي البربارة ووطاها.. الا كم لي هناك من ذكريات كتبتها على رمال الشاطيء بريشة ، وعلى اوتار عودي بريشة ، وعلى لوح هذا الصدر ...

ويكاد يكشف عن صدره ليريك ما كتب عليه :

– ويقولون اني عدو لبنان.. يتهموني بالمروق عن لبنانيتي لميلي الى العروبة... انا لبناني اكثر من اي دعي ، انا لبناني بقلبي وروحي ودمي ، على اني بلبنانيتي الغربية عنهم ممن ينظرون الى لبنان نظرة تخترق المستقبل لاجيال .

« ان الاستقلال الذي يهللون له باقوالهم اهلل له باعماقي ، اتمسك به تمسك الجسد بالروح ، اريده استقلالا كبحر لبنان عمقاً وكجوه صفاء ، اريده جدثاً خالداً كالارز لا قصبة في مهب كل ريح ، اريده مفهوماً نيراً يقوم على المنطق والحق لا لا لغزاً مبهماً يفسره كل على هواه ووفق شهواته ، اريـــده عنوان مجد وسلم عزة وسيف كرامة .

وانا لبناني استقلالي، حاربت بعروبتي الاستعمار ولم احارب لبنان ... ليستقل كل من اقطار العرب عن اخيه بشرط ان يستقل اما اتحاد الاقطار العربية في كيان واحد فهذا امنيتي ، لتتوافر الشروط اللازمة له وليكن ...

الا قاتل الله السياسة ، لقد كادت تنسينا الادب ، وتحول الشاعر ثائراً .. هات يا رشيد ، هات من ادبـــك وشعرك . وادب الرشيد وشعره لا يكفيهما حديث كهذا .

وكما اطربني الادب والشعر اطربتني كذلك النكتة . وللقروي في شعره نكات اكتفي بواحدة منها :

●

زار شاعرنا مرة صديقاً له في سنطس يدعى وديع عبـــد المسيح ،فاستقبله هذا بفتور، وانصرف عنه الى مشاغله الكثيرة ، وعبثاً انتظر منه عوداً الى واجبات الصداقة ، حتى اذا مـــل الانتظار وقف يهم بالانصراف ، وقال له :

– عفواً يا صديقي ... لقد ازعجتك بزيارتي ، وقبل ان انصرف اريد انشادك بيتين من الشعر حضراني الساعة .

وفطن الرجل الى ما كان من سوء سلوكه ، فاقبل عليه يغمره بفيض من شعوره وحبه ، وناشده الله ان ينشده البيتين مهما يكن شأنهما ، فانشده قائلا :

ابا عبد المسيح جميل ظني	بودك بات اقبح من قبيح
وضيعا صرت عندي لاوديعا	وعبد القرد لا عبد المسيح

الصحافة العربية في البرازيل

لصحافتنا هنا تاريخ حافل بالارقام والحوادث :

في السنة ١٨٩٩ انتقل نعوم لبكي من ريو دي جانيرو — حيث كان قد انشأ جريدة الرقيب كامر — الى سان باولو واصدر بشراكة فارس نجم جريدة المناظر، وقد لعبت هذه الجريدة دوراً هاماً على مسرح الادب من جهة، وعلى مسرح سياسة الجالية من جهة ثانية .

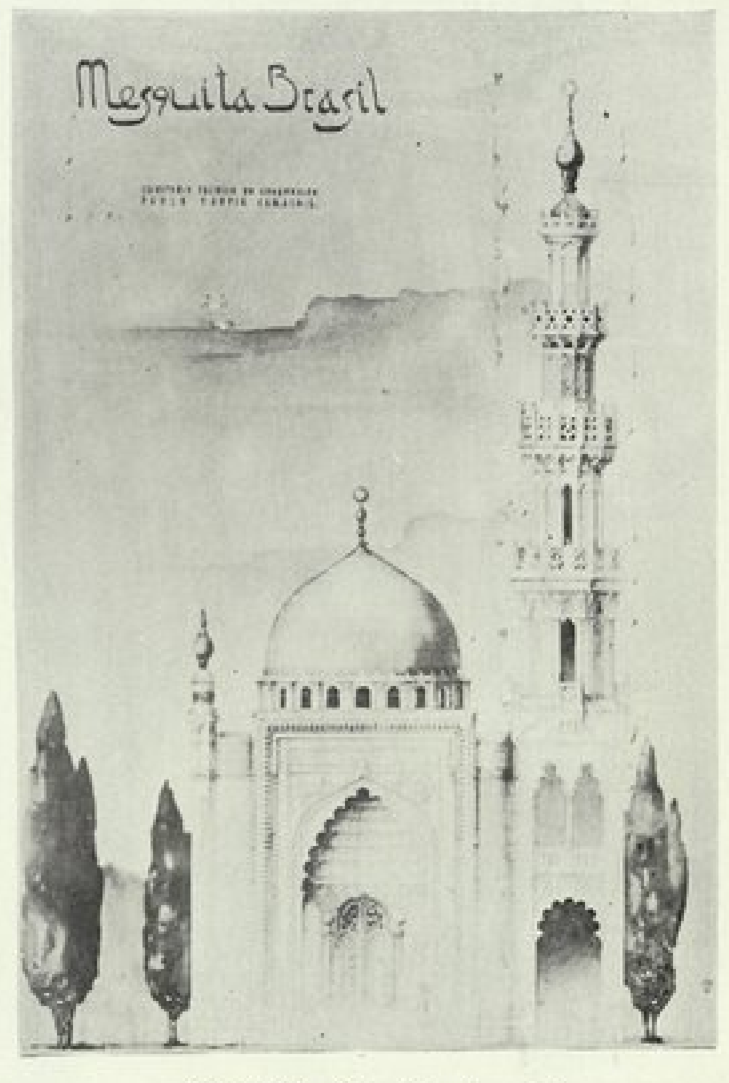
وكان شكري الخوري قد انشأ قبله — السنة ١٨٩٨ — بشراكة خليل ملوك جريدة الاصمعي، وفي السنة ١٩٠٦ اصدر جريدته المعروفة ابو الهول التي عاشت الى بدء الحرب الكونية الثانية .

وقبل هذه الحرب بلغت صحافتنا هنا اوج مجدها، منها الجرائد اليومية وفي مقدمتها ابو الهول وفتى لبنان، ومنها المجلات الشهرية وارقاها الشرق والعصبة وقد بلغ التنافس بين اربابها حداً دفعها شوطاً الى التقدم .

بيد ان موقف البرازيل من الحرب حمل حكومتها على اتخاذ تدابير استثنائية للحد من الدعاوات الضارة، ومن هذه التدابير وقف اية صحيفة تصدر بغير لغة البلاد الى اجل غير مسمى مما اضطر صحفنا الى التوقف مكرهة، ولم يبق منها سوى جريدة فتى لبنان التي تابعت سيرها باسم البرازيل برتغال، ومجلة الشرق التي ظلت بدورها تصدر باللغة البرتغالية.

وقد عادت مجلة العصبة الان الى الصدور.

ويحن بعض قدماء الصحافيين الى حياتهم الماضية، ويحول دون عودتهم اليها الافتقار الى منضدي الاحرف في الدرجة الاولى، فعمال الطباعة العربية تفرقوا في زمن الحرب، واثرى بعضهم بالتجارة — والحمد لله — ومن تبقى منهم يزاحم ارباب الصحف الباقية ذاتها، ويخشى هؤلاء انفسهم ان يأتي يوم لا يجدون فيه من يؤمن لهم صدور صحفهم .



تصميم جامع فخم تتنادى الجالية لبنائه
في مدينة سان باولو

*

من يتصفح مجلة الشرق «O Oriente» يخيل اليه ان في ادارتها عدداً من الكتاب يتعاونون على انشائها واصدارها وما يدور في خلده ان صاحبها وحده يقوم بهذه المهمة الشاقة،

فالزميل موسى كريم جبار بارادته وايمانه وتجلده على تأدية رسالته الصحفية ، وهو اكثر من جبار في جمعه بين الصحافة والادب .

لقد كان ابناء الجالية من مواليد هذه البلاد ، قبل مجلته ومؤلفاته – وموضوعات هذه تدور حول تاريخ العرب الثقافي واخبارهم ابان عزهم ومجدهم – كانوا غرباء عن دنيا ابائهم ، غرباء عن ادب هؤلاء الاباء وثقافتهم واثرهم في دنيا الحضارة فهم ينظرون اليهم نظرهم الى تجار جاؤوا من بلاد مجهولة ، جاؤوا يبيعون ويشترون ويعيشون في حاضر مادي لا يمت الى امس الشعوب العريقة بثقافتها وحضارتها الروحية بصلة .

فجاء موسى يخاطبهم بلغتهم – باللغة التي ولدت معهم هنا – ويعرفهم ما يجهلون ، فاذا هم من امة لا يقل ماضيها شأنا عن ماضي ارقى الامم ، وهذا ما جعلهم ينظرون الى ذويهم غير نظرتهم الاولى ، ويجهرون بقوميتهم بعد ان كانوا يتنكرون لها استحياء ، وبخاصة بعد ان كثر قراء موسى من ابناء البلاد انفسهم ، وبعد ان تعرف هؤلاء بدورهم الى الدنيا التي منها جاء هذا المغترب الذي طالما عيروه باصله ، وخيل اليهم انه اقل شأنا منهم في دنيا المدنية .

اما مجلة العصبة فتصدرها العصبة الاندلسية ، ويغذيها الشاعر الثري شفيق المعلوف – كما يغذي العصبة نفسها – بروحه وماله ، وهي المجلة الوحيدة الباقية للادب في دنيا اغترابنا ، بعد ان زخرت هذه الدنيا بالكثيرات من امثالها ، ما الحفاظ عليها هو الحفاظ على اقدس تراث ادبي نعصب بتاجه رأس ثروتنا المادية هنا .

*

وانا في الاخر امام شيخ الصحافة واللغة رشيد عطيه ، الرجل الذي افنى عمره في الوطن وهنا جهاداً للادب والعلم في غير هوادة ، وفي مكتبه المتواضع في لاديرا بورتو جيرال وقفت وقفة الشاعر المؤمن بعظمة الروح ازاء حقارة المادة ... نصف قرن ونيف يقضيه هذا « الشيخ » في دنيا التربية والصحافة والادب ، يعمر قلبه ودماغه وروحه خمرة لهيكل قوميته ، واراه بعد طول الجهاد في مثل هذا المكتب الصغير المتواضع ينفض الغبار عن اوراقه وكتبه وقلمه ، ويخضع الجسد المرهق تحت وقر السنين لارادة فولاذية تطالعها في سطور جريدته وبخاصة في حقول معجمه الذي صدر اخيراً .

ان معجم عطيه في العامي والدخيل لأثر في ادبنا العربي نفيس ، ولا اعلم اية مكافأة رجاها صاحبه عليه ... الا ان تكون من نوع تلك التي حدث الادب صاحب مكتبة اليازجي هنا عنها ، قال :

– جاءني زبون من البر ، وطلب قصة تستغرق مطالعتها اكثر ما يمكن من اوقات فراغه ، فاعطيته معجم عطيه املا ان يستأنس به لحجمه ومحتوياته ، وان لم يجد فيه مطلوبه احتفظ به للذكرى ... وبعد ايام عاد الرجل بالكتاب عاتباً قال : « يحرق دينك هالقصة اللي بعتني باها ، صار لي تلات ايام بطالع فيها وما كنت افهم منها شي ، خدها الله يرضى عليك واعطيني قصة عنتر » .

*

ومن الطرف – وآلم – ما يروون لك عن تاريخ الصحافة هنا قصة صحافي قديم لا اسميه واكتفي بالرواية :

كان في سان باولو ، ثم توارى ، وظهر في السنة ١٩١٢ في الارجنتين ثم عاد الى ريو دي جانيرو في السنة ١٩١٤ باسم : غستاف ديكران شهاب الاول المطالب بعرش البابا .

فاستقبلته الحكومة رسمياً .. ووهب الالقاب والاوسمة ... ولما اوشك امره ان ينفضح في العاصمة انتقل الى سنطس وتعاطى الطب بشهادة مزورة ، ثم انتقل الى سان باولو وانشأ جريدة « . . . . » ثم انشأ جريدة ثانية باسم « . . . . » وقتل ثلاثة من اخصامه وكان من قبل قد قتل زوجته في الولايات المتحدة ... وصرع احدهم في الاخر بالرصاص ، فتربص به اخو القتيل وصرعه بدوره انتقاماً .

حياة الجالية الاجتماعية

للجالية هنا جمعيات واندية عديدة، اهمها النادي اللبناني والنادي الحمصي.

●

تأسس النادي اللبناني في السنة ١٩٢٤، وقامت فكرة تأسيسه على ضرورة جمع الجالية في هيأة تمثلها تمثيلا صحيحاً، بعد ان كثر عدد الجمعيات والاندية التي تمثل الاقليم والطائفة واحياناً العيلة.

فهنا مثلا: نادي راشيا، ونادي البردوني، والجمعية المارونية، والجامعة الاسلامية، وجمعية السيدات الارثوذكسيات الخ..

وهذا مما لا يجوز في عهد وعينا القومي وتحررنا من قيود الرجعية.

والنادي يضم في عضويته نحوا من ٤٠٠ عيلة، وقد تعاون اعضاؤه على اظهاره بالمظهر الذي يليق به، فابتاعوا أرضا في ضاحية جميلة من ضواحي المدينة تبلغ مساحتها نحوا من ٦٠ الف متر، وشيدوا له بناء قيل انه اجمل بناء من نوعه لجالياتنا في أميركا قاطبة.

نادي جبل لبنان الفخم في سان باولو

وأجمل من البناء الارض التي تحتويه، وقد بذلت عناية خاصة لتحويلها حدائق وملاعب وأحواض سباحة، وترى الشيء من ابناء الجالية يلهو فيها مزهوا فخوراً، وذلك لشعوره بان المتع التي تغمره في لهوه لم تكن سوى ذويه يد في توفيرها له.

●

اما النادي الحمصي السوري فمقره في جادة رئيسية من جادات المدينة « AVENIDA PAULISTA » وبناؤه كناية عن قصر فخم ما يقل ثمنه عن الاربعة ملايين ليرة برازيلية.

فيه مطعم ومكتبة وقاعات للمطالعة والموسيقى وللالعاب المتنوعة - ما عدا القمار - وقاعة للحفلات تتسع لعدد كبير من الخلق.

ويبدو ان الاقبال على حفلاته شديد، بدليل ان عمدته تفكر في اضافة جناح، على القاعة المذكورة يتسع بدوره لعدد وفير من المدعوين.

وقد كان لي شرف الوقوف على منبره، في حفلة اقامتها الجالية لذكرى استقلال سوريا، فكانت هذه الحفلة من اروع وابدع الحفلات التي شهدتها في رحلتي.

●

وللمناسبة اذكر ان الجامعة الاسلامية هنا، وفيها افراد من اهل الادب والعلم والمال، تسعى لبناء مسجد يجمع الدين والقومية العربية، ويذكر ابناء البرازيل - البرتغالي الاصل - بمساجد قومهم في وطنهم القديم وفي اسبانيا حيث كانت تلك المساجد جامعات علم ومنائر ادب وثقافة.

●

وفي ليلة ساهرة بنادي حلب - لذكرى مرور سنة على تأسيس هذا النادي - خطب بعض الاعضاء عن غاية ناديهم، وتكلمت رئيسة فرع الانسات باللغة البرتغالية، ورحبت « بالدكتور عبدالله حشيمه ضيف سان باولو ورسول الوطن » فكان لزاما ان اباد لها العاطفة ففعلت مزهواً، لا باللقب - لقب الدكتور - الذي خلعته علي، بل بالمحبة التي يكنها نشؤنا الطالع هنا لكل من يأتيه من الوطن البعيد برسالة.

وكانت بعدها مفاجأة ... فهذا « لبنان الفن » يتراءى ، لي ، ويدوي صوت الحضور باسمين غريبين : «شنديكا وشندوكا» فاذا هناك شقيقتان من آل كفوري — والاسمان الغريبان اطلقا عليها استعارة فنية — تظهران على المسرح نجمتين من نجوم الغناء والرقص الشعبي .

وقيل لي ان شهرة هاتين الفتاتين الشقيقتين تملأ البرازيل ، وعشاق الغناء والرقص الريفي يتسابقون الى مشاهدتها ، والى سماع اغانيها بالاذاعة وعلى المسارح العامة ، وقد شهدت رقصها البديع اولا ، حتى اذا كهربنا الجو بفنها قالت احداهما بعربية مكسرة مهضومة : « هلق بدنا نغنيلكم برازيلي » .

●

وعلى ذكر الغناء حدثني الاستاذ جميل الصفدي — من رفاق الادب هنا — قال :

كنت مرة في دار الاذاعة ، فسمعت صوتاً انثوياً كأنه من اصوات الحور ينشد : « يا ام العبايا » فرحت اتعرف الى صاحبته ، فاذا هناك فتاة سمراء ذات طابع عربي بارز ، لا تجاوز الثامنة عشرة من عمرها ، فما شككت لدى رؤيتها في انها من بنات الجالية .

وكم كانت دهشتي عظيمة اذ علمت انها من اب برتغالي وام اسبانية ... وسألتها كيف تعلمت الغناء العربي ، فاجابت « تعلمته بالسماع ... ولي ميل شديد ما ادري سره اليه » .

واغرب من ذلك اسمها : « الطاير مكه » ويكتب بالبرتغالية «ALTAER MECA» فما معنى هذا الاسم ، والعروبة كل العروبة فيه ومن اين وصل اليها ؟

سألتها فلم تدر ... وسألت والديها — وقد دفعني الفضول الى التعرف بهما — فجل ما عرفت ان الاسم هذا معروف في عيلة امها ، فقلت : لا شك في ان الام من اصل عربي ، واسم الابنة وميلها الى الغناء العربي من تراث الاصل والدم .

وسرني اكتشافي فتطوعت لتعليم الفتاة اللغة العربية ، واؤكد لك اني لم اجد مثلها اجتهاداً في تعلم هذه اللغة ، فهي تتلقى دروسها بلذة ، وتمضي فيها بسهولة لم اجدها لدى تلاميذي وتلميذاتي من ابناء الجالية .

حيِّ الشآم

من قصيدة القاها الاستاذ عبدالله حشيمه في حفلة النادي الحمصي السوري وقد اشار الى وقفته على منبر هذا النادي في الفصل السابق لمناسبة ذكرى استقلال سوريا

حي الشآم اذا ذكرت نضالها   والقيت في دنيا النضال رجالها
الضاربين بكل سهم في العلى   والماهدين على الوفا آمالها
والنازلين أعزة أنى بهم   القت تكاليف الحياة رحالها
في غرة التاريخ كانوا امة   فوق المفاخر جررت اذيالها
طوراً تحكم في النياهب سيفها   عبر العصور وتارة مشعالها
واذا اطل الفجر من آفاقه   عمرت به احلامها وخيالها

• • •

بردى على شطيك جنات التي   نسج الخلود من الخلود ظلالها
تجري مياهك تحتها من كوثر   رضوان ذوب في الكؤوس زلالها
وعرائس الاحلام عراها الهوى   وأباح للمترسلين وصالها

• • •

وهناك شعب من بقايا عزه   يقظان ينسج للحياة جلالها
دارت بأمته الحوادث دورة   في كل صوب اطلقت اهوالها
نيران تيمورلنك تحرق دورها   وحسام جنكيز خان يحصد آلها
ورياح تركستان هبت فوقها   تسفي امانيها وتذري مالها

• • •

يا غضبة التاريخ دون حياضها   والموت يبعث صارماً آجالها
ايام يقذف بالحديد تناهها   غلاً ويحرق باللظى اطفالها
زأرت أمية في العرين فأيقظت   بزئيرها ملء الحمى اشبالها
شم الانوف سلاحهم ايمانهم   صدموا الجيوش به ففل نصالها
وتهالكوا براً بأمتهم على   نار الجهاد وحطموا اغلالها
فاذا الشآم كما ارادت حرة   تبني على فيض الدما استقلالها

• • •

ابناء سورية الاولى اغتربوا   يرودون الحياة جمالها وكمالها
هذي الحياة على مآثر قومكم   ملء الرجاء ادرتم منوالها
فسجتم الثوب القشيب لعزها   ووصلتم بالنيرات حبالها
لا تنثروا ما في الكنانة واجمعوا   للحادثات والنضال نبالها
كنتم وكنا المواطن عصبة   وقفت على شرف الحياة نضالها
تحمون انتم كالاسود سهولها   خضراً ونحمي كالنسور جبالها
عرقان في جسم العروبة وزعا   فيها الحياة وللها اوصالها
هذا يقوي للنضال يمينها   بدمائه حراً وذاك شمالها
خلوا حزازات النفوس وجددوا   عهد الاخوة وارفعوا امثالها
ان يشك لبنان الاذى كنتم له   او تشك سورية الاذى كنا لها



لاجل اسفاركم وتوضيب ارسالياتكم
وتسهيل جميع معاملات الشحن
راجعوا
وديع ديمتري دبّاس وأولاده
المركز الرئيسي وفرع الشحن : شارع فوش وشارع البور - تلفون { ٢٦٤٣٨ ٢٦٤٢٩
فرع التوضيب : شارع فوش وشارع الدباس - تلفون : ٣٤٧٣
مكتب الاستعلامات : شارع كليمنصو - تجاه السفارة الأميركية - تلفون : ٢٦٧٨٠
تلغرافياً : دباسون - ص . ب : رقم ٣
ممثلي :
شركة الأميركان اكسبرس
O. D. DEBBAS & SONS

على ضفاف النهر الفضي

وطن إيفا بيرون

من سان مارتين الى بيرون

الارجنتين ، الجمهورية الفضية ، وطن سان مارتين ، منجبة بيرون وايفيتا .

في كل يوم مفخرة جديدة لهذه الجمهورية الفتية ، وفي كل يوم نبأ يحدث عن ثوثها وطموحها ، الطموح الذي ما يزال منذ ان كانت يدفعها الى احتلال كرسي الصدارة والزعامة في اميركا اللاتينية .

وما ادري لاي سبب اتخذت الفضة شعارا لها ولم تتخذ الذهب ، مع ان ثروتها الطبيعية التي لا تنضب تجعلها في مقدمة بلدان الله غنى ، ولعل شمسها الحلوة التي تحول مياه نهرها وبحرها صفحة من لجين هي التي اوحت لفاتحيها الاول باطلاق الاسم الفضي المذكور عليها ، ومن الادلة على هذا ان نهرها الاول يدعى نهر الفضة ، ومن مصب هذا النهر الى آخر حدودها الجنوبية يطلق على بحرها اسم بحر الفضة «NAR DEL PLATA» .

●

مشى الفتح الاسباني في اميركا من الشمال الى الجنوب ، وكانت الارجنتين آخر ارض ضمها الى ممتلكات التاج ، وجعل منها « نائبية » خاصة لحماية هذه الممتلكات من البرتغاليين — البرازيليين الذين كانوا يطمعون بتوسيع حدودهم نحوها .

وما من شيء هام في تاريخ هذه البلاد قبل ثورة نوار (١٨١٠) حيث ابتدأ الجو يكفهر فوق رؤوس الحكام الاسبانيين وينذرهم بهبوب العاصفة .

فهؤلاء الحكام الذين كانت اسبانيا توليهم شؤون المستعمرة كانوا يتناسون كل اعتبار الا ما هو في مصلحتهم الخاصة ، الى حد ان بات ابناء وطنهم الذين جبلوا تربة الارض التي اتخذوها وطنا ثانيا لهم بعرقهم ودمهم لا يفرقون بشيء عن الهنود في نظرهم ، وهذا ما حمل هؤلاء على الثورة اقتداء بابناء اميركا الشمالية وبابناء فرنسا ، بعد ان وصلت انباء ثورة هؤلاء اليهم .

●

ثار الارجنتينيون للاستقلال ، وظهر سان مارتين .

وكان هذا في اسبانيا حيث تلقى علومه العسكرية ، وانخرط في سلك الجيش الاسباني واحرز رتبة كولونيل ، فلما اتاه نبأ الثورة الناشبة في وطنه ، تخلى عن منصبه وعن مطامحه كلها هناك وعاد الى هذا الوطن ليضع سيفه ومواهبه العالية في خدمته .



ايفا بيرون
المرأة التي قدسها الشعب

وتاريخ سان مارتين مليء باخبار البطولة والمجد .

ولم يكف الرجل انه حرر بلاده من نير المستعمر الغاشم ، فراح يحرر جارات هذا الوطن المرهقات تحت هذا النير الواحدة بعد الاخرى ، وفي السنة ١٨١٧ اجترح المعجزة التي اجترحها بونابرت من قبل باجتيازه جبال الالب ، وذلك بانه اجتاز بدوره جبال الكورديليرا الشاهقة لنصرة شيلي التي ما عتم ان حطم سيف الاستعمار المصلت على عنقها ووهبها الحرية .

وحرر بعدها البيرو .

وصافح المحرر بوليفار الذي كان يحرر بلدان الشمال من النير الاسباني بدوره .

وبعد ان اطمأن الى تأدية رسالته انسحب من ميدان الحرب والسياسة ، وعاد الى أوروبا يقضي بقية العمر فيها ، ومات في فرنسا في السنة ١٨٥٠ ، والارجنتينيون يطلقون عليه لقب « ابي الوطن » فضلا عن لقب المحرر .

●

سلسلة اسماء طويلة ، من سان مارتين الى خوان بيرون ، ولاستقلال الارجنتين ومجدها ، عند ارباب هذه الاسماء ، عنوان جهاد واحد .

واسم بيرون يملأ اليوم البلاد ، ويجاوز حدودها الى العالم اجمع ، وما من احد يدري الى أي مدى يفكر هذا الرجل في

السير بقدرات أمه .

واسم ايفيتا — ايفا بيرون — كان في حياة صاحبته رسالة وطنية ، واصبح بعد مماتها رسالة سماوية ، وبالحب وحده ارتقى الى هذه المرتبة ، وصاحبته نفسها تقول لنا ذلك : « وطبيعي في المرأة ان تعطي نفسها ، ان تهب هذه النفس بالحب ... وعلى هذا يتوقف مجدها وخلودها » .

وبيرون « اسطورة » الطبقة العاملة الكادحة .

ولعل اعظم اعمال الرجل في نظري هوانه القى على العالم مثالة ... مثالة هي : « ليست الشيوعية بنت الفقر بقدر ما هي بنت العنجهية الرأسمالية ... وفي وسع اي حاكم عادل ان يتقي خطرها بالمساواة اولا ، ويجعل ابناء الفقر يحسون ان لهم من حبه ما يغنيهم عن المال للارتفاع الى مستوى الاغنياء في دنيا العزة والكرامة » .



الغاوتشو ... وهذا احد فرسانهم ... ويؤكد التاريخ انهم من بقايا عرب الاندلس

بونس ايرس

« باريس اميركا اللاتينية »

عاصمة الارجنتين ، باريس اميركا الجنوبية ، ولا بأس في القول : والشمالية ايضاً . ومعنى بونس ايرس « الهواء الجيد » وما ادري لم دعيت كذلك ، واقدر ان مؤسسيها الاسبان ، القادمين من شمالي القارة ، من المناطق الاستوائية ، حيث الهواء الحار الترح بضيق الانفاس ، شعروا فيها بما انعشهم نسبياً فاطلقوا الاسم المذكور عليها .

هذه المدينة ذات الاربعة الملايين من السكان ، والقائمة على ضفة الريو دي لابلاتا — اي ضفة نهر الفضة — تمتاز على سواها من مدن اميركا اللاتينية بجمال هندستها ونظافتها، وعلى سائر مدن العالم الاميركي بحياة سكانها اللاهية المرحة، وهنا وجه الشبه بينها وبين باريس .

تطل عليها من الجو، فاذا بالهندسة قسمتها جادات وشوارع ، تمتد جاداتها الطويلة من اطرافها الى اطرافها ، وتصل شوارعها بين هذه الجادات ، بخطوط مستقيمة متساوية ، بحيث يكون تقسيمها على هذا النحو مربعات ، طول اضلاع كل منها ١٠٠ متر ، ويؤلف مجموعها شكل لوحة الشطرنج .

وتسير في شوارعها وساحاتها فتأخذك النظافة ، نظافة الارض والمباني والمقاهي والمحلات التجارية والاشياء ، ونظافة الانسان الراقي بلباسه ومظهره وسلوكه ونظراته الانوف الى ماحواليه ، وتجد تفسير ذلك في ان سكان هذه المدينة من اصل اوربي صرف ، لم يتزوجوا كسواهم بالهنود من سكان البلاد الاصليين ، ولم يدخل دمهم قط دم زنجي ممن جاء بهم الاستعمار من قبل عبيداً لخدمة اسياده .



كازينو « مار دل بلاتا » في مدينة « مار دل بلاتا » الواقعة على بعد ٤٠٠ كيلو متر من بونس ايرس وهي بلدة جميلة اتخذها اثرياء العاصمة والبلاد مصيفاً لهم ، وفي الكازينو هذا اجازت الخزينة المقامرة واحتكرت مواردها ، وهذه الموارد تغذي الحكومة سنوياً بما لا يقل عن الخمسين مليون بسوس .

وفي بونس ايرس عدة اماكن واشياء تشوقك رؤيتها، منها واولها — بالنسبة الى واقعيته — « البيت الوردي » مقر رئاسة الجمهورية ، حيث يعود بك الاسم بداهة الى « البيت الابيض » في واشنطن ، ولعل التسمية هنا كالتسمية هناك مردها الى اللون الذي طليت به جدران البيتين الخارجية .

وتشوقك ايضاً رؤية الجادات الواسعة الطويلة وسعة بعضها لاتقل عن المئة متر ، ومنها ما يمتد الى مسافة عشرين وخمسة وعشرين كيلو متراً ، وتتخلل هذه الجادات انصاب اوحى بعضها التاريخ ، واقيم بعضها الاخر للفن والتجميل ، وما تجد في اي منها تاريخاً وفناً مجالا للتبذل .

ووسائل النقل وتأمين المواصلات في قلب المدينة، ومن هذه الى ضواحيها المترامية الاطراف ، تستحق ان تذكر :

لقد الغيت حافلات الترام في جميع الاحياء والجادات الرئيسية ، وحلت محلها اوتوبوسات « البولمن » الفخمة وشقت للقطارات الكهربائية الانفاق « المترو ».

ومرفأ بونس ايرس اعظم مرافيء الدنيا بتصدير الحنطة ، وفيه اهراءات تحتوي مئات الوف الاطنان منها ، والبواخر تحملها من هذه الاهراءات الى اربعة اقطار العالم .

قال احد كبار علماء الاقتصاد : «ليست الازمات الغذائية نتيجة نقص مواد التغذية في الاسواق ، ولكنها نتيجة احتكار

هذه المواد ، وتحديد اسعارها بما يوافق مطامع الرأسماليين ، حتى اذا كان الانتاج فائضاً عن الحاجة ، وفيضانه يهدد ارباحهم غير المشروعة ، عمدوا الى اتلاف الفائض ».

ومن الامثال على ذلك ان الحكومة الارجنتينية اضطرت، في احدى سنوات الخير والاقبال ، الى اتلاف الفائض من حنطتها حرقاً ، وظلت القطارات تسير « بمحروقات » الحنطة ستة شهور بكاملها ، بينما كانت المجاعات تفتك بمئات الألوف من سكان الصين وحدها .



«صاحبة الجلالة» الارجنتينية

يعود تاريخ الصحافة في الارجنتين الى السنة ١٨٠١ ، واول صحيفة صدرت هناك « التلغرافو مركنتيل » وصدرت بعدها « السيناريو دي اغريكولتورا » وفي السنة ١٨٠٨ صدرت « لاغازيتا دل غوبيرنو » وكانت جريدة الحكومة الرسمية .

ومنذ السنة ١٨١٠ صدرت عدة صحف طبعت بطابع الثورة ، فالبلاد كانت قد ابتدأت تتحرك لنيل الاستقلال ، واولى تلك الصحف « لاريكادا غاوروبوسا » ساهم في تحريرها عدد من كبار رجال السياسة ، وممن عرفوا بنزعتهم الثورية الاستقلالية .

وفي الارجنتين اليوم صحف راقية كبرى ، بما لديها من وسائل خاصة لنقل البرقيات والاخبار ، وبدقة اخبارها ومعلوماتها التي لا تبخل بال في سبيل الحصول عليها .

●

اما نقابة الصحافة الارجنتينية فقد تأسست في السنة ١٨٩١ ، وغايتها الاولى : « حماية اعضائها وضمانة مصالحهم الادبية والمعنوية والمادية ، والدفاع عن حرية الفكر والرأي متى كانت هذه الحرية لا تتعارض مع مبادىء الصحافة الراقية ولا تمس بكرامة الامة من وجهتها العامة » .

وتضم النقابة المذكورة نحوا من ٦٠٠٠ مشترك ، وفي صندوقها رأسمال قدره نصف مليون ريال ، وهي تنفق بسخاء من مالها على مساندة مشتركيها ، في اوقات المرض والحاجة والشدة .

وقد رأت اخيراً ان البناء القديم الذي تشغله لا يتفق بعد مع مكانتها ، ولا يتسع لادارتها واجتماعاتها واحتواء الاسباب الحديثة التي يجب ان ترافق امورها ونموها ، فوضعت تصميما لبناء جديد من عدة طوابق يفي بالغرض المنشود ، وباشرت في الحال إقامة هذا البناء .

ونقيب الصحافة ليونيداس دي فيديا شخصية ادبية واجتماعية محترمة ، يتحدر من اسرة نبيلة والمكانة التي يحتلها ، بوصفه نقيب الصحافة ، تجعله من فرسان الطليعة بالنسبة الى ما للصحافة هنا من تأثير على مجرى الامور العامة .

زرته برفقة من المواطنين : الياس ريشا وسليم قسطنطين ورشيد رستم ويوسف خوري ، فاستقبلنا بحفاوة تنم على ادب جم ، وتبادلت واياه الاحاديث حول مهمتي الادبية ، وحول جالياتنا الناطقة بالضاد ، وسألته عن رأيه في هذه الجاليات ، فكان جوابه ما يطالع القارىء في الاطار الذي يتوسط هذه الصفحة .

> ● ان جالياتكم الناطقة بالضاد في هذه البلاد ، فضلاً عن ازدهار اعمالها التجارية ومركزها الاقتصادي المرموق ، تعد في مقدمة الجاليات العاملة النشيطة ، وهي تسهم مساهمة فعالة في نهضة بلادنا ، وتعيش بتفاهم تام مع ابناء هذه البلاد ، وتمتزج بهم امتزاجاً كلياً ، ولا تجاريها في ذلك الجاليات الاخرى . لان هذه تعمل لصالح بلادنا الى مدى محدود في الناحية الاقتصادية ، بينما اعمال جالياتكم لاحدود لمداها في مختلف النواحي .

●

وزودني برسالة الى الصحافة اللبنانية هذا نصها :

نقابة الصحافة

بونس ايرس ٢٧ اكتوبر ١٩٤٧

الى الصحافة اللبنانية .

تلقت نقابة الصحافة الارجنتينية بسرور زيارة الصحافي والاديب اللبناني عبدالله حشيمه الذي سيضع لدى عوده الى وطنه مؤلفا عن الارجنتين وعن اعمال اللبنانيين فيها .

فالمؤسسة التي اتشرف برئاستها تغتنم هذه الفرصة لتبعث بواسطة زميل ممتاز مثله بتحية الصحافيين الارجنتينيين وبعواطفهم القلبية الى رجال الصحافة اللبنانية .

ليونيداس دي فيديا

●

وكان لزاما ان ارد التحية بمثلها ، فبعثت الى النقيب الممتاز بالرسالة التالية ، ردا على عاطفته اولا نحو جالياتنا وفي التالي على رسالته ، وانا واثق باني قد عبرت برسالتي هذه عن شعور الجالية وشعور الصحافة اللبنانية .

سيدي الرئيس .

شرفا اوليتني باثنتين : بالمقابلة الودية الممتازة التي خصصتني

بنا ، كصحافي واديب ورحالة ، وبالرسالة التي اوليتني شرف حملها الى صحافة بلادي ، وانا من جنود هذه الصحافة العاملين لوطنهم وللانسانية جمعاء .

اذكر الكلمة التي قلتها في جالياتنا الناطقة بالضاد ، نزيلات بلدكم المضياف ، وارفع رأسي افتخاراً بكونهـا كلمة رجل يمثل الصحافة الارجنتينية ، بكل ما يميزهـا من حرية الفكر والرأي ، وبكل ما ينطوي تاريخها عليه من اخلاص وتفان في سبيل الحق .

ان جالياتنا الناطقة بالضاد باسيدي الرئيس لمن أمة عريقة بمدنيتها ورسالتها الانسانية ، ولئن كانت تلك الامة قد غفت حقبة على غار مجدها ، وكان هناك من حاول انكار فضلهـا على ثقافة العالم وحضارته ، فان ذلك لم يمنع حيويتها الكامنة من الوثوب ، ولم يحل دون وقوف الامم النبيلة كأمتكم في جانب قضيتها العادلة لدى كل سانحة ، وما كلمتكم في مغتربي هذه الامة سوى شهـادة ناطقة بتؤهلاتهـا للعيش كما يعيش الاحرار ، وبقدرتها عـلى المساهمة في العمل لتكوين العـالم الافضل .

سأودي يا سيدي الرئيس رسالتكم الى صحافة بـلادي ، وسأنقل كلمتكم عن جالياتنا الى عالمنا الناهض لحريانه و كرامانه وأنا ما اشك في ان الشعور الذي ستقابل به الرسالة والكلمة - وقد كان شعورنا بالواجب ومازال رفيق نهضتنا - سيكون شعور الامة التي تفيأ شطر عزيز من ابنائها المغتربين ما تفيأمن نعم الحرية والعدالة والامن في ظل علمكم .

قمح . ولحم . ونبيذ ...

تبلغ مساحة الارض الارجنتينية نحواً من ثلاثة ملايين كيلومتر مربع ، وسكانها لا يجاوزون الستة عشر مليونا ، وهي ارض منبسطة تمتد سهولها من الشمال الى الجنوب ، وخيراتها الحيوانية والزراعية عميمة ، ويتوزع منها القمح واللحم في اربعة اقطار الدنيا ، وفي احدى ولاياتها الشمالية الغربية « ولاية مندوسا » كروم عنب تقدر كمية النبيذ التي تعصر منها بنحو خمسة ملايين برميل .

فثروة الارجنتين ترتكز الى الثالوث المتقدم ذكره : قمح ولحم ونبيذ ... وليست هذه كل عناصر ثروتها ، فهناك من الثروات المعدنية والنباتية ما لا يقدر ، وهي في مقدمة بلدان اميركا اللاتينية نشاطاً في استثمار هذه الثروات ، وقد بذلت كل ما يمكن بذله لتسهيل المواصلات ، حيث ترى الطرقات والخطوط الحديدية تمتد من كل مكان والى كل مكان واذا ما اتيح لك ان تركب سيارة او قطاراً ، وتروح تطوي مسافاتها الشاسعة من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ، تجد في نفسك في دنيا ان حدثت مرة عن كرم الخالق وجوده ، فانها لتحدث اكثر من مرة عن بخل الانسان ... وكم وقفت في هذا العالم الاميركي اتأمل :

لك الله يا دنيا ... في عالمنا القديم يتقاتل الناس ويتفانون على شبر من الارض ، بحجة ان التوسع الى مثل هذا المدى المتواضع يساعد الحياة على النمو ، ويخطو بالانسانية خطوة واسعة الى مواطن هنائها ... وهنا في هذه الملايين من الاميال الزاخرة بالخيرات ، في هذا العالم الجديد الحامل على منكبيه مستقبل الانسانية ، اما للحياة من سبيل الى احلامها ؟

ان للحياة هنا لاكثر من سبيل ، لو ان ابناء الحياة غير من هم ، لو انهم ينظرون بعضهم الى بعض نظرة عدل ، نظرة يلتقي فيها الواجب بالحق ، فما في الارض من شبر لاحدهم فيه ما ليس للاخر ، للدال من خيراته ما للساعد العامل ، وللضعيف المجبول من ترابه ما للقوي الراغب في الاستئثار .

من هنا التعاون في سبيل الخير .

وفي هذا نمو الحياة وهناء الانسانية .

ان شبراً من الارض تزرعه حديداً وناراً ، وترويه كلما جفت تربته بالدم ، لا ينبت للانسانية سوى الويل .

وفي هذه السهول الجميلة ، في هذه السهول التي ما فض بكارة معظمها معول ، ما يكفي انسانيتنا الثكلى شر التقاتل والتفاني على ما تزعم انه لهنائها ، وما هو في الحقيقة والواقع الا لاشباع جوع من لا يشبع من الاستثماريين ومحتكري الخيرات .

لقد استيقظت الارجنتين ... لقد ايقظتها يد رفيقة محسنة ومشت بها في طريق تؤدي الى العدالة الاجتماعية المنشودة ... فالانسان ليس بعد انسانين ، والخير العام واحد للجميع بحق طلابه ، لا يعطى هذا منهم ولا يحرم ذاك ، من اعطى الوطن من عرقه ودمه وروحه وجب على الوطن ان يعطيه ، وليس للاثرة والانانية والاحتكار والاستثمار ان تتحدى حق كل انسان بالعيش .

وحق لأي انسان ان يعيش .

ويعيش الارجنتينيون اليوم سادة ارضهم ، بعد أن بات الشعب وحده سيد مقدراته ، فكل حبة قمح تنبت في هذه الارض هي ملك الامة الارجنتينية ، وللأمة الارجنتينية وحدها ان تتصرف بها ، لمصلحتها قبل اي كان من الناس ، والامة كل واحد من بنيها ، وخير بنيها اولئك الذين يحيون بمعاولهم وفؤوسهم شمسها الطالعة في الصباح وشمسها الغاربة في هدأة كل مساء .

وطبيعي ان لا يرضى هذا من تعودوا تسخير الفأس والمعول ومن بنوا نعمتهم على انقاض طمأنينة السواد الاعظم من الشعب ، وان يعمل هؤلاء في الخفاء لاعادة الامة القهقرى ... ولكن يقظة الامة كفيلة بالقضاء على مؤامراتهم ، لا دفاعاً عن رجل اتخذته رمزاً لنهضتها ، بل دفاعاً عن عقيدة انبعثت من اعماقها ، ولن ترضى بان يفرض عليها اي نظام لا يكون من جوهر هذه العقيدة .

ان للامة الارجنتينية مطامح تستند الى قواها المادية والادبية لبلوغها ، في مقدمتها قيادة اميركا اللاتينية وتحريرها من اي سيطرة اجنبية ، ومهمتها في الحقيقة شاقة ... ولكن ثقتها بنفسها ، والروح التوثبية التي اشتهرت بها ، تؤهلها لمثل تلك القيادة ، ومن الادلة على هذه الروح قول يردده ابناؤها ، وفيه من الاعتزاز والثقة بالنفس ما فيه ، هو : « ثورتنا الملك ، وامتنا الامة الاولى ... » .

نحن في الارجنتين

الجالية اللبنانية السورية في الارجنتين هي الجالية الثانية بعد جالية البرازيل عددا .

يعود تاريخ مغتربيها الاوائل الى ما بين السنة ١٨٨٢ والسنة ١٨٨٤ ، ويروي احد الذين اغتربوا بعد هذا التاريخ قصة طريفة لاغترابه نلخصها فيما يلي ، بالنظر الى علاقتها بالموضوع .

●

قال الراوي :

في غرة العام ١٨٨٦ ابحرت من بيروت الى باريس ، حيث اقمت ٦٠ يوما اتزود من بضائعها ، وتابعت بعدها سفري الى شيلي ، ماراً بمضيق « ماغلان » في اقصى جنوب القارة وبعد ٤٥ يوما وصلت الى فالبارايسو مرفأ شيلي ، ومنها انتقلت برا ببضائعي الى سانتياغو العاصمة .

ولم اوفق هناك .. فانتقلت الى بوليفيا ، وبعد سفر شاق في البحر ومن بعده بالقطار ، ثم على ظهور البغال ، انتهيت الى لاباس التي تعلو ٤ آلاف متر عن سطح البحر ، وهناك ايضاً لم اوفق بتجارتي ولا بصحتي ، مما اضطرني الى بيع بضائعي جملة بابخس ثمن .

واسرعت بالرحيل قاصداً الى بونس ايرس ، رغبة في ركوب البحر منها والعود الى الوطن ، وكان السفر اولا على ظهور البغال ، وقد قضينا ثمانية ايام بلياليها سفرا متواصلا ، في جبال ووهاد جرداء قفراء ، يعضنا قر الليل بنابه ، وتحرقنا شمس النهار بحرها واكبادنا تذوب عطشا ولا ماء .

وبعد البغال ركبنا عربة — من نوع عربات الاوتوبوس — ثم القطار الذي اقلنا الى بونس ايرس .

وكانت هذه مدينة صغرى بالنسبة اليها اليوم ، لا يزيد عدد سكانها على الثلاثمائة والخمسين الفا ، شوارعها ضيقة قذرة ومنازلها حقيرة مؤلفة في معظمها من طابق واحد ، وميناؤها صغيرة ترسو البواخر فيها قرب صقالات من خشب تفرغ عليها البضائع وتنقل الركاب .

ولدى السؤال عرفت ان اقدم المغتربين الى هنا هم مخائيل ملحم السمعاني من حصرون ، واسكندر عساف من كرمده ، والشيخ يوسف رفول من اجبع ، والاخير من الثلاثة ما يزال حيا الى الان .

●

وجالية الارجنتين كجالية البرازيل — كسائر جالياتنا في



الجالية في احدى حفلاتها الوطنية الفخمة

اميركا – منتشرة في كل مكان ، من اطراف البلاد الشمالية الى اطرافها الجنوبية ، واول شارع اتخذته متراً لتجارتها شارع ربكونكيستا ، فهذا الشارع في بونس ايرس كشارع القندقا في ريو دي جانيرو ، كشارع ٢٥ اذار في سان باولو ، هو لبناني سوري ٩٥ بالمئة .

وغنى اللبنانيين والسوريين هنا لايوازي غناهم في البرازيل ، فهنا تجار وصناعيون ومزارعون وارباب مصارف اجل ، ولكنهم لم يبلغوا بعد المستوى الذي بلغه اخوانهم في سان باولو مثلا .

واهم مشروع مالي قاموا به هو انشاؤهم المصرف السوري اللبناني ، برأسمال كبير من اموالهم الخاصة ، ولهذا المصرف اليوم مكانته المحترمة حتى لدى ابناء البلاد ، وله فروع في بعض المدن الداخلية الكبرى .

وللجالية في بونس ايرس مدرسة ، انشأها المرسلون اللبنانيون الكريميون وفيها عدد كبير من الطلاب ، بينهم بعض ابناء الاسر الكريمة من الوطنيين انفسهم ، ويتعلم هؤلاء فيها الى جانب لغتهم الاسبانية اللغة الفرنسية واللغة العربية .

●

اما جمعيات جالياتنا في هذه البلاد فكثيرة ، بحيث لا تخلو مدينة ولا بلدة منها ، وفي العاصمة تجد في كل حي ، وفي كل ضاحية ، جمعية وناد يختلف اليه الاعضاء وضيوفهم ، في اوقات فراغهم وعطلاتهم ، ويقيمون الحفلات « القومية » والسهرات التي تذكرهم ابدا بوطنهم .

ولم يكن نشاطنا الصحفي هنا اقل منه في البرازيل ، وما يزال هذا النشاط متواصلا – نسبيا – الى الان ، وساعود الى وصفه ، وكذلك الى وصف نشاطنا الاجتماعي ، بمقالة لاحقة .

●

وما ارى بعد بدا من كلمة للتاريخ :
يؤكد بعض المؤرخين – ومنهم من علماء هذه البلاد الاعلام – ان عرب الاندلس لعبوا دورا هاما في تاريخ العهد الاسباني هنا .

فالارض الاسبانية التي احتلها العرب ثمانية قرون متوالية ، والتي اضطرت دولتهم بعدها الى التخلي عنها ، ظلت عربية بالكثير من سكانها ، وبما اشتهر به هؤلاء من علم وفن وشدة مراس وبأس .

والجالية الاسبانية الاولى التي جاءت الى هنا كان قسم كبير منها عربا ، وقد احتفظ هؤلاء بطبائعهم وعاداتهم ، واحتفظ بعضهم بالاسم العربي ، كأسرة « البراسين » مثلا ، فهي من اعرق اسر البلاد غنى ونبلا ، وتعود باصلها الى « البرازين » الذين كانوا من اشرف الاندلسيين عرقا واكرمهم محتدا .

وكان سارميانتو « معلم الارجنتين » واحد رؤوسائها الاعلام ، يفتخر باصله العربي ، وفي بعض مؤلفاته ما يدل على ذلك .

ولعل ابرز دليل على عروبة الكثيرين من الارجنتينيين الاول « الغاوتشو » ... فهؤلاء الفرسان الاشداء ، بسراويلهم الفضفاضة الطويلة ، وبما يتحلون به من صفات الرجولة والفروسية فضلا عن عاداتهم وتقاليدهم ومآكلهم ، يعيدونك لاول وهلة الى البادية ، او الى سهول الاندلس التي كانت تزخر بامثالهم .

●

بعدما تقدم لا نرى عجبا في امتزاج جالياتنا الناطقة بالضاد بابناء هذه الامة الكريمة امتزاج الماء بالراح .

فهنا ايضاً نواب وحكام وقادة ، وهنا اطباء ومحامون ومهندسون وصيادلة وفنانون ، وهنا ادباء ارتفعوا الى ارقى مستوى بادبهم ... وما اذكر هؤلاء جميعاً الا اذكر منهم منصور سعاده ورشيد عجوب ، وكلاهما من نواب مجلس الامة الاتحادي ومن قادة الجماهير في مناطقها الانتخابية ، والامير أمين ارسلان الذي كان من امراء البيان وممن ملكوا ناصية اللغة الاسبانية .

صحافتنا وأدبنا

« على ضفاف النهر الفضي »

ليس لتاريخ ادبنا العربي هنا – في الارجنتين – عهد ذهبي، ولكن هناك ادباء بيضوا صفحة هذا الادب، اخص بالذكر منهم راحلين كبيرين: الدكتور حبيب اسطفان والامير امين ارسلان ولكليهما ذكرى تنضح بالطيب، وتعطر تاريخ الادب العربي، كتاريخ الادب الاسباني.

وممن عرفت من ادباء في هذه الربوع الاديب والشاعر جورج عساف، والدكتور جورج صوايا، والكاتب اللبق جبران مسوح.

وعرفت ايضاً الشاعر الكبير الثري جورج صيدح، هذا الذي تراه في كل مكان: في فنزويلا وفي الارجنتين وفي البرازيل وفي فرنسا وفي سوريا، ولبنان – وهو الان تزيد له «الحصة الكبرى» منه وبخاصة بعد ان بات له من شعره ومن فيض حنانه وحبه، في مغانيه «شيطانان».

●

ولصحافتنا تاريخ... وتاريخ صحافتنا هنا كتاريخها في البرازيل، كتاريخها في الولايات المتحدة كتاريخها في اي مغترب لنا، كتاريخها في الوطن:

ما تكاد تولد حتى تموت.

لا يفرح احد لولادتها، ولا يحزن احد لموتها... وليس كل الذنب في ذلك ذنبها، وليس كل الذنب في ذلك ذنب قرائها، فهي تولد غريبة عن هؤلاء القراء وتموت قبل ان توثق صلة قرباها بهم، وقبل ان تجد من هؤلاء من يود الاعتراف بهذه القربى.

●

في السنة ١٨٩٤ اصدر سليم بالش من زحلة جريدة «الفيحاء» وهي اول جريدة عربية ظهرت في اميركا الجنوبية وقد استدعى نعوم لبكي من البرازيل للمساهمة في تحريرها وبعد بضعة اشهر عاد هذا الى ريودي جانيرو حيث اصدر جريدة «الرقيب» كما سبق وقلنا.

وفي السنة ١٨٩٨ اصدر الخوري يوحنا سعيد جريدة «الصاعقة» ثم ابدلها باسم «صدى الجنوب».

وفي السنة ١٨٩٩ جاء شكري الخوري من البرازيل، واصدر جريدة «الصبح» بشراكة خليل شاول، ثم تخلى عنها فابتاع مطبعتها شكري خزامة واصدر جريدة «الصدق».

ثم توالى اصدار الصحف، فاصدر وديع شمعون جريدة «السلام» في السنة ١٩٠٢ واصدر ميخائيل السمرا بعده جريدة «الزمان» والمرسلون اللبنانيون جريدة «المرسل» وموسى عزيزة «الجريدة السورية اللبنانية».



الصحافيون في بونس ايرس يحتفون بالاستاذ عبد الله حشيمه في مأدبة أقاموها له

ومن الصحف التي تعهدتها اقلام كبار الكتاب والادباء ولم تعمر طويلا: مجلة «التمدن» للدكتور حبيب اسطفان وجبران مسوح، وجريدة «الاستقلال» للامير امين ارسلان، ومجلة «الاصلاح» للدكتور جورج صوايا، ومجلة «الحياة» للاديب الشاعر جورج عساف.

* * *

اما الصحف التي ما تزال تصدر الى اليوم، فهي في العاصمة: الجريدة السورية اللبنانية، جريدة السلام، جريدة المرسل، جريدة الاتحاد اللبناني، جريدة العلم العربي، جريدة الراية، مجلة العالم العربي، النشرة الاقتصادية.

وفي التوكومان جريدتا الشرق والاخاء.

ولا يقل عدد الصحف التي صدرت الى الان عن السبعين، اطولها عمراً «السلام» التي يديرها – بعد وفاة مؤسسها وديع

شمعون – شقيقه كميل ومحررها جورج عساف ، واوسعها انتشاراً « الجريدة السورية اللبنانية » التي تخلى عنها مؤسسها موسى عزيزه لصهره امين قسطنطين .

* * *

تلك هي صحافتنا وتاريخها في الارجنتين .

والجالية تقدر جهود اربابها الى حد مـــا ... ولكن « التقدير » وحده لا يكفي لرفع مستواها ، بالنسبة الى مستوى الجالية الاقتصادي والادبي ، وقد تحدثت الى الكثيرين بشأن تأسيس شركة صحافية ، برأسمال كاف لاصدار جريدة كبرى باللغة الاسبانية ، ومجلة مصورة باللغة العربية تبين وجوه الجالية بتمامه ، ويكون للأوطان العربية في الجريدة والمجلة معاً مجال لدعاوة صادقة خيرة ، فوجدت لدى معظمهم استعداداً طيباً لذلك .

ولكن ما ينقص هو التنفيذ .

ومما يستحق الذكر أن اصحافتنا هنا جمعية تلم شملهم ، وقد اتيح لي ان آكل على مائدتهم ، وان اشرب من خمرة انسهم ومحبتهم الصافية ، فأفرحني ما رأيت من تفاهمهم واتفاقهم على سمو رسالتهم ، واحزنني شيء واحد هو ان لا يجتمع شملهم حول صحيفة واحدة كبرى تنطق باسم الجالية خادمة الجاليـــة .



من حياة جاليتنا الاجتماعية

لجالياتنا في اميركا ليال تذكرك بالوطن ، بعد ان يكون النهار قد اوشك ان ينسيك اياه ، ولياليّ جالية بونس ايرس مما احفظ له اجمل الذكريات .

في البيت اللبناني حفلات ومآدب ، يزدحم البيت بالمدعوين اليهـا ، و « للعرق » و « الكبة النية » و « اللحم المشوي » صدارة المائدة منها .

وانت هنا في لبنان .

يطربك العود والدف والناي من جهة ، ويرنحك الرقص والدبكة السيادة على المسرح — ويعن الزجل في اثارة حنينك الى الوطن ، فيكاد الدمع يطفر من عينك ، وانت تعالـج تأثرك بابتسامة .

●

وفي نادي « شرف ووطن » يرحب القوم بك ، وانت ضيف الشرف بينهم ، بسخاء قد تتصوره اذ تتصور ان نفقات النادي هذا ، على حفلاته ومآدبه ، تجـاوز المليون ريال في السنة .

وعمدته مؤلفة من كبار اثرياء الجالية ، لبنانيين وسوريين ، وممن لهم لدى الحكومة وفي المجتمع مكانة .

وقد كنت « ضيف شرف » بينهم ، حين تذكرت ان هناك من ينعي على الجالية تفرقها ، ومن يعمل — مع الاسف — على تغذية روح التفرقة ... وكان علي ان اتكلم ، فقلت بهذا المعنى :

يا بني امي بنينـا للعلى ما بنينا ورفعنـا قببا
ألى الارز انتسبنا ام الى بردى فالفخر ان ننتسبا
واذا مـا قيل انا عرب فبناة المجد كانوا عربا...

●

وفي نادي الشباب العربي سدرة المنتهى ... فهنـا شباب الجالية ، الشباب الذي لم يعرف الوطن في معظمه ، وتراه مع ذلك يحمل الوطن في قلبه ، ويتفهم معاني الوطنية بخلاف مـا يتفهمها الكثيرون ، ممن اغتربوا عن معاني هذا الوطن كباراً .

لا طائفية هنا .

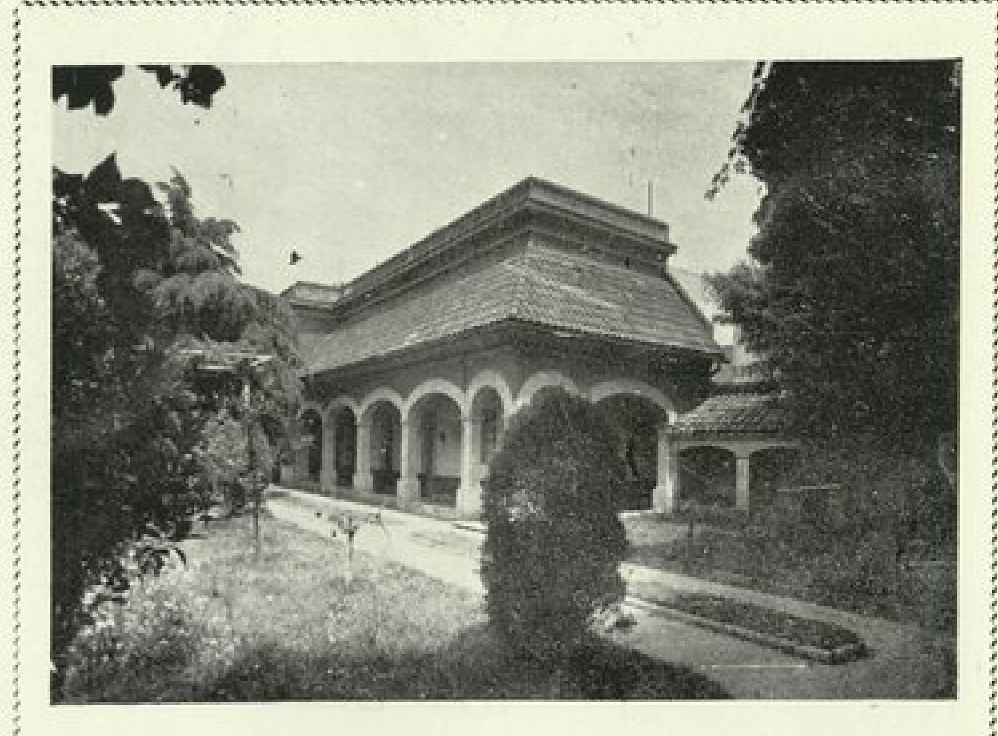
لا مذاهب هنا .

لا عنعنات ...

هنا وطن واحد لشعب واحـد ، يتساوى فيه المسيحي والمسلم ، ويشارك المسلم المسيحي حـتى في اعياده .

وهـا انذا بين ذلك الشباب ، نحتفل مرة بعيد قيامة المسيح ، ومرة بعيد مـولد النبي العربي ، والميدان في اي حال لنا نحن الاولى نبني على الارض لوطن واحد ، وليس علينا ان « نبني السماء » ومـن خلق السماء لا يحتاج في بنائها الينا .

●



من مباني ومناظر المنتفى السوري اللبناني

وفي النادي الحمصي نشرب نخب سورية ، ونؤدي واجباً لفلسطين ... ولئن كانت السياسة الغادرة قد فجعتنا بهذه ، فعزاؤنا – عزاء هذا الشطر المغترب العزيز – انه لم يقصر نحوها بواجب .

ومن رآه هنا ، في هذا النادي نفسه ، يفتح القلوب والايدي ، بسخاء ليس بعده سخاء ، لا يسعه الا الانحناء لعظمة العاطفة ، تلك التي ما قيل : « يا لفلسطين » الا وأبناء يندفع بها هاتفاً : « لبيك ... هذه بافلسطين اموالنا » ولو طلبت ارواحهم لما ترددوا والله في بذلها .

●

والمستشفى اللبناني السوري ، او السوري اللبناني ، ولجنته الكريمة .

اما اتاك حديثه ؟

انه لمظهر حي من مظاهر رقينا ، ومفخرة صارخة من مفاخر اغترابنا ، ولا يسعك اذ تزوره الا ان تحييه تحيتك لبناته ولمن قدموا من مالهم وعطفهم حجارة للبناء ، فكانوا ما ارادت كبرياؤنا ان يكونوا ، ونحن نبني تحت كل شمس لاوطاننا ولكبريائنا .

●

وعصبة الزجل اللبناني ... الا رعى الله فتيانها ولياليهم ، تلك الليالي الزاخرة بالشعر ، العابقة بالفن .

الى الفجر ساهرنا نجومها .

في البيت اللبناني تارة ، وعلى ضفاف النهر الفضي طورا ، بين ازهار الربيع الحالمة بالحب ، ولبنان ... ابداً لبنان ، تروح بنا ذكراه على حلم ، وتغدو على يقظة ...


شبلي

من تاريخ شيلي

تمتد اراضي شيلي على شاطيء المحيط الهادىء ، بطول لا يقل عن الاربعة آلاف كيلومتر ، وعرض لا يجاوز في معظمه المئتين والخمسين كيلومتراً ، وسكانها نحو من ستة ملايين .

وهي بلد من اجمل بلدان اميركة ، وذات طابع خاص بين هذه البلدان ، بالنسبة الى الجبال – جبال الآندس – التي ترافق امتدادها من جهة ، والى غنى تربتها بالاثمار المختلفة والمعادن والمياه المعدنية من جهة ثانية .

وتاريخ هذه البلاد يبدأ بتاريخ الفتح الاسباني ، وقد اتاها الفاتحون اولا من الشمال ، واول من رفع علم الفتح عليها رسمياً بدرو دي فالديفيا ، وكان ذلك في السنة ١٥٤٠ ، واسس مدينة سانتياغو عاصمتها في السنة ١٥٤١ ، وفي السنة ١٤٤٥ بعث الى مليكه الدون كارلوس الخامس بالرسالة التاريخية التالية :

« ليعرف ارباب المصالح من تجار وسواهم ممن يرغبون في المجيء الى هنا ان هذه البلاد صالحة للاقامة وللعيش الدائم . ليس في الدنيا بلاد تفضلها لأنها أرض سهلية وكثيرة الخيرات. اشهر الشتاء فيها اربعة وما تبقى من ايام شهورها صحو وشمس دافئة . صيفها معتدل جداً وهواؤها بليل بحيث لا يحتاج المرء فيها الى قبعة تقيه حرارة الشمس . مراعيها خصبة وكلأها وفر ومواشيها كثيرة . خشبها متين وجميل للصناعة وللوقود منه كميات لا تنفد . مناجم الذهب تملأ تربتها وفي أي مكان منها يجده الباحثون ... كأن الله خلقها ووضع كل ما فيها من ثروات في متناول ايدي ساكنيها » .

ومما لا شك فيه ان كل فاتح اسباني وصل الى مكان من هذه القارة العظمى كتب مثل هذا الى مليكه ، ولكن ما كتبه بدرو دي فالديفيا هو اقرب الى الواقع من كل ما كتب سواه .

ولكن الاسبانيين الأول الطامعين بالثروات التي حدث الفاتح عنها لم يستقروا هنا بسهولة ، فسكان البلاد من الهنود كانوا رجال حرب اشداء ، وقد استماتوا في الدفاع عن ارضهم وثرواتهم ، ويروى ان احد زعمائهم – ويدعى كوبوليكان– فرّ من احدى المعارك ، فأقبلت عليه زوجته غضبى ، ورمته بطفل لهما قائلة : « ارجع ... لا اريد والداً جباناً لولدي » .

وخضعت شيلي في جملة البلدان التي خضعت للسيادة الاسبانية قروناً ، الى ان قام من طالب لهم الاستقلال على غرار اخوانهم وجيرانهم في البلدان المتاخمة ، فهبوا يطلبونه بأسنة الحراب ونيران المدافع .



تمثال الفاتح بدرو دي فالديفيا

وبطل استقلال شيلي القائد أوهغنس ، وهو من اصل ارلندي ، وكيفما اتجهت في طول البلاد وعرضها تجد اسمه وتمثاله ... وقد شاهدت تمثالا له في بلدة « بانكاغوا » من جارات العاصمة ، فاذا هو على صهوة جواده الواثب ، وتحت الجواد جندي اسباني صريع مع علم بلاده ... وقيل لي :

– زار ملك الاسبان فيما مضى الارجنتين زيارة ودية ، وابى ان يزور شيلي التي ودّت لو يزورها ، الا اذا رفعت

حكومتها الجندي والعلم من تحت الجواد .

وقرأت على قاعدة التمثال ، تحت اسم المحرر ، العبارات المثيرة التالية :

- احتقر الموت الان كما احتقرته في ساحات القتال .
- يا فتيان الوطن... لنحيَ بشرف ، او فلنمت بمجد .
- لم يبق لي سوى ذراع واحدة ، ولكني بذراعي الثانية سأقرر مصير الوطن .
- على هذه الخشبات الاربع يتوقف مستقبل اميركا .

وشاهدت هذا القائد الكبير في مايبو ، على طريق سانتياغو – فالباريسو ، حيث خاض الاستقلاليون اعظم معركة حاسمة بقيادته ، وقيادة المحرر الاكبر خوسه سان مارتين ، وقرأت على النصب التذكاري المقام لذكرى القائدين هناك ما تعريبه :

الى غالب الغالبين

القائد العام دون خوسه سان مارتين

في ٥ نيسان ١٨١٨

ومعرفة للجميل أقيم هذا النصب ، فالقائد الارجنتيني البطل ، وقد شاء ان يهب الحرية لكل بلدان اميركا ، كان قد قطع جبال الاندس الشاهقة (١٨١٧) بالعبقرية نفسها التي قطع بها نابوليون جبال الالب ، لنجدة المجاهدين الشيلانيين بقيادة بطلهم أوهجنس ، وتنازل له هذا عن القيادة العامة ، فراح يخوض معارك عنيفة ضارية الى ان لم يبق في البلاد جندي اسباني ، فأغمد حينئذ سيفه وقال لابنائها :

– لقد ارتفع علمكم ، فحافظوا على شرف هذا العلم ، وذودوا عنه بدمكم... بهذا تحافظون على الارض الاميركية ، الارض التي لا يحق لأحد سواكم ان يستثمر خيراتها ، وأمانة هي في اعناقكم لأجيالكم الاتية .

وفي سان كريستوبال – رفيق المسافرين – وقفت على المرتفع نفسه الذي وقف القائد البطل اوهجنس عليه ، وأشرف منه على المدينة الجميلة فالباريسو ، وعلى مياه بحرها الهادىء ، حيث كانت ترسو عمارة الاستقلاليين الصغيرة الضعيفة ،وقوامها اربع سفن لا يبعث مرآها كبير أمل ، وقال كلمته التاريخية :

– على هذه الخشبات الاربع يتوقف مستقبل اميركا .

وعلى اشرعة تلك الخشبات الاربع كتب التاريخ ما كتب ، فاذا بالبلدان الاميركية تحطم قيودها ، وبالعظمة الاسبانية تتوارى شيئاً فشيئاً امام عظمة الحق ، هذا الذي يأبى ان يستعبد المرء أخاه ، وفي حديث عربي شريف : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً ؟ » .

وشيلي الجميلة المزهوّة باستقلالها ، المعتزة بالتفاف ابنائها تحت راية هذا الاستقلال ،تحتل اليوم مكانتها بين دول الارض ، تسالم حيث تدعى الى مسالمة لا تمسّ كيانها وسيادتها ، وتنفر الى السلاح نفرة الامة الابية اذا ما هدّدت ، وشعارها الذي لا تتنازل عنه : « Por La Razon o La Fuerza » ومعناه : « بالحق او بالقوة » .

دنيا في كتاب «؟»

جبالٌ وثلوجٌ وفاكهةٌ ومعادنُ

لا أحدث عن الجبال وأنا ربيبها ، وسلسلة جبال « الاندلس » الفاصلة بين الارجنتين وشيلي ، هذه الجبال الممتدة من شمالي القارة الى جنوبها ، هي بما يحمل من يقطعها براً ، ومن يحلق فوقها جواً ، على التأمل العميق بقدرة الخالق ، وبقدرة الانسان الذي ذلل العقبات لقطعها بوسائله القديمة والحديثة .

من هنا مر سان مارتين بجيشه المحرر ، مرتفعاً من السهل الى قنن تعلو ثلاثة آلاف من الامتار ونيف ، وليس مثل هذا الارتفاع بالأمر السهل على جيش يجر مدافعه وعرباته ، ويكاد جنوده ينوءون بأثقالهم ، والطاعة لقائدهم - الى جانب رسالتهم - تفرض عليهم عدم الشكوى والتذمر .

ومن هنا مررت ... في قطار كأنه الافعوان في سيره عبر الأودية والتلال ، تارة يرتفع الى قنة وطوراً ينخفض الى واد ، والمناظر الجميلة الساحرة تتراءى من الجانبين ، وكأنها من رؤى الخيال بألوانها وعناصر جمالها الوحشي .

وبعد الجبال سهول ما تالكت لدن وقع بصري عليها ، وعلى مجاري المياه التي تخترقها ، من الهتاف : « السهول ... والسهول بلادي ... » حيث تراءت لي كروم العنب ، وجنائن التفاح والاجاص والدراق والمشمش ، وحيث تمتد دنيا من زمرد يكاد لا يدرك الطرف آخرها .

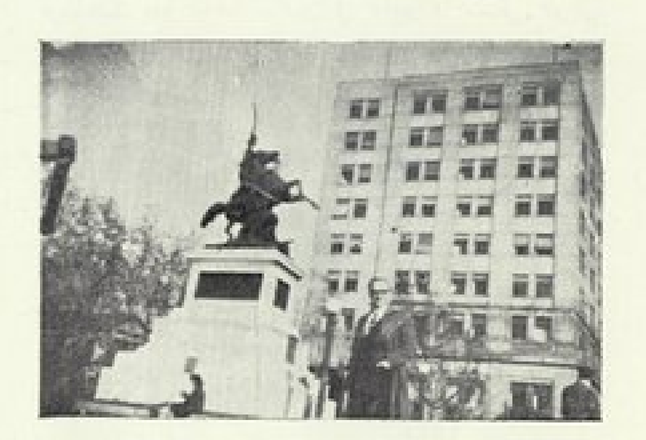
●

وسانتياغو العاصمة المزهوة بدنياها - دنيا الجمال والخير والمجد - ما كدت اصل اليها حتى غمرني ارتياح ، ارتياح جسدي ونفسي ، لم اشعر بمثله منذ بدء رحلتي .

وتضاعف ارتياحي عندما ابتدأت أتعرف الى أهليها ، من مواطنين تكاد لا تشعر للطفهم بأنك غريب بينهم ، ومن أبناء جاليات اشتهرت بكرمها وحسن حفاوتها بالضيف ، وبخاصة متى كان ضيفها أديباً او حامل رسالة .

وفي هذه العاصمة ما يغري كل زائر غريب بزيارته ، والتاريخ هنا يتوّج بالرهبة من جهة ، وبالجمال الذي يغمر النفس بفيض من الطمأنينة من جهة ثانية .

فهذه قلعة القديسة لوسيا « سانتا لوسيا » قلعة الفاتح الذي اسس المدينة ، وبنى قلعته الحصينة للذود عنها ، فما أروع الرؤية حين تعود بك الى الماضي ، حين كانت المباني والاشجار والطرقات والسلالم والمخابيء شهود حرب وقتل ، وما اجملها الآن وقد تحولت هذه كلها دروباً واعشاشاً للاحلام ، وبخاصة للشباب الذي يودُّ لو تتحول كل دمعة ذرفها الامس حوالي هذه القلعة وفيها ابتسامة .



تمثال القائد المحرر أوهغنس

وهذه بعدها هضبة « سان كريستوبال » يرقى اليها بمصعد كهربائي ، لطلب شفاعة العذراء القائم تمثالها بعظمة فوقها ، وللانتحار تحت اقدام هذا التمثال ، حين لا تجدي الصلاة في جبر قلب الشباب ، وقد حطمه الحب في دروب المدينة حيث للجمال دولة يكاد لا يعرف رعاياها الأمن ، ولا يقر لحاملي راياتها في ساح الفتح قرار .

وكما يفخر الشيلاني بأرضه الجميلة ، وبخيرات هذه الأرض التي لا ينضب معينها ، هكذا تراه يفخر مزهواً بجمال مرأة بلاده ، فما تكاد تتعرف اليه حتى يبادرك بالسؤال :

- وكيف ترى المرأة الشيلانية ؟

●

لقد اختلطت الاجناس البشرية هنا اختلاطاً راقياً ، فالدم الأوروبي بأسره يجري في عروق من ترى ، وجمال المرأة الشيلانية يدعو في الواقع الى التأمل ، واكثر منه لطفها وظرفها وتأنقها .

وكما اختلطت الاجناس الانسانية وتمازجت وتناسقت ، هكذا ترى العمران والحضارة خليطاً متمازجاً متناسقاً ...

وأعجب ما أعجبني من ذلك « الحديقة اليابانية » سابقاً ، و « الحديقة البريطانية » منذ الحرب الاخيرة ... ففي هذه الحديقة أغراس وأزهار أهدتها حكومة اليابان اياها ، فأطلقت السلطة المحلية عليها اسم «الحديقة اليابانية» مجاملة ، حتى اذا كانت الكسرة لليابان في الحرب الاخيرة ، اغتنمت بريطانيا الفرصة فأهدت الحديقة المذكورة مجموعة من أغراسها وأزهارها ، فجاملتها السلطة ذات الاختصاص بابدال اسم الحديقة السابق باسمها الحالي « الحديقة البريطانية » .

وحتى النوَر لهم في هذه البلاد كيان ومملكة ... وملك النوَر هنا من كبار الاغنياء العالميين ، حيث تقدر ثروته بسبعين مليون دولار ، وقد تزوج ولده - ولي عهده ووريثه - السنيور خوان كاليفورنيا بابنة ملك نوَر الولايات المتحدة ، وأقيمت لعرسه حفلات فخمة حضرتها وفود من مختلف أقطار العالم ، وقدمت للعروسين الملكيين فيها أثمن الهدايا واجملها ، والى الآن لا أعلم اذا كان نوَر لبنان قد مُثلوا في هذه الحفلات ...

●

ومن الذكريات التي لا انساها - وأبناء العاصمة أنفسهم لن ينسوها - تغيرٌ فجائي طرأ على الطقس هنا ، فبينا الصحو ينعش الارض وأهلها بشمسه الدافئة الخيرة ، اذا بالجو يعتكر ذات ليلة على حين غرة ، وما اطل اليوم التالي الا والثلج يغمر المدينة ، والبرد القارص يلذع الاجسام لذع السياط ... وقالت الصحف يومئذ : « لم تشهد عاصمتنا مثل هذا الحدث الطبيعي الغريب منذ ثمانين سنة » .

ولما عاد الصحو والدفء ، وفتحت الطرقات الجبلية ، أبى أخوان من فتيان الجالية الغر الا أن يكونوا رفقائي الى الجبال العالية .. الى الجبال البيض البادية عبر السهول وكأنها عرائس الجبال ... فاذا بنا في الطريق ، والسيارات تطوي الأرض الخضراء الى الأرض البيضاء ، وأنا أفتح عينيّ على حلم وأغمضها على عشرات الأحلام ، ورؤيا الوطن البعيد لا تفارقني في الحلم واليقظة .

والطريق الى الجبل ثروة .. ثروة أرض تنبت الخير للزارع ، ومياه تحمل الخصب للأرض ، ومشاريع اشتركت في تحقيقها الأيدي المحسنة ، للافادة الخاصة أولا ، ولتوطيد دعائم الاقتصاد الوطني في التالي ، وقد كانت الأرض وما تزال مستودعاً للثروات الحقيقية ، وما من بلد بنى لاقتصاده على هذه الثروات الا كان الازدهار نصيبه .

ونحن بين الثلوج في - Banos Morals - على ارتفاع ١٨٠٠ متر عن سطح البحر ، بين جبال ترقى قنتها الى السحب ، وأودية تنحدر أغوارها الى ما لا ترى العين ، وفي وسط هذه الثلوج ينابيع مياه معدنية ساخنة ، وهذه المياه تشفي من امراض وعوارض عديدة ، يؤمها طلاب الشفاء من أماكن قاصية ، وحمدت الله على أني زائر متفرج فلم أنهل منها مستشفياً ، بل لأكون شاهداً حين يؤتى على ذكرها عليها .

وعلى الثلج تناولنا طعامنا ، من اللحم المشوي والسردين والبطاطا ، ولم ننس البصل رفيق اللبناني في نزهاته ومآدبه البرية ... واقسم أني ، في جميع المآدب التي دعيت اليها - ومآدب جالية تشيلي ذات شهرة واسعة في دنيانا الأميركية - لم أجد اللذة التي وجدتها في مأدبتنا الجبلية هذه ... وكأني باللحم المشوي والسردين والبطاطا ، بل كأني بالبصل الذي كانت له صدارة المائدة ، طائفة من المآكل التي تزخر بها موائد الملوك في عيد ولي العهد أو في عرس لولية ...

جاليتنا في شيلي

جاليتنا في شيلي فلسطينية سورية لبنانية ، وهي على صغرها تحتل المكانة الاولى في دنيا الصناعة ، ولها مكانتها الخاصة في السياسة والادب والاجتماع والمهن الحرة ، وتاريخها يعود الى السنة ١٨٨٢ ، وأول من فتح لها الطريق صالح جاسر — الملقب بأبي توفيق — من بيت لحم ، ففي السنة المذكورة وصل الى هذه البلاد ، وقيل انه لا يزال الى الان حياً يرزق .

وجاء بعده من لبنان نقولا سرور الطرابلسي وحافظ خوري ... وتوالت بعدهم القوافل ، ولعل عددهم اليوم لا يجاوز العشرة الآلاف ، ولكن انتشارهم في طول البلاد وعرضها ترافقه الاسطورة الخالدة التي رافقت وترافق الى الان اغترابنا ، وقيل ان في جوار القطب الجنوبي من « جماعتنا » من نهارهم ثلاثة اشهر وليلهم ثلاثة مثلها .

•

عندما كنت في البرازيل ، جمعتني صدفة باقتصادي شيلاني كبير كان في بعثة حكومية خاصة ، وله صلات وثقى بابناء جاليتنا في وطنه ، وكم كان زهوي وافتخاري عظيما حين قال لي :

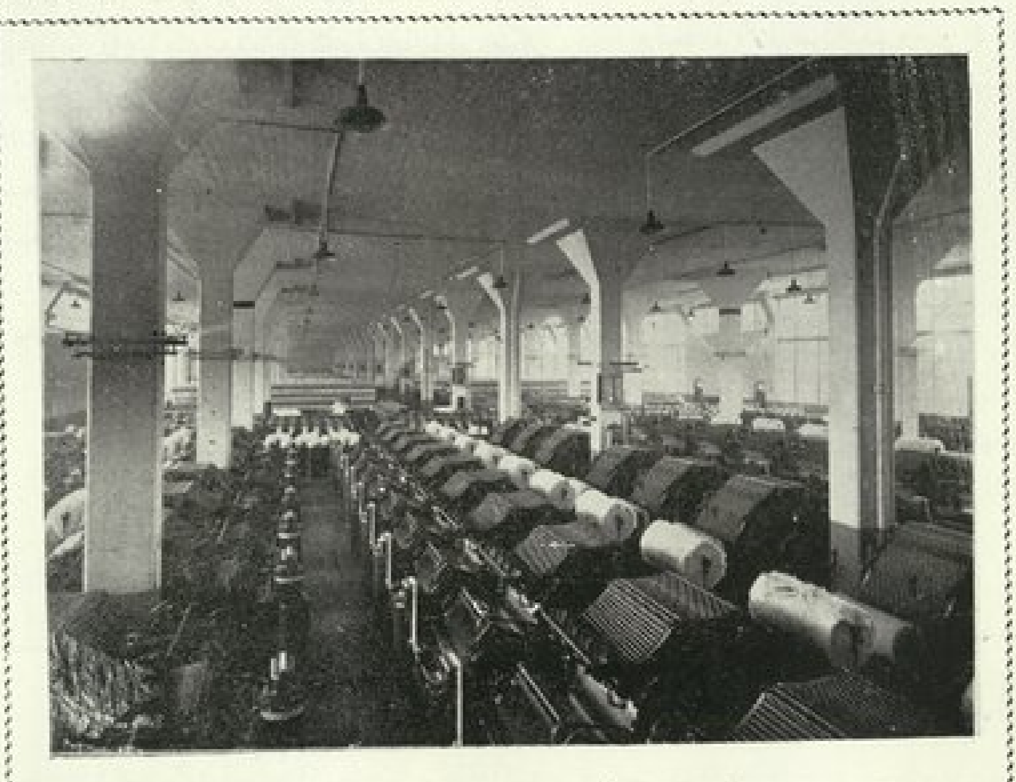
— يجب ان تزور شيلي ... ان جاليتكم هناك المنزلة الاولى في دنيا الصناعة ، فصانع البلاد جميعاً تكاد ان تكون «عربية» .. ولا تقل مكانتها الاجتماعية والادبية عن مكانتها الاقتصادية شأناً .

وها أنذا في دنيا المجد الذي حدثت عنه ... وليس كتابي هذا المختصر لذكر الافراد الذين بنوا لمجدهم ولمجدامتهم في آن واحد ، ولعلي آتي الدين الذي علي نحو اولئك الاخوان في سلسلة مؤلفاتي عنهم وعن اوطانهم الجديدة المعدة للنشر في فرصة قريبة .

•

وللجاليتنا هنا شهرة في الكرم بعيدة ، ولهذا ترى وفود « الضيوف » تؤمها في كل يوم من مختلف الانحاء ، وهي متفاهمة متفقة على كل شيء ، حتى على كرمها في استقبال هؤلاء الضيوف وقد ألفت لذلك لجنة مختلطة من عناصرها الثلاثة : الفلسطيني والسوري واللبناني ، فما تراه هذه اللجنة واجباً تراه الجالية كذلك ، وما لم تقتنع اللجنة بصحته من مشاريع واعمال تعرض عليها صرفت الجالية نظرها عنه .

وتفاهمها على الخير يجعلها في طليعة الخيرين من مغتربينا ، وكذلك في طليعة الوطنيين تأثراً بالحوادث ، وبكل ما يأتيهم من الوطن الأم من انباء متناقضة ، فاذا كان ثمة ما يحمل على الزهو والاعتزاز طاولت النجم زهواً واعتزازاً ، وبتفجر



احد مصانع الجالية وهو من احدث مصانع النسيج وأكبرها

شعورها ثورة على كل ما يحط من شأن امتها وابناء هذه الامة.

وقد شهدت العجب من فتياننا حيال قضية فلسطين وتطوراتها ... فمن هؤلاء الفتيان من أبصر النور هنا، ولم ير وطن ابيه وجده الا بالحلم، ولم يعرف من اوضاعه وحالاته سوى ما حدث الرواة وما طالع عنه في الصحف والكتب، ومع ذلك فقد شهدت من حماسة هذا البعض « للقضايا العربية» ما يخجل اشد المقيمين ادعاءً بالتحمس لها ... ولا بأس من دليل اورده على ذلك :

تحمس الطلاب الجامعيون قدامى وجدداً لقضية فلسطين، وأعني الطلاب « المتحدرون من اصل عربي » كما يسمون بفخر أنفسهم، فراحوا يثيرون هذه القضية في « رابطة جامعتهم » وهي تضم معظم كبار رجال العلم والادب والسياسة، وطالبوا الرابطة بالتدخل لدى الحكومة لحملها على عدم الاعتراف باسرائيل، فقررت الرابطة اقامة « براز جدلي – Foro » بين الفريقين من عرب ويهود، حيث يدلي كل منهما بوجهة نظره في القضية، ومن توافرت لديه الأدلة على حقه كان اولى بتدخل الرابطة لمصلحته.

ودام « البراز » ثلاثة ايام كاملة انتصر اشبال العروبة في نهايتها ... واتخذت الرابطة بناء على انتصارهم القرار التالي :

« نحن نعترف بأن لليهود الحق في ان يكون لهم وطن، ولكن ليس بالاعتداء على اوطان سواهم ... فالعرب في فلسطين منذ ١٥٠٠ سنة، فبهذا الحق لهم وهم اصحابها » وطلبوا من الحكومة عدم الاعتراف بالدولة المغتصبة.

ومن أطرف ما يروى لهذه المناسبة ان اليهود في سانتياغو تلقوا نبأ اعلان « دولتهم » اسرائيل بفرح وحماسة، ورفعوا الاعلام اليهودية على دورهم ومحلاتهم وانديتهم، ودفعت النخوة بعضاً من شباب الجالية الى تحديهم، فهاجموا النادي اليهودي وأنزلوا العلم عنه ... وتدخلت الشرطة في الامر، وساقت المعتدين على العلم الى القسم الاول من اقسامها، وهناك سأل ضابط القسم الشبان عن جنسيتهم، ولما قالوا انهم لبنانيون، اجابهم متحمساً : « روحوا واحرقوا د ... اني لبناني مثلكم» واسم الضابط هذا الذي حن دمه لوطنه الاول الملازم جيرو.

●

ومن اوائل اللبنانيين في شيلي ميكال شيخاني، اغترب عن وطنه وبلدته بكفيا في السنة ١٨٩١، وانصرف عن التجارة الى السياسة في ولاية « شيلوي » من اعمال الجنوب، واحتل المناصب واحداً بعد الآخر حتى انتهى الى منصب حاكم الولاية، وتوفي السنة ١٩٤٣ عن ولد عرفته في سانتياغو يتعاطى التجارة، وابنة أبت الا النسج على منوال ابيها، فكانت خير خلف له في دنيا السياسة.

وجمعتني مناسبة خيرة بسيادة مطران « انكود » حاضرة « شيلوى » وهو من كبار اصدقاء جاليتنا، ويحلم ابداً بزيارة لبنان لرؤية ارزه الخالد، والتبرك بآثار نساكه في وادي قنوبين ... وفي سياق حديث دار بيني وبينه قال :

– يجب ان تزور ولايتنا وتتعرف الى حاكمنا ... انه فتاة لبنانية ... هي السنيوريتا شيخاني ... وأؤكد لك ان الولاية لم تعرف في تاريخها حاكماً اشاع الامن والعدل والطمأنينة مثلها.

●

وللجالية هنا مآثر ومفاخر ... ومن مفاخرها الاولى علاقاتها الطيبة بأبناء البلاد، والمكانة المحترمة التي تحتلها في الاوساط الاجتماعية والادبية والسياسية، فضلاً عن مكانتها الرفيعة في دنيا الاقتصاد والمال، وفي زيارة قصيرة لمدينة فالباريسو مرفأ البلاد الاول، طاب لي ان اسمع ان الفضل في تجميل هذه المدينة، وفي ما هي عليه من تقدم عمراني، يعود الى رئيس بلديتها سابقاً ونائب الامة حالياً ألفردو نصار اللبناني من مزرعة يشوع.

وفي جوار هذه المدينة كلية صناعية هي كلية « فدريكو سانتا ماريا » دخلتها معجباً بما شهدت فيها، وخرجت منها مزهواً بأرزتين من أرز لبنان الخالد تفيئان ناحية من ملعبها، ولم يقل لي احد من جاء بهاتين الأرزتين اليها، ولا أحتاج كي أزهو الى من يقول لي ذلك، فكل من هو وما هو لبناني لا يسأل كيف اغترب، ومن حمله الى مواطن اغترابه ... أليس من جمال هذا الاغتراب وعظمته وروعته ان تطرح مثل هذا السؤال ولا تجد من يجاوبك عليه ؟

وفي لبنان وسورية دليل بارز على من نحن في شيلي مكانة لدى أولياء أمرها، هو حضرة وزيرها المفوض في البلدين الشقيقين السيد ميكال لبان من كبار رجال الصناعة والاجتماع هناك، وقد اختارته المراجع السياسية العليا لتمثيلها في وطنه الاول، لما تعهده فيه من غيرة على مصالح وطنيه القديم والجديد، ومن تفهم لكل ما يوثق الصلات بين الوطنين، على

صعيد الصداقة والمودة والمصلحة المتبادلة .

●

واني اذ اعود بالذكريات الى الجالية التي أحببتها واحترمتها، واذ اجد نفسي مقصراً في وفاء دين لها علي ، أعود الى تحية من التحايا العديدة التي أذعتها عليها ، وانا في ما انا من حسن حفاوتها ، وكريم ضيافتها :

●

يا ابناء جالية شيلي

من ابناء امتي العربية الكريمة

حييتكم بالأمس تحية اخلاص وأحييكم اليوم تحية اعجاب : اما الاخلاص فللرسالة الادبية الوطنية التي جئت أؤديها بينكم، واما الاعجاب فبالأخلاق النبيلة الصافية التي استقبلتموني بها ، وقد كنتم ولا تزالون من اكرم الناس في استقبال كل من جاء يؤدي بينكم مثل هذه الرسالة .

لقد عرفتكم المعرفة الكافية التي تمكنني من التحدث بعد الان عنكم : بعصاميتكم بلغتم ما بلغتم من دنيا المادة ، وبهذه العصامية بنيتم ما بنيتم لدنيا الروح ، فأنتم بالمادة وبالروح موضوع تقدير الوطن الذي احتضنكم ، وعنوان فخار الاوطان التي سلختكم حادثات الزمن عنها .

بهذا سأحدث عنكم ... وأطيب الحديث ما أحفظه عن هذا البلد الجميل ، عن هذا البلد الحامل لواء الحرية الى جانب لواء الضيافة ، وفي ظل اللوائين تقيمون على الطمأنينة والامن ، وتعملون باخلاص لكل ما يرفع اسمكم ويعلي شأن أوطانكم .

فرحى لك يا شيلي ... لقد أنار لك مشعال أوهجنس O'Higgins - الطريق، فأنت تسيرين على ضوء هذا المشعال، وهدفك السلم والعدل الانساني الأسمى ، لا تتأثرين الا بالروح التي بها ناضلت في سبيل المثل العليا ، ولا تعملين بوحي سوى الوحي الذي سيّر منذ البدء خطاك في طريق الحرية .

والذي يحييك حر من بلاد عريقة بحريتها ، عريقة بنضالها ضد المعتدين على حقوقها وكرامتها ، عريقة بمذاهبها الهادفة هدفك الى السلم العالمي والخير الاجماعي، فاقبلي التحية كعربون مودة صافية بينك وبين تلك البلاد ، وليكن ابناء امتي المقيمون فيك واسطة عقد تلك المودة .

وكما حملت اليك تحية بلادي فاني سأحمل الى تلك البلاد تحيتك وأقول لها : « في هذه التحية قلوب ، هي قلوب الذين أبعدتهم الحادثات عنك ، فراحوا يضربون في الارض أيتاماً ، واذا هناك أم ثانية تحتضنهم وتحنو عليهم ، هي شيلي البلاد النبيلة الخيّرة التي توزع عطفها بالسواء بينهم وبين ابنائها » .

يا أبناء أمتي الأوفياء : عافاكم الله تؤدون واجبكم نحو هذه الأم براً بالمعروف ، وتذكرون أوطانكم البعيدة أطيب الذكرى ، وأنتم في الحالين أبناء تلك الأمة التي لم يعرف التاريخ أطيب منها ارومة ، فسيروا في الطريق التي سرتم الى الان عليها وأنتم الى اهدافكم باذن الله واصلون .

في الحياة الاجتماعية والادبية

هذه الجالية الصغرى بعددها ، الكبرى باعمالها في اي حقل وجهت مجهودها اليه ، هذه الجالية ... لقد ضربت بسهم وافر في غناها الاجتماعي والادبي ، الى جانب غناها المادي ، فاذا هي في المكانة التي شاءت ، وشاء كل مواطن مخلص لها ، من تقدير ذوي الشأن لنشاطها واعمالها .

ولا اعدد الجمعيات والأندية التي انشأتها ، ولا المال الذي بذلته في اعمال البر والاحسان ، ولا الكرم الذي اشتهرت به على المشاريع الخيرية والادبية والوطنية ، سواء اكان في وطنها الجديد الراقي ، ام لدعم كل نهضة تقدمية في وطنها الأم ، كلما اهاب بها واجب لدعم هذه النهضة .

فهنا من الجمعيات والاندية ما لا بد من ذكره ، كالنادي السوري والنادي الفلسطيني والنادي اللبناني ، الثالوث الاجتماعي الذي تلتف الجالية حوله بشعورها القومي وعاطفتها الوطنية ، ومن الثالوث هذا انبثقت اللجنة المركزية العربية ، وهذه اللجنة مهمة هي الوحيدة من نوعها في مواطن اغترابنا كافة ، وقد اتيت على ذكر مهمتها في الفصل السابق ، وهي النظر في شؤون الجالية العامة المشتركة ، وتقدير كل عمل من الأعمال الخيرية او الادبية او الوطنية والى اي مدى يجب ان يساعد .

وتلي الاندية الثلاثة المتقدم ذكرها جمعيات واندية ولجان عديدة ، اهمها النادي الرياضي السوري ، وجمعية السيدات السورية الفلسطينية ، ولجنة السيدات السوريات ، وجمعية الشبان المتحدرين من اصل عربي ، وجمعية ارباب المهن الحرة الخ ...

ومن اعمال جمعية السيدات السوريات والفلسطينيات اشرافهن على المستوصف السوري ، وعلى دار اليتيم ... وفي هذه الدار نحو من خمسين فتى وفتاة ، ممن حرمتهم الاقدار حنان الأب والأم ، فاذا بهم من حنان المشرفات عليه ، ومن عطف الأخوات — اخوات الأم الحزينة الايطاليات — في ما يعيضهم عن العطف الذي فقدوا ... والدار هذه ببنائها ، وبكل ما تحتاج اليه من نفقات ، مدينة للجالية ، وخاصة للبعض من افرادها .

وعدا ما للجالية من مؤسسات خاصة ، فان اسهامها في مشاريع البلاد الوطنية والانسانية العامة ، وتلبيتها كل دعوة توجه اليها لمؤازرة الأعمال الخيرية ، لما يستأهل التدوين في سجل مفاخرنا القومية .

ففي العام ١٩١٠ مثلا ، لمناسبة مرور مئة عام على استقلال شيلي ، رأت الجالية ان لا تدع الفرصة تفوتها لاظهار شعورها بالجميل ، نحو البلاد التي احتضنتها وساوتها ببنيها في كل ما لهؤلاء من حقوق ، فقدمت لذلك تمثالا لأحد كبار ابطال البلاد « مانويل وودريكز » ونصباً يمثل الجمهورية بشخص امرأة تحمل مشعلاً وتحطم قيود الاستعمار .

وفي مستشفى « باروس لوكو » أكبر المستشفيات الحكومية في العاصمة اكثر من اثر جميل لها ، فهناك بعض الاجنحة تحمل بكل تواضع اسماء شخصيات كريمة ، ممن دفعهم الواجب الى تقديمها للانسانية المتألمة ، وفي مقدمة هذه الاسماء السيد ابراهيم عطا الله ، زوج الاديبة الكبيرة المعروفة ماري يني عطا الله .

وفي المستشفى المذكور اعظم بكثير من ذلك ... فهناك اذ تسأل عن كبير اطبائه ، وعن القلب الانساني الذي يتعهد مرضاه ، ويجعل الثقة به مما لا يجوز الشك فيه ، تجب على الفور : هو الدكتور عبود ، ولاتحتاج الى اكثر من هذا لتعلم ان الطبيب الأول هذا هو لبناني .

واذا انتقلت الى الادب الرفيع ، تمثل لك في نخبة من ابنائه هناك ، فصاحبة « مينرفا » السيدة ماري يني عطا الله تجيء في الطليعة ، وفي الطليعة ايضاً ادباء زخرت صدورهم وادمغتهم بالعلم ، وان كانت الاعمال المادية الكبرى قد لهتهم عنه ، فانهم ليذكرون أبداً ما عليهم من واجب نشره والعمل تحت رايته ، وفي مقدمة هؤلاء توفيق بالش صاحب الثقافة العالية ، وجميل شوحي ممن امتهنوا الصحافة والأدب ، ثم مالوا الى الصناعة دون ان يتخلوا عن القلم المنتج .

وللصحافة من تاريخ جاليتنا هنا نصيب ... ففي العام ١٩١٣ انشأ الخوري بولس الخوري جريدة « المرشد » وانشأ « المنبر » يوسف مسعد ١٩١٥ — ١٩١٧ ، و« الوطن » « الاولى » داود مجاعص ١٩١٩ — ١٩٢١ ، و « الشبيبة » جميل شوحي ١٩١٧ — ١٩٢٠ ، و « التقدم » انطون الجمل ١٩٢٢ ، و « الاعتدال » توفيق ضعون ١٩٣٤ — ١٩٣٦ ، و « الهادي »

انطون الجمل ١٨٢٩ – ١٩٣٩ .

وتصدر الان « العالم العربي » باللغة الاسبانية لجرجس ابو صباح ، و « النشرة العربية» لسليمان عويس ، و « الوطن » للطلبة العرب الجامعيين ، و « لايزول » باللغة الاسبانية لأسبس فارس .

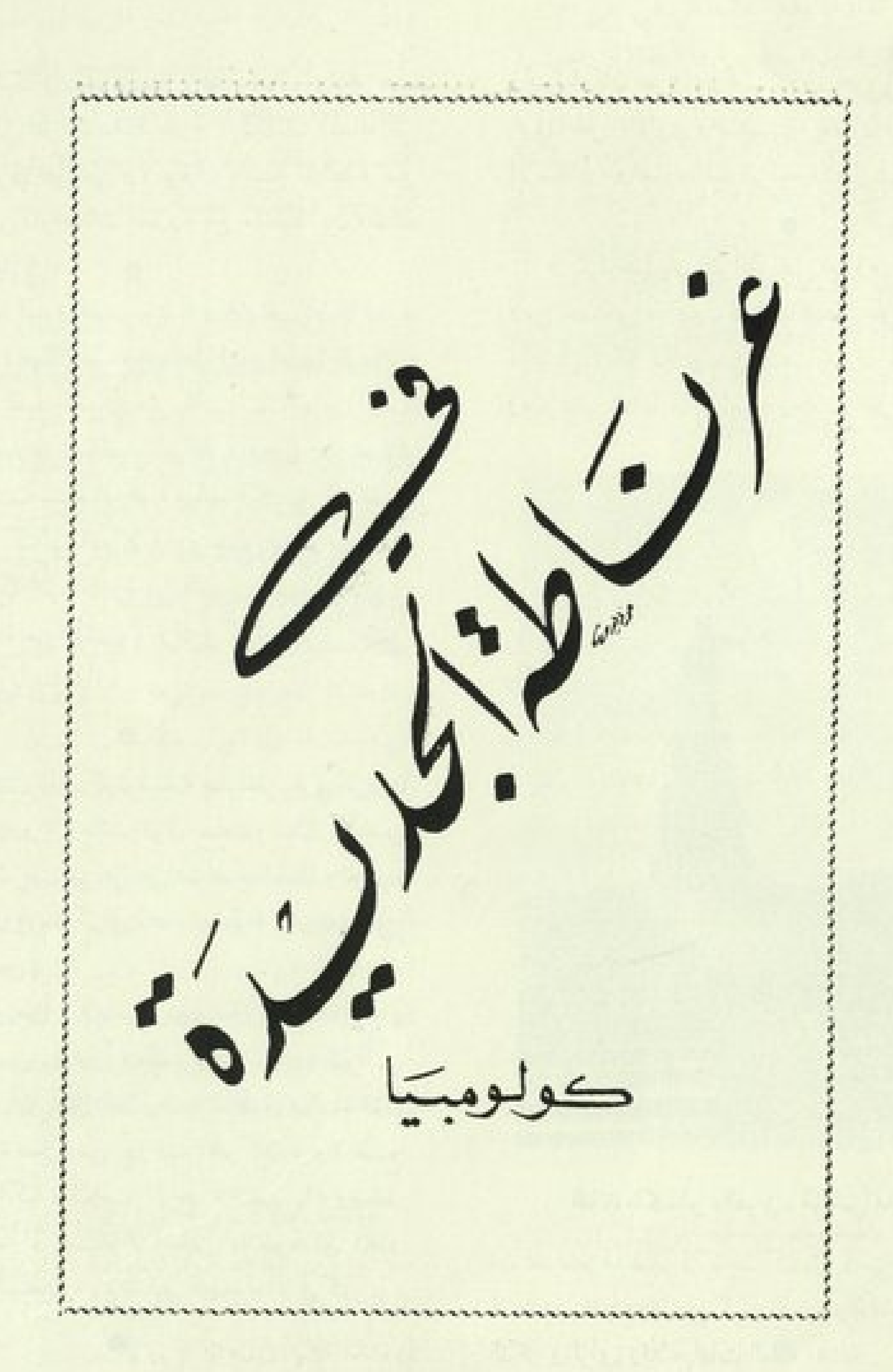
ومن المؤسسات المشتركة بين الجالية وابناء البلاد « حلقة اصدقاء الثقافة العربية » وهذه الحلقة اسسها الادب جميل شوحي ، من اعضائها فريق من ادباء الجالية ، والباقون – وهم الأكثرية – من كبار الادباء الوطنيين ومفكريهم .

ولا بدّ من عود الى النادي السوري لتدوين حدث مؤلم كان له أثره البليغ في اوساط الجالية ، ففي هذا النادي لفظ المرحوم جبران التويني ، صاحب جريدة النهار ووزيرنا المفوض الأول في الارجنتين وشيلي ، أنفاسه ... لفظها على اثر عارض فجائي دهمه ، بينما كانت الجالية العربية بأسرها تحتفي به ، وبالاستقلال اللبناني الذي كان رسوله اليهم ، ولا مجال لذكر الاسباب التي اسكتت قلبه الكبير ، فهي مما تحدثت عنه الجالية بكثير من الألم والأسف ولا اتحدث انا عنه .

وفي هذا النادي نفسه وقفت اكثر من مرة محاضراً وخطيباً ، ولعلي اول من حدث الجالية عن العرب والجامعة العربية فيه ، حيث ألقيت محاضرة بهذا الموضوع تلبية لدعوة «جمعية الطلاب الجامعيين العرب» وترجم بعض مقاطع محاضرتي الطويلة ونشرت ترجمته في الصحف المحلية ، وشاءت الصدف ان يكون في شيلي آنذاك الكاتب والمحاضر والمحامي الاسباني الكبير خوسيه غومز دي لا سرنا ، وطلب اليه ان يتكلم فحدثنا طويلاً عن « الشرع الاسلامي » واثره في دنيا الغرب ، وهذا ما يدل الى اي مدى تهتم جاليتنا واشباهها الميامين للقضايا العربية .

ما نسيتك يا جالية شيلي ... ما نسيت الايام الحلوة التي قضيتها في انديتك ومجالس كرامك ... ما نسيت « الخبز والملح » اللذين تناولتهما على موائدك ... ما نسيت ... ما نسيت والله دينك في عنقي ... ولئن كانت « ظروف قاسية » حالت بيني وبين وفاء الدين الى الان ، فإن الايام المقبلة كفيلة بالتعويض عما مضى ، وسترين ان « الضيف الاديب » الذي استقبلت وكرّمت ، والذي ما تعود الا الوفاء يا بعد ، سيكون عند حسن ظنك به ، كما كنت وما تزالين عند حسن ظنه بك .

دنيا في كتاب «؟»


كولومبيا

غرناطة الجديدة

من شيلي الجبلة الى كولومبيا بالطائرة ... ولولا هذه «الاسطورة» التي تحولت سفينة جوية ، لكانت المسافة التي علي قطعها تستغرق نحواً من ١٥ يوماً ، بالنسبة الى بطء سير البواخر التي تؤمن المواصلات بصورة غير منتظمة بين بلدان الشاطيء «الباسيفيكي» .

وفي ليما عاصمة البيرو قضيت ليلة ، وكان يجب ان لا اضيع الفرصة في النوم ، فهنالك اشياء تستحق ان يراها الرحالة ، والبيرو كانت في العهد الاسباني مقر نائب الملك العام ، وفيها تجمع الفن الاستعماري بخصائصه المنوعة ، واول ما يحدثك المعجبون عنه كنيسة سيدة الرحمة ، فهذه الكنيسة التي تعد من اقدم واجمل كنائس اميركا ، ويرجع تاريخ بنائها الى السنة ١٥٤٠ ، فيها مجموعة نادرة من الصور القديمة والتماثيل والهياكل المصنوعة من الخشب ، والمزركشة بنقوش يتجلى فيها الفن الاسباني بأبدع مجاليه .

●

وفي اليوم التالي بلغت كولومبيا ، بعد سفر جوي مررت في خلاله بالاكوادور ، وحلقت فوق سلسلة جبال الآندس الشمالية ، حيث اشرفت من عل على قمم هذه الجبال وثلوجها الأزلية ، ودونت في مذكراتي اسماء بعضها ، وارتفاع كل منها عن سطح البحر :

هويلا ٥٧٤٨ متراً ، كاجامبا ٥٨٤٠ متراً ، انتيزانا ٥٧٥٦ متراً ، كوتوباني ٥٠٤١ متراً ، شيمبوراسو ٦٧٦٨ متراً .

وكان طبيعياً أن تحلق الطائرة عالياً فوق هذه القمم الشامخة ، والطائرة صغيرة من ذوات المحركين ، ولا تتسع لاكثر من ١٧ راكباً ، فكانت الريح تتلاعب بها ، وضغط الهواء يضيق انفاسنا الى حد ان اضطر ملاحوها الى انجاد البعض منا بالأوكسيجين ، ولم تتنفس الصعداء الا في كالي .

●

لقد كانت كولومبيا في جملة مستعمرات التاج الاسباني ، وفي جملة المستعمرات التي ثارت على هذا التاج ، بقيادة الجنرال فرنسيسكو سانتندر ، وكان هذا محامياً قبل ان يكون قائداً ، ولما تولى قيادة التحرير العامة القائد بوليفار ، اصبح سانتندر رئيس اركان حربه ، ولعب دوراً باهراً في الحقل العسكري ، ثم في الحقل الاداري والتنظيمي ، بعد ان انتهت الثورة باعلان الاستقلال ، واستلم مقاليد الرئاسة الاولى في «غرناطة الجديدة» .

●

وكولومبيا بلد ديمقراطي يميل ابناؤه الى العلم والثقافة ، ومن خصائص عاصمته بوغوتا القائمة على علو ٢٧٥٠ متراً ان مكتباتها اكثر بكثير من مقاهيها ، ولا ترى في حدائقها ومتنزهاتها العامة الا الشعراء وطلاب العلم والفلاسفة ، وقل



القائد بلكاسار «العربي» مؤسس مدينة كالي

ان تجد متنزهاً منهم لا يتأبط كتاباً ، وحتى في المجالس الخاصة لا حديث للقوم الا عن كبار الأدباء والعلماء ، وعن مذاهب الفكر والرأي والاتجاهات العلمية المختلفة .

وهذا ما يعني اطلاق لقب «اثينة اميركة اللاتينية» على هذه العاصمة السعيدة .

وبلغ عدد سكان كولومبيا نحواً من عشرة ملايين ، معظمهم من السود والخلاسيين ، والروح الديمقراطية تسودهم

اكثر من سواهم ، ويراعي الحكام ديمقراطيتهم الى حد بعيد ، وسبب هذه المراعاة هو ان لكل ولاية من ولايات البلاد تقاليدها ، ويتمسك ابناؤها بهذه التقاليد التي هي من صميم حياتهم الشعبية ، وفي جملتها حب الحرية والاستقلال ، بحيث لا يهون على أي منهم الخضوع لغريب .

وعاصمة الاتحاد « بوغوتا » في نظرهم غريبة عنهم ، ولولا فكرة « الوطن » الذي من اجله ثاروا على الاسبانيين ، وفي سبيله ضحوا بكل غال ونفيس من اموالهم وارواحهم ... لولا فكرة هذا الوطن الجامع الشامل ، لما كانت هناك اي رابطة تربطهم بالعاصمة المذكورة ، ولذلك هم يخضعون لها ولكن الى حد ، وحكومتها الاتحادية لا تجهل حقيقة امرهم ، ولذا تراها تحاذر اغضابهم وتحدي شعورهم .

●

وفي كالي توقفت قليلا امام التاريخ :

لقد اسس هذه المدينة في السنة ١٥٣٦ القائد سيبستيان دي بلكاسار ، ومن اسم هذا القائد عرفت من هو قبل ان يحدثني الناس عنه ... دي بلكاسار ... اليست هذه الكلمة عربية « القصر » ... وعربي هو صاحبها ، وحين وقفت في جانب تمثاله القائم على هضبة عالية من هضاب مدينته ، شعرت بهاتف داخلي يدعوني الى الزهو والاعتزاز ، فالعرب الذين تركوا من آثارهم ما تركوا في الاندلس ، وذابوا في الاسبانيين بعد جلاء دولتهم عن تلك البلاد ، يكاد المرء لا يمر في بلد من بلدان اميركا الا يجدهم فيه .

اما هم في عادات القوم وتقاليدهم ، في هندسة مبانيهم وطابع مدنيتهم ، في اسماء الكثيرين من قدمائهم واشرافهم ، وحتى في الفن الذي يزين جدران معابدهم ومنابرها ومذابحها؟

« لا اله الا الله » .

« لا غالب الا الله » .

من كتب هذا بالحرف العربي الجميل على الجدران والمنابر والمذابح القديمة المذكورة ؟

●

و « العرب » في كولومبيا ذوو أثر ، وتلك مداين - Medallin - وحاضرتها أنطيوكيا ... من حمل هذه « المداين » الى هنا ، ومن نقل انطاكية اليها ... اما هم الذين نقلوا حمص وسواها من مدن اوطانهم الام الى اسبانيا ؟

والمداين مقاطعة البلاد الاولى بعمرانها وازدهار صناعتها ، ويؤكد عارفوا اهلها انهم اقرب الى العرب منهم الى الاسبان ، وهم في نشاطهم التجاري والصناعي صورة طبق الأصل للمغترب العربي ، لا لابن البلاد الذي تعود ان ينام على الفخر بأنه سيد بلاده ، ولا شيء في نظره يستحق ان يعيره اهتماماً خلا هذه السيادة .

●

وكولومبيا غنية في ثرواتها الطبيعية ، ككل بلد من بلدان هذه القارة العظمى ، وللماشية فيها الشأن الاول ، ومن ثرواتها العجيبة الملح ... واذكر هذه الثروة لأقول ان ثمة جبالا ملحية لعلها الاولى من نوعها في العالم ، وقد كان الفضل بزيارتي لها للصديقين الأخوين كميل وفيليب عضيمي ، ومثل هذه الزيارة واجبة للتعرف الى اغرب مجهود يبذل لاستخراج ثروة من ثروات الارض الدفينة .

فهذه سيباكويرا بمصانعها وقباب كنائسها ودخانها و « مدينة الملح » في جوارها ... ومدينة هي هذه المغاور التي فتحتها معاول العمال منذ مئات السنين ، وما تزال الى اليوم تعمل فيها حفراً ونحتاً ، بحيث بات بمكنك ان تدخل اليها بسيارتك ، وتقطع الانفاق التي تمتد فيها الى مسافات شاسعة ، وتصعد من طبقة الى طبقة منها على سلالم محفورة ، وعلى مفارق طرقاتها سهام تدل السيارة والمشاة على اتجاهات السير المختلفة فيها ، وفيها على جانب الطرقات مذابح للعبادة ، وتماثيل للعذراء والقديسين ، وكتابات للمؤمنين يطلبون فيها من عذراء « مدينة الملح » وقديسيها ماهم بحاجة اليه ، والاعتقاد السائد ان كل ما يطلبه المؤمنون هنا يحصلون عليه .

●

واتوقف هنا لأعود في فصل يجيء الى مشاهدات لا بد منها لمن يزور العاصمة الكولومبيانية ، وشيء واحد بقي لي ان اقوله ، وهذا لا شك من أغرب الغرائب ، وهو ... هو ان في مدينة الملح المتقدم ذكرها لا تجد لبنانياً ... ايكون هذا لأن « تجارة الملح » لا تغري طلاب الثروة ، ام لسبب آخر يكاد يخرج جالياتنا الضاربة في كل بقعة من بقاع الارض عن تقاليدها ؟

بوغوتا ـ آثينة أميركا اللاتينية

قلت ان بوغوتا تعلو عن سطح البحر ٢٧٥٠ متراً ، وهذ العلو يوازي علوّ صنين واكثر ، ولذا ترى الطقس في هذه المدينة معتدلا ، بحيث لا تجاوز حرارته عادة العشرين درجة.

ويقول سكان بوغوتا مزهوين بمدينتهم : «انها مدينة الربيع الدائم » وسكان مكسيكو عاصمة المكسيك يقولون هذا ايضاً، لأن عاصمتهم كالعاصمة الكولمبيانية تقوم على ارتفاع لا يقل عن ٢٤٠٠ متر ، وعلى من يزور العاصمتين ان « يسايرِ سكانهما » بالمصادقة على قولهم .

وسكان بوغوتا نحو من ٦٠٠ الف نسمة ، وفيها ما في كل عواصم العالم الاميركي حسنات وسيئات، ولكنها في الوقت نفسه ذات طابع خاص في الحقل الثقافي ، وهذا ما اطلق عليها لقب « آثينة اميركا اللاتينية » وقد اتيت في الفصل السابق على بعض ما يبرر اطلاق هذا اللقب عليها .

ويبدأ تاريخ بوغوتا الاستقلالي في آب ١٨١٩ ، حين انتصر محررها بوليفار بمعركة حاسمة على الاسبانيين في بوياكا ، وبانتصاره هذا انتهى عهد الاستعمار ، ودخلت البلاد بعهد انطلاقي جديد، وكان على هذه المدينة « بوغوتا » ان تضطلع باعباء مسؤوليات هذا العهد .

●

اهم ما في بوغوتا ــ بما له صلة بالتاريخ ــ منزل المحرر بوليفار ... فهذا المنزل الذي يعود تاريخه الى ١٥٠ سنة اهداه القائد سانتندر باسم المدينة الى القائد العام ، اقراراً بالفضل الذي له على تحرير البلاد من نير الاسبانيين ، وقد حولته الحكومة متحفاً خاصاً بآثار المحرر ومخلفاته .

وهو قائم على سفح هضبة « مونسراتو » حيث اقيم تمثال المسيح ، وشقت طريق تمثل طريق الجلجلة بمراحلها الأربع عشرة ، ومن علو ٩٠٠ متر يشرف الزائر على المدينة ، ويرى كل ما يود رؤيته منها ، وبما وراءها من سهول وجبال غارقة في بحر لا حدود له من الخضرة .

وتحيط بمنزل المحرر حديقة جميلة ، فيها تمثالان له وللقائد سانتندر ، ومدافع قديمة قد تكون هي التي استخدمها في حروبه التحريرية ، وفي جملتها واحد كتب عليه « لويس دي بوربون » ولعله هدية فرنسا الى الثورة التي كان بطلها .

وفي المنزل مكتبة المحرر ، وقاعة استقبال بآنيتها ورياشها القديم الأصلي ، وارضها مفروشة ببساط مصنوع من القش ، وبعدها غرفة نوم المحرر وزوجته مانوليتا ، وغرفة اخرى



هكذا اختلط السكان ـ بيضاً وسودا ـ فكان النسل الخلاسي في كولومبيا

تحتوي بعض آثاره ، من سيوف ومسدسات ومخطوطات ، وبينها راية طرزتها له سيدات البيرو اقراراً بفضله على بلادهن.

وفي المنزل ايضاً من الآثار: طبل ومدفع صغير، وبنادق وحراب، وصورة للمحرر على فراش الموت ، ومثال للقبر الذي اودع فيه جثمانه .

●

ولا بد لمن يزور بوغوتا ان يزور جامعتها ، او بالحري المدينة الجامعية ، التي تعد في الواقع من مفاخرها .

ولا بد ايضاً من قضاء بعض الوقت في « الحديقة الوطنية » حيث يدخل الزائر الى جنة كل ما فيها يدعو الى الاعجاب والتأمل ... وقد قضيت فيها ساعات نقلتني الى غير العالم الذي تعودت رؤيته الى الان ، فالهدوء الراقد في ظلال الاشجار الوارفة ، والانصاب والتماثيل واحواض المياه السكرى بهذا الهدوء ، تذكر ابداً بالطابع الثقافي الذي امتازت به بوغوتا ، وترفعت في دنياه عن كل ما يسيء الى « الفضيلة » الانسانية .

ومن ابرز الادلة على « ثقافة البوغوتيين » ميلهم الى المطالعة ، وقد قلت فيما تقدم ان مكتباتهم تفوق مقاهيهم عدداً ، وهم فوق ذلك يقدرون الصحافة التقدير الواجب ، ويطالعونها بشغف لاعتبارهم اياها الأداة الاولى للتعبير عن آرائهم وشعورهم .

وهنا صحف كبرى في مقدمتها جميعاً جريدة « الوقت » المؤسسة في السنة ١٩١١ ، وصاحبها المؤسس الدكتور ادواردو سنطس ، وقد حمله الشعب الى كرسي الرئاسة الاولى ، وزار لبنان في السنة ١٩٣٣ ، ويعاونه الان ابنه أنريكي سنطس ، وهو من كبار كتاب البلاد ، ويوقع مقالاته بامضاء « كاليبان » واصدار « الوقت » العادي ١١٠ آلاف نسخة كل يوم ، و١٤٠ الفاً كل يوم احد .

●

وفي ضواحي بوغوتا اكثر من مكان تستهوي زيارته ، وفي مقدمة الاماكن المعروفة « سلتا دي تكوناما » وكلمة « سلتا » معناها القفزة ... ولتسمية المكان بهذا الاسم « قفزة تكوناما » اسطورة وطنية :

في حروب الاستقلال اضطر القائد المحرر بوليفار الى الهرب مرة من مطارديه ، وانتهى بهربه الى المكان المذكور ، ووجد نفسه امام شلال مياه عارم ، يتدفق الى واد سحيق كثير الاغوار والصخور ، ولم يبق امامه سوى الاستسلام او القفز في مجرى مياه الشلال ، وفضل القفز والموت على الوقوع في قبضة مطارديه ، فقفز بجواده الى الهاوية .

والاسطورة تقول ان العناية المجيدة فلم يصب بأذى ، وتابع فراره على صخور الوادي آمناً ، وعاد الى الجهاد الذي انتهى باستقلال كولومبيا وجاراتها .

والشلال في الواقع رهيب وجميل ، واوهب منه واجل الوادي المتدفق فيه ، وقد اشتهر الان بكونه « شلال الانتحار » ... فكثيرون من الشبان والشابات يقصدون اليه لوضع حد لحياتهم وآلامهم ، ومن طريف ما روي لي عن ذلك نادرتان :

وقف مرة فتى وفتاة على شرفة الشلال ، على صخرة فوق هوته السحيقة ، وطلبا من مصور هناك ان يصورهما ، وفي اللحظة التي هم فيها الرجل بأخذ صورتها ، وثبا من على الصخرة معاً الى الهوة ، وتمالك المصور نفسه امام المفاجأة ، واخذ الصورة للفتيين الهابطين الى فوهة الموت ، وكانت صورة فريدة في نوعها ، فابتاعتها منه جريدة الوقت بالف ريال.

واحب احدهم مرة احداهن ، وكان الرجل متزوجاً ، فراح الى الشلال خفية ، وترك ثيابه وبطاقته على شرفته ، وتوارى ... وبلغ زوجته الخبر ، فحزنت حزناً شديداً عليه ، واقامت له جنازاً حافلاً وبكت ... ثم اتضح انه فرّ مع عشيقته ، فطاردته السلطة الى ان عثرت به ، واودعته السجن بدلاً من القبر .

رحلة في التاريخ

لقد زرت في رحلتي متاحف كثيرة ، ودونت في مذكراتي وصف كل ما شاهدت في هذه المتاحف ، من مخلفات العهود الماضية مما له علاقة بالتاريخ والفن والعلم وسواها ، وما كنت لاتوقف - في هذا المختصر من مشاهد رحلتي - امام ما اشاهد هنا في متحف بوغوتا ، لولا شيء واحد لفت نظري وتفكيري ، واعادني الى الماضي البعيد من تاريخنا اللبناني .

لقد مر" بالقاريء ان اسلافنا الفرقيين ، عندما تقدموا في مدارج الحضارة ، وبنوا المنازل لسكناهم ، اهتموا في الوقت نفسه لموتاهم ، وباتوا يدفنونهم في جرار من الخذف ، بوضع يشبه وضع الجنين في الرحم ، في متحف بوغوتا وجدت هذا النوع من الجرار « الاضرحة » ... وشاهدت هيا كل المدفونين فيها بالوضع المتقدم وصفه ... وتذكرت ان الفينيقيين اكتشفوا اميركة منذ ثلاثة آلاف سنة ، واقاموا فيها مدة ثمانية قرون مستعمرين ، ثم انقطعت مواصلاتهم بوطنهم الام ، بعد ان استولى الاسكندر الكبير على بلادهم ، وقضى على نشاطها البحري الذي كان واسطة تلك المواصلات .

وفي جملة البلدان التي استعمروها هنا « الاكوادور » جارة كولومبيا ، ومما لا شك فيه ان استعمارهم شمل هذه البلاد ايضاً ، ومن بقاياهم هؤلاء الذين ارى رفاتهم في هذه الجرار ... اما يكون هذا ، وحقائق التاريخ القديم تجلوها في اكثر الاحيان والأماكن مثل هذه الآثار ؟

●

وفي متحف بوغوتا شيء آخر لفت نظري واهتمامي ... لقد طالعت منذ زمن عن اكتشاف غريب في هذه البلاد ، والاكتشاف هنا - كما وصفته الصحف التي روت خبره - مما له صلة بالاكتشافات المصرية واسرارها ، وهو عبارة عن رؤوس بشرية محنطة ، بحيث لا تزال تحتفظ بظهرها الطبيعي الكامل ، والغرابة ليست هنا ... الغرابة في ان هذه الرؤوس قد صُغرت بطريقة سرية عجيبة ، بحيث بات الواحد منها بحجم رأس الهرة الصغيرة ، فقلت يومئذ ان خبر هذا الاكتشاف مبالغ ولا شك فيه .

ولكني هنا ارى الحقيقة ... اراها في رؤوس اربعة من الشكل المتقدم وصفه ، وقد ذعرت لأول وهلة لمرآها ، ثم رحت أتأملها وكأني لا اصدق انها رؤوس بشرية ، ولكن الواقع ما عتم ان تراءى لي ، في العيون والأنوف والأفواه والآذان ، وفي الشعر الذي يجللها جميعاً ، ولأحدها شارب معقوف على طراز شوارب بعض شبان اليوم .

وعبثاً حاولت ان اعرف سر هذا النوع من التحنيط والتصغير ... ولولا التصغير لما اعرت التحنيط اقل اهتمام ، وقد شاهدت قبله تحنيط الفراعنة موتاهم ، وجل ما عرفت من كتابة على الخزانة المودعة هذه الرؤوس فيها ان الطريقة التي كان المحنطون يتبعونها في عمليتهم هي هذه :

كانوا يقطعون الرأس ويسلخون جلدته مع الشعر ، ويجففونه من الداخل على حجارة محماة ، ويدلكونه بالأيدي شيئاً فشيئاً الى ان يصغر .

●

وفي المتحف عدد من المومياءات المحنطة ، بعضها نائم بوضع طبيعي ، وبعضها جالس القرفصاء ، وبعضها ضاحك ضحكة لا تزال حية ... وثمة كتابات تدل على ان المحنطين كانوا يستعملون لعملياتهم نوعاً من العشب يدعى موكافا « Mocafa » .

●

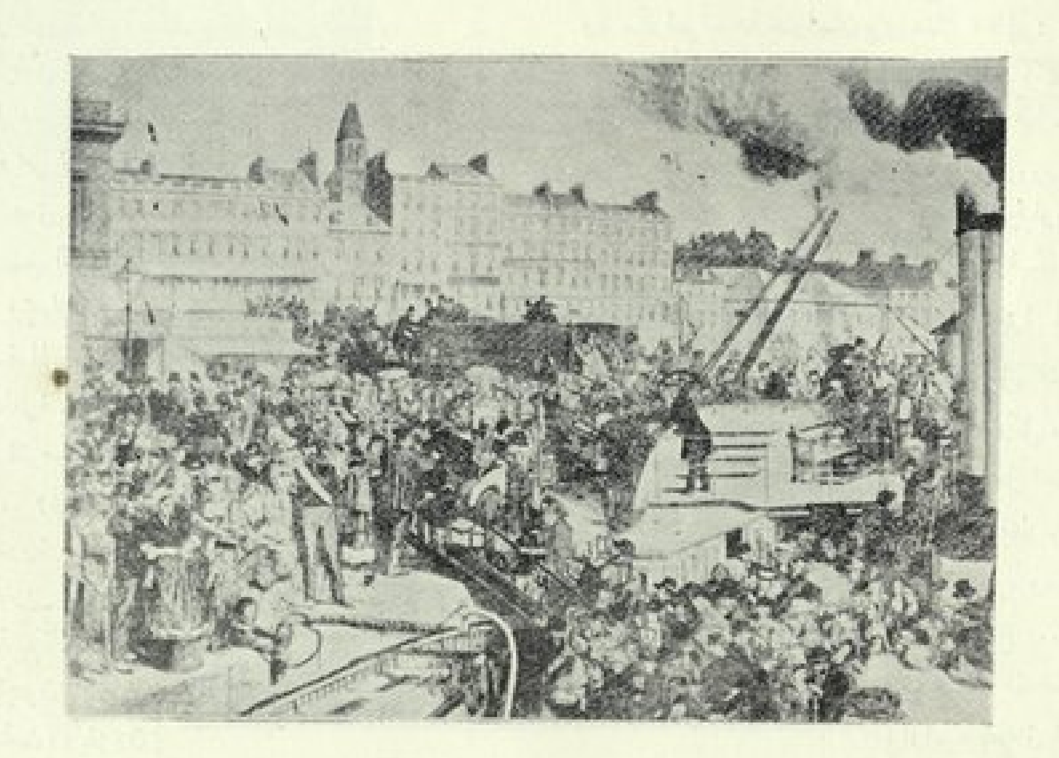
وما دمنا هنا - والمتحف وطني اكثر منه تاريخي - فلا بأس من عرض ما اشاهد فيه ، مما يفيد عرضه :

في المتحف هذا بقايا من عهد الاسبان ، ومما يخصه الزائرون باهتمامهم : سرج جواد القائد سانتندر ، مطبعة قديمة طبعت عليها اول ترجمة لحقوق الانسان في السنة ١٧٩٤ - ١٨١٩ ، جواز سفر اعطي للقائد سانتندر في السنة ١٨٢٩ ، للذهاب الى اوربة .

ومن اهم الاشياء : موسى المحرر بوليفار ومنديله، والمخدة التي القى رأسه عليها ساعة موته ، ومجموعة رسائل بخطه متوجة باسمه .

ومما يستحق الذكر ان بناية المتحف هذا كانت فيما مضى سجناً ، وفي السنة ١٩٢٤ حولتها الحكومة متحفاً ... فقلت السجن لتفتح منه مدرسة للتاريخ والوطنية .

منذ ١٠٠ سنة



هذه الصورة التاريخية تمثل توماس كوك مؤسس الشركة العالمية المشهورة بنفسه حين كان ينتقل الى البر مع اول قافلة من السياح الانكليز لزيارة ضواحي الرين في فرنسا .

ان هذه الشركة كان لها الفضل الاول والاكبر في تعريف البلاد العربية من مصر حتى حدود تركيا الى السياح الاجانب منذ القدم حين كانت قوافلهم تسير بالعربات وعلى الخيول وهي لا تزال بجد ونشاط تسعى بكل امكانياتها في جميع انحاء المعمور لاجتذاب السياح الى هذه البقعة من العالم .

قرطاجة: ذهب وقرصان وحصون

قرطاجة ... ما من احد في العالم يجهل ان الاسم هذا للمدينة الفينيقية ، لمملكة أليسار ابنة عاهل صور ، التي هزت فيا بعد عرش روما ، وكاد قائد جيشها حنيبعل يغمر بعبقريته امجاد الامبراطورية التي بسطت سلطانها على الدنيا .

وقرطاجة في اسبانية من مستعمراتنا القديمة ، وقد نقلها الاسبان الى هناك – منذ عهد فتحهم الاول – وجعلوا منها على شاطيء بحر الكاريبه خزينة اموالهم ، يجمعون فيها الذهب المتدفق من مستعمراتهم القريبة والبعيدة ، ويحملونها على سفن محمية الى خزائن مليكهم العامرة .

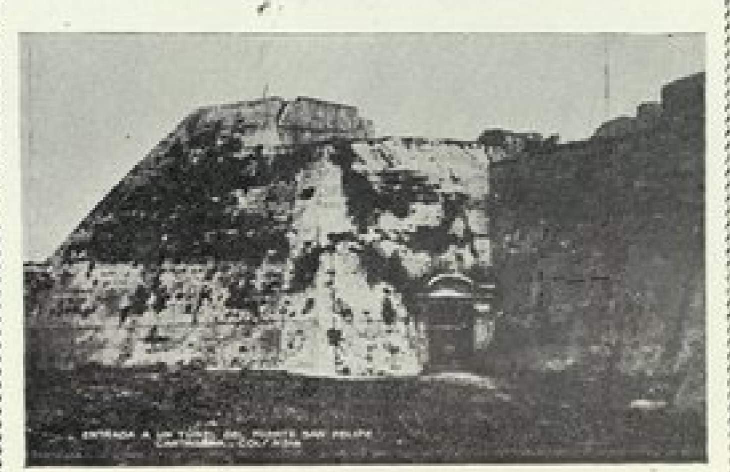
وكان للقرصان عهد في البحار ... وفي بحر الكاريبه بصورة خاصة ، حيث كان الذهب الاميركي يجذبهم كالمغناطيس فكانوا يهاجمون القوافل البحرية التي تحمله ، ويغزون الثغور التي يشمّون رائحته فيها ، ولم تسلم قرطاجة من غزواتهم ، بعد ان اشتهر عنها انها خزينة المستعمرات الاسبانية الغنية .

ففي السنة ١٥٤٤ هاجها روبرتو بال بسفنه ورجاله ونهبها ، وفي السنة ١٥٦٠ غزاها قرصان الفرنسيين بقيادة مارتن كوتيه وجول دي أكله ونهبوها ايضاً ، وفي السنة ١٥٨١ احتلها القرصان البريطانيون بأمرة فرنسيس دراي ولم يبقوا على شيء فيها .

لذلك رأت السلطة الاسبانية ان تحصنها تحصيناً يردّ عنها امثال تلك الغزوات ، فبنوا أسوارها من السنة ١٥٨٥ الى السنة ١٧٧١ ، وبلغت نفقات بنائها ٥٦ مليون بوس ذهباً ... وبنيت في خلال ذلك القلعة – قلعة سان فيليبي دي فاخاس – التي كلف بناؤها ١١ مليون بسوس من الذهب ايضاً ... واذ بلغ الملك فرنندو الثاني نبأ هذه الأكلاف اطرق بفكر ، ثم صعد الى سطح قصره وراح يحدق في الافق البعيد ، ولما سأله اعوانه عما يحاول ان يرى هناك ، قال :

– اسوار قرطاجة ... ان اسواراً تبلغ اكلاف بنائها مثل هذا الرقم الاسطوري يجب ان تبين من هنا .

والقلعة والاسوار من عجائب الدنيا ... واهم ما في القلعة الجبارة « طابية الرسل » فهذه الطابية كانت مجهزة باثني عشر مدفعاً ، على عدد رسل المسيح ، وكل من هذه المدافع يحمل اسم رسول : مدفع ماربطرس ، ومدفع مار يوحنا ، ومدفع مار توما ، الخ ... وكان ضابط المدفعية يصدر اوامره باطلاق النار لكل منها باسمه : «ماربطرس... النار » ... وهكذا دواليك .



قلعة سان فيليبي دي فاخاس في قرطاجة

وتشرف القلعة على المدينة وعلى البحر ، وفيها بئر ماء يتسع لـ ٧٢ الف غالون ، وتمتد منها الى المدينة سرداب غريب عجيب ... والغرابة والعجب في ان هذا السرداب مبني بطريقة هندسية تمكن من فيه من التخاطب همساً ، مهما كان احدهم بعيداً عن الاخر ، فأقل حركة او صوت يحدث في مكان منه ، وعلى اي بعد كان ، ينقل من اول السرداب الى آخره ، والمسافة بين الطرفين نحو من كيلو متر ، كما لو انه ينقل على سلك تلفوني ، وقد قام الدليل بتجربة من ذلك لاقناعنا ، وزاد على التكلم والهمس نقراً بأصبعه على علبة كبريت ، فسمعنا النقر يطرق آذاننا كما لو انه بالقرب منا .

أما الاسوار فانها تطوق المدينة ، ويكفي لمعرفة ضخامتها وسعتها ان بقاياها السابية تحولت في بعض الاماكن طرقات للسيارات ... ومن الروايات ان بين هذه الاسوار والقلعة صلات تحت الارض غير معروفة الى الان ، وهي والقلعة دون شك اعظم وأقوى وأدهش اثر من نوعه في القارة الاميركية كلها .



هنيبعل القائد القرطاجي الفينيقي الأكبر

جاليتنا ـ انطيوكيا ـ لبنان

«لو فاز طربيه بكرسي الرئاسة الاولى...»

اما جاليتنا في كولومبيا فمتوسطة العدد ، وتاريخ اغترابنا فيها يعود الى السنة ١٨٨٢ تقريباً ، وقد بدأ مغتربونا حياتهم هنا كسائر اخوانهم في اميركا ، وكما شق هؤلاء طريقهم الى الثروة المادية والأدبية ، هكذا شقت جاليتنا الكولومبيانية طريقها الى الثروتين .

ولعل الاسم اللبناني قد ارتفع هنا اكثر منه في اي مكان آخر ، لا بالغنى المادي الذي توافر لعدد غير قليل من حملة هذا الاسم في دنيا الصناعة كما في دنيا التجارة ، بل بالغنى الفكري الذي دفع بفئة من شبابنا الغر الى خوض ميادين السياسة ، فاذا هم - وعلى رأسهم نابغة من نوابغنا - من حملة الألوية الظافرة في هذه الميادين .

وما الفتى النابغة الذي مشى في الطليعة سوى الدكتور جبرائيل طربيه ... والدكتور طربيه لم يكن رجلاً عادياً بمواهبه ، وهذا ما جعله يقود ويوجه الحركات السياسية هنا زمناً ، فكان ينتقل في مناصب الدولة من عال الى اعلى ، ويمثل البلاد في مؤتمرات الدول تمثيلاً ادهش كبار السياسيين العالميين .

كان مندوب كولومبيا الدائم في عصبة الامم ، وترأس هذه العصبة في احدى دوراتها السنة ١٩٣٥ ، وفي الحرب العالمية الاخيرة مثل بلاده سفيراً فوق العادة في واشنطن ، وقال فيه كوردل هول : « لا اذكر ان ممثل دولة اجنبية احدث ما احدثه السفير طربيه من الأثر الفعال في دوائر السياسة الاجنبية وفي حكومتنا » .

وفي منزل الاصدقاء آل عضيمي تعرفت بنخبة من شخصيات البلاد والجالية ، بينهم السادة : انطونيو أوردونيز سيباليو مفتش الجمهورية العام ، وجوليو سيزار طربيه من نواب الأمة ، والياس موسى من النواب ايضاً ، والنائب سيزار أوردونيز ، وهذا الاخير كان رفيقاً للدكتور طربيه ، لا يأتي على ذكره الا دامع الطرف ، ويوم مأته القى خطاباً رفع فيه العرب الى الأوج ، وحدث عن امجادهم وفضلهم ، واسهب في التحدث عن هارون الرشيد ... ومنذ ذلك الحين اطلق اصحابه عليه اسم هارون الرشيد ... ومما قال لي في طربيه :

— لو امد الله في عمر نابغتكم ، وتسلم مقاليد الرئاسة الأولى ، لباتت كولومبيا مستعمرة لبنانية .

ومن المزاح ما يرتدي احياناً طابع الجد .

وكان طربيه على وشك ان يصبح رئيساً للجمهورية ، لولا ظروف خاصة وعامة حالت دون ذلك ، ومات بعدها في باريس بنوبة قلبية ، وهو ما يزال شاباً دون الخامسة والاربعين ، فانقض نبأ موته على كولومبيا انقضاض الصاعقة ، ونقلت جثمانه طائرة حربية خاصة الى بوغوتا ، حيث دفن باحتفال لم تشهد البلاد مثيله في المدافن الخاصة برؤوساء الجمهورية .

وقالت الصحف فيه اقوالا تدعو الى الفخر ، صحف الاصدقاء وصحف الاخصام على السواء ، وقال بعضها : « إن موت الدكتور طربيه لم يفقد كولومبيا فقط اعظم رجالها ، بل العالم الاميركي بأسره ايضاً » .

●

لقد توافر الغنى المادي ايضاً لجاليتنا كما سبق وقلت ، ففي بوغوتا وكاليه وبرانكيه وقرطاجنة كبار من الصناعيين والتجار والملاكين ، وجميعهم ممن احرزوا ثقة الشعب والحكومة في آن واحد ، بالنظر الى نشاطهم وصدقهم وحسن معاملتهم ، والى اسهامهم في نهضة البلاد العمرانية ، والتقيد بالقوانين والانظمة الاقتصادية .

قد انصف وقد لا انصف لو جئت أعدد العناصر العاملة الطيبة في الحقول المتقدم ذكرها ، فتعداد من يجب تعدادهم في جالية تُعدّ بالالوف لا يسهل على زائر قضى بين ظهرانيها هذه الجالية اسابيع معدودة ، على ان للغنى المادي مقياساً أودّ لو يعمد اليه المنصفون في اظهار الحقائق ، ذلك هو : « العمل لرفع شأن المجموع » و « العاطفة الخيرة نحو كل ماهو وطني » .

وعلى هذا المقياس اضع رأيي في جالية كولومبيا وغناها المادي ... فهذه الجالية قد سهمت بالكثير من المشاريع الوطنية والخيرية والاجتماعية ، سواء أكان في مغتربها اقراراً

بفضل الوطن الذي اتخذناه وطنا ثانياً ، أم في الوطن الأم الذي لم يدعهم مرة الى نصرته الا كانت في طليعة من يلبي النداء للنصرة .

وكما تحركت النخوة الوطنية في صدور مغتربينا في البرازيل والارجنتين ، فأبوا ان يرفع علم التمثيل اللبناني الا على افخم القصور ، هكذا تحركت العاطفة نفسها في صدور ابناء هذه الجالية ، فاذا بعلمنا يرفرف على قصر من اجمل قصور العاصمة ، وفي ضاحية من اجمل ضواحيها ، وقد تبرع بالمال اللازم لابتياع هذا القصر افراد ممن تعودوا ان لا يروا المال سوى واسطة للاحسان والاعمال الكبيرة .

●

وشيء واحد يحملني على الاسف ... هو ان الجالية هنا — على كثرة أدبائها — لم تعن كثيراً بالأدب ، ولم يذكر احد ان قلماً واحداً من اقلام أدبائها حركته رغبة في الصحافة ... على ان اسفي ما يعتم ان يزول مفعوله ، عندما افكر في حظ الأدباء منا ، وبخاصة الذين امتهنوا الادب والصحافة في ديار اغترابنا ، فكان نصيبهم من طيب العيش نصيب من يتعاطى المخدرات : لذات احلام في دنيا الخدر والوهم ، وآلام يقظة في دنيا الحقيقة والواقع .

ولم يغترب ادباء جالية كولومبيا ومفكروها ليرددوا في مغتربهم قول الشاعر :

افٍّ لعيش الكتبه	افٍّ له ما اصعبه
أفٍّ لعيش يُرتجى	من شق هذي القصبه

والحق معهم ، وخاصة عندما ارى هؤلاء الأدباء والمفكرين في طليعة من شق طريقه الى الثروة ، مما يدل على ان الفكر المثقف المنطلق في دنيا المادة يستطيع ان يفعل ما لا يستطيعه الفكر « الخام » ... وهذا يدحض قول القائلين بالحظ ، عندما يقابلون بين غني جاهل واديب مفلس .

●

على ان العذر الذي قبلته فيما يتعلق بالأدب والصحافة لم اقبله قطعا فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية ، فهذه الحياة « الاجتماعية » هنا محدودة النشاط ، بالنسبة اليها في الجاليات التي اتيت الان على وصفها ... ففي بوغوتا وسواها من المدن التي زرتها لم اجد نادياً او مقراً لجمعية يمثل الجالية ، يمثلها التمثيل الذي يتفق مع مستواها الادبي والاجتماعي .

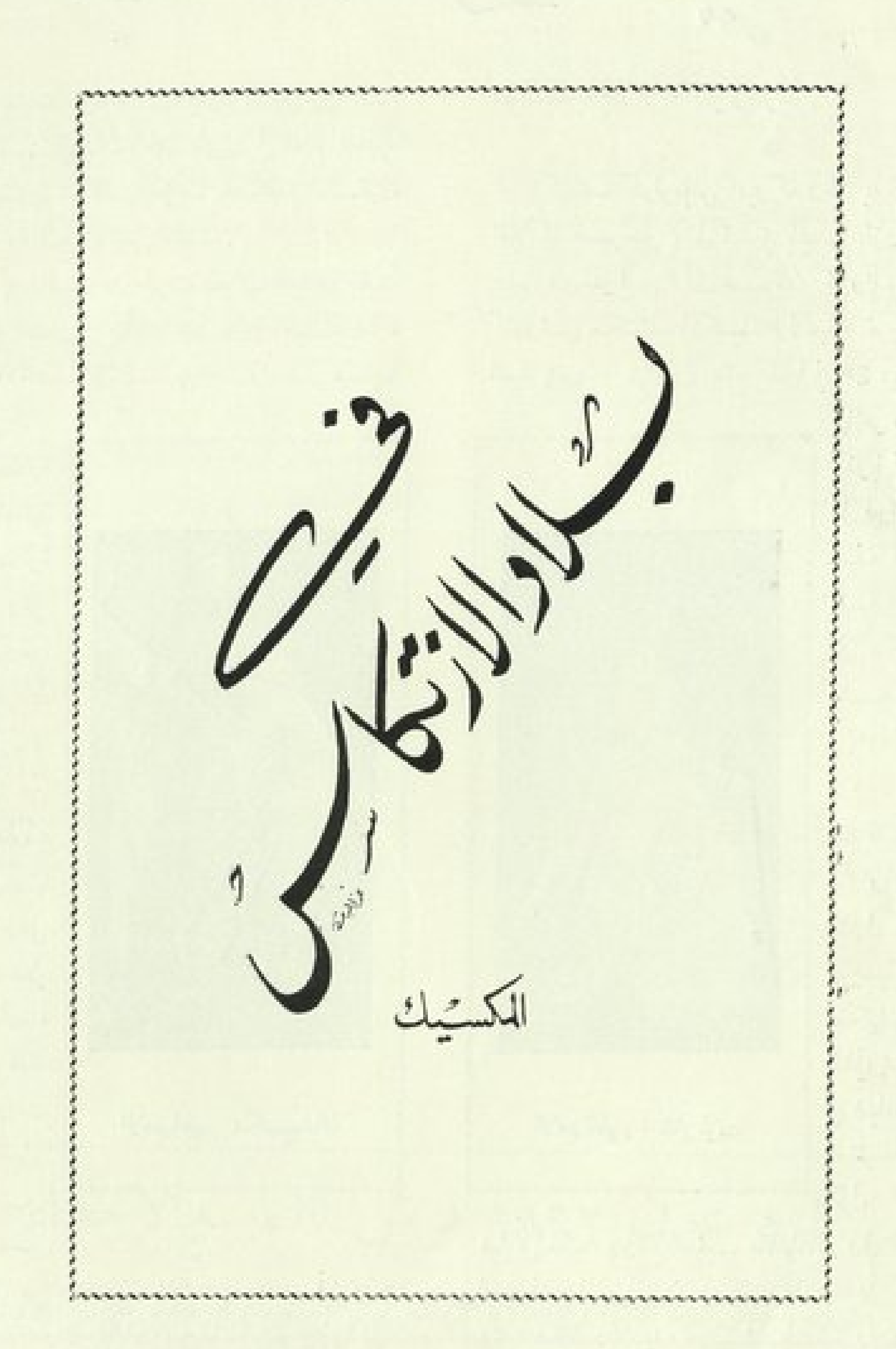
لقد اظهرت اسفي لهذا اكثر من مرة ، ولاكثر من صديق كريم جمعني به المجالس ، فكنت اسمع اعذاراً لا يخلو بعضها من عناصر الاقناع ... ولكني ابيت ان اكون ممن يقتنعون بسهولة ، وانا اعلم ان من يعمل لمجتمعه كمن يعمل لوطنه تماماً ، وكالجندي الذي يخوض غمار الوغى ، لا يعلم من اين يأتيه رصاص العدو ، والجرأة والاقدام والتضحية وحدها تميزه عن سواه ، وهي وحدها جعلت من « الجندي المجهول » البطل المجهول .

ان لي في جالية كولومبيا اصدقاء قدماء ، ولي فيها اصدقاء جدد ممن غمروا زيارتي لهم باللطف والكرم ، فما يهون علي ان ارى هذه الجالية مقصرة في مجال التنظيم الاجتماعي ، بعد ان جلّت في مضمار النجاح الاقتصادي ، وبعد ان تبوأت بفتيانها المتوثبين الى الطموح السياسي اسمى المراتب ، ولعل حبي واخلاصي وغيرتي عليها مما يبرر تقدي البريء من هذه الناحية .

●

وفي كولومبيا واقع غريب يرافق ذكر جاليتنا ، هو الولاية التي تحمل اسم انطاكية « أنطيوكيا » وقد اتيت على ذكر هذه الولاية في فصل سبق ، وقلت ان لسكانها من المميزات والخصائص مايؤيد القول إنهم عرب ، وفوق ذلك سوريون ممن اغتربوا عن بلادهم الى الاندلس ، وقد سمعت اكثر من عالم خبير بأمورهم ما يكاد يؤكد هذا الواقع .

وثمة واقع آخر يطرب له السمع ، هو وجود مكان في هذه البلاد يدعى لبنان ، وكثيرون ممن سألتهم عنه أكدوا وجوده ، اما تاريخ إطلاق هذا الاسم عليه فمجهول ، والبعض يعتقد انه سابق لتاريخ اغترابنا ، ومهما يكن من امر فالواقع يدل على اننا لسنا غرباء هنا ، وان نكن غرباء فان الاسم الذي نحمله عالياً في دنيا اغترابنا يتبوأ الآن مكانته ، حتى في جغرافية البلدان وتاريخها ، البلدان التي اتخذناها اوطاناً ثانية لنا ، وابينا ان الا نبقي في كل منها ما يذكر احفادنا يوماً بوطن آبائهم واجدادهم .


في بلاد الأزتك
المكسيك

بين مصر والمكسيك

في المكسيك بقايا حضارة قديمة يعود تاريخها الى السنة ٥٠٠٠ قبل المسيح ... في ذلك الحين ظهرت في العالم الجديد قبائل من اصل آسيوي ، وكانت تعرف استخدام النار ، وتقصيب الحجارة ، ونسج الملابس الخشنة .

وبين السنة ٦٠٠ والسنة ١٧٦ ظهرت شعوب المايا ، وبلغت هذه الشعوب اوج حضارتها بين ٤٧١ و ٦٢٩ ميلادية ، ورافقها الوهن والانحطاط الى السنة ٩٦٤ ، واحتلت مكانها شعوب الازتكاس .

الامبراطور مكسيمليان

الامبراطورة شارلوت

ومن غرائب حضارة الاقدمين هنا اهرامهم التي تعيدك الى حضارة مصر القديمة ... وعلى بعد ٥٠ كيلو متراً من العاصمة مكسيكو هرمان كبيران مربعان ، لا يقل علو كل منها عن المئة والاربعين متراً ، ويصعد الى سطحيهما المشعين بدرج ، وعلى السطحين ما يدل على انهما كانا مكاني عبادة ، وفي جوارهما قبور قديمة العهد ، فكأنك وانت واقف بين هذه القبور وبينها واقف بين اهرام الجيزة في مصر .

ومن المؤرخين من يعتقد ان صلات قديمة قامت بين هذه البلاد وبلاد الفراعنة ، وان جماعات من هذه البلاد جاؤوا الى هنا وحملوا معهم مبادىء حضارتهم ... ونعيد القاريء الى الفصل السابق من كتابنا هذا « الفينيقيون في اميركا » وقد قلنا فيه : « وكان المصريون يشاركون الفينقيين في استعمار تلك المواطن » فهذا مما يؤكد نظرية القائلين بالعلاقات المصرية المكسيكية بشكل اكثر وضوحاً .

•

اكتشف كولومبس اميركا ولحق به المكتشفون ، من اميركو فسبوسيو ، الى فيسنتي يانيس بنزون ، الى خوان دياس دي سوليس ، الى هرنان كورتيس ... وهرنان كورتيس مكتشف المكسيك وفاتحها ، خرج من اسبانيا في السنة ١٥٠٤ ، واشترك بفتح كوبا في حملة دييغو فيلاسكيز ، وابحر من مرفأ لاهافانا كوبا في السنة ١٥١٩ الى فيرا كروز ، واسس هذه المدينة في السنة نفسها ، وزحف بعدها الى مكسيكو بـ ٤٠٠ جندي من المشاة ، و ١٦ فارساً و ٦ مدافع و ١٥٠٠ مقاتل من حلفائه الوطنيين .

وفي ٧ تشرين الاول وصل الى مكسيكو ، فاستقبله ملكها موكتسوما الثاني بحفاوة ، وانزله في ضيافته ... وما استقر به المقام حتى انزل الاصنام عن هياكل مضيفه ورفع الصليب مكانها ... وفي السنة ١٥٢٠ قتل الضيوف « الاسبانيون » مكتسوما وعدداً كبيراً من اهل بيته ، فكان ذلك بدء حرب ضارية بينهم وبين الازتكاس الى السنة ١٥٣٩ ، حيث سلمت مكسيكو وارتفع علم الفتح الاسباني رسمياً عليها .

•

في السنة ١٨٠٨ عمت البلاد المكسيكية فكرة الثورة على

الاسبانيين والتخلص من نيرهم ، وكان في مقدمة المطالبين بالاستقلال الكاهن دون ميكال هيدالغو ، فقد رأى هذا ما رأى امثاله الاحرار في جميع المستعمرات الاميركية ، من ثقل وطأة التاج الاسباني عليهم ، فأبى ان تنام بلاده على الضيم لينعم نفر من المستعمرين بخيراتها العميمة ، فنفخ في بوق الثورة.

وفي السنة ١٨١٠ أعلن الغاء الرق .

وظلت افكاره الثورية تلهب نفوس مواطنيه ، والسلاح المكسيكي يلتف حوله متكاثراً من يوم الى يوم ، الى ان قبض عليه في السنة ١٨١١ ، ونفذ فيه حكم الاعدام ، وهو الى اليوم رمز الاستقلال المكسيكي .

ولم يكن اعدامه الا لبعث نار الثورة .

وفي آب من السنة نفسها طالب مبعوثو الشعب المكسيكي البلاط الاسباني بالحقوق الاربعة التالية :

١ - المساواة السياسية بالوطن الأم .

٢ - اباحة الصناعة والزراعة للجميع .

٣ - حرية التجارة .

٤ - الغاء امتيازات الاسبان في الوظائف وفي المهام السياسية .

وفي السنة ١٨١٢ اعلنت حكومة الثورة حرية الطباعة والنشر .

وفي السنة ١٨٢١ دخل جيش الثورة مكسيكو .

وفي السنة ١٨٢٢ اعترفت اسبانيا باستقلال المكسيك ، واجتمع المجلس التأسيسي لوضع الدستور ، ونودي بالزعيم الثائر ايتوربيدي امبراطوراً باسم اغسطين الأول ، وفي السنة التالية ١٨٢٣ تنازل هذا عن العرش ، ورحل الى اوربا ، وكانت بعده نواة الحكم الشعبي .

●

وكثرت القلاقل ... وعمت الفوضى ... ولعبت السياسة الخارجية دورها ، فاذا بالدول الاوربية تتدخل ، وفي مؤتمر عقدته الدول الثلاث الكبرى : بريطانية وفرنسة واسبانية ، تقرر القيام بعمل عسكري حازم ، لاقرار الامن والحفاظ على الاموال والحقوق .

وفي السنة ١٨٦١ ، نزلت في فيراكروز كتائب اسبانية ، ورابطت في مياهها سفن بريطانية وفرنسية ، وانيط بالفرنسيين القيام بحركة حربية في الداخل ، فتقدم هؤلاء يزحف موفق الى بوابلا ، وهناك اصطدموا بقلعتها ، وبحماة هذه القلعة بقيادة بورفيريو دياس ، ومنيوا بهزيمة شنعاء .

ولم تقف السياسة الاوربية - وخاصة الفرنسية - عند هذا الحد .. واراد الامبراطور نابليون الثالث ان تكون له اليد الأولى في ادارة السياسة المكسيكية ، وفي اتخاذ المكسيك قاعدة لنفوذ دولته في العالم الاميركي ، فلعب اللعبة السياسية التي انتهت بتنصيب الامبراطور مكسيمليان النمسي على عرش دولة الازتكاس ، ولكن هذا الامبراطور التعس ما عتم ان ذهب ضحية السياسة ، فمات رمياً برصاص الثورة التي ابت ان تحني عنق البلاد لنير استعمار جديد ، واعلن بعده الحكم الجمهوري .

مَدينة الربيع الدائم

المكسيكي كالبوغوتي يطيب له ان يدعو عاصمته « مدينة الربيع الدائم » وقد يكون الحق في جانبه اكثر منه في جانب البوغوتي ، فجو مكسيكو الصافي ابداً يكاد ينسيك ان في السنة فصولا اربعة ، واعتدال الطقس يغنيك عن تنويع الثياب وتكييفها وفق عوامل الطبيعة ، فالثوب الذي ترتديه في آب لا تضطر الى استبداله بسواه في كانون ولا في نوار ، لا قرّ يدعوك الى ذلك ولا حر ، والارض تضحك ضحكة لا تتبدل باختلاف الشهور والفصول .

●

في السنة ١٣٢٥ أسس الأزتكاس مدينة مكسيكو - وكانت في عهدهم تدعى تينوشتيتلان - واتخذوها عاصمة لدولتهم التي فاقت دولة المايا حضارة ، وكان مقر ملوكهم وكبار آلهتهم على سفح هضبة تشابولتيبك وقتها ، الملوك على السفح والآلهة على القمة .

ولما احتل هرنان كورتيس المدينة في السنة ١٥٢١ كما مر ، وغدر بالملوك والآلهة ، دارت بينه وبين الجنود حول الهضبة معارك ضارية ، واستماتهؤلاء دفاعاً عن المكان المقدس ، وعن اقنية المياه التي كانت تسقي بغزارة مدينتهم .

وكانت الغلبة في النهاية لكورتيس ...وحول ومن خلفه من نواب الملك سفح الهضبة مقراً للقيادة العسكرية وقمتها معبداً ، وهكذا حل التاج الاسباني محل التاج الازتكي ، وآله المسيحية محل اله الوثنية .

وفي السنة ١٨٤١ حوّل القصر مدرسة حربية ، وبات ذكر هذه المدرسة خالداً ، بدفاع اشبالها المجيد ، ضد الغزاة الأميركيين ، في السنة ١٧٤٧.

وفي عهد الامبراطور مكسيمليان اتخذه الامبراطور مقراً له ، واقام فيه بعده رؤوساء الجمهورية ، وادخلت عليه تباعاً اصلاحات عديدة ، فبات اجمل اثر تذكاري في البلاد المكسيكية ، وهو اليوم متحف وطني يشرف الواقف فيه على التاريخ من جهة ، وعلى المدينة التي شهدت اقدم واعظم حضارة من حضارات اميركة .

●

وفي جوار مكسيكو زاوية ثانية من زوايا التاريخ تقع في مكان يدعى « قفر السباع » ولا اعلم لماذا دعي بالقفر ، والخمسة والعشرون كيلومتراً التي تفصله عن العاصمة تمتد بطريق جميلة ، في وسط غابات كثيفة من اشجار الارز - وارز هذه البلاد نوع من الشربين او السرو - وتنتهي بدير قديم يعود تاريخ بنائه الى نحو من ٣٠٠ سنة ، وفي سراديبه المظلمة المخيفة وقعت حوادث يكفي لوصفها ان ابطالها كانوا اسياد « ديوان التفتيش » .

ففي هذه السراديب - ولا نور فيها سوى نور الشموع التي استعنا بها على دخولها - سجون واماكن للتعذيب ... وآلاته المخيفة هنا كثيرة ، واروعها جميعاً في هذه الحجرة الضيقة التي لا تتسع لأكثر من رجل واقف ، ومن سقفها يتساقط



منظر لمدينة مكسيكو من احدى شرفات قصر تشابولتيبك

الماء نقطة نقطة دون ان يتوقف ثانية ، فكان «الجلادون» يحبسون على المحكوم عليه في هذه الحجرة ، ورأسه العاري هدف لنقاط الماء المتساقطة ترهقه نقراً ، الى ان يتلاشى واقفاً وينقذه الموت من العذاب .

وفي السراديب وجدت عظام بشرية بينها عظام اجنة ... والدير كان للرهبان والراهبات في آن واحد ... وما خرجت من ظلمته الا وفي دمي دبيب هو مزيج من الخوف ، ومما يخيل الي اني سامع من قرقعة السلاسل ، ومما لا يزال يتردد هناك من انين وزفرات .

●

والمكسيكيون شعب متعبد ، وفي مكسيكو وجوارها كاتدرائيات وكنائس فخمة ، وسيدة البلاد الاولى – شفيعتها – سيدة غوادلوبي ، ولهذه السيدة ولكنيستها قصة لا بأس من ذكرها :



مدخل قصر تشابولتبيك

منذ ٤١٠ سنوات كان فلاح هندي يعمل في مكان الكنيسة ، فظهرت له العذراء وقالت : « أنا أم الله ... اريد ان يبنى لي مقام هنا » ولما اخبر الرجل الاسقف برؤياه لم يصدقه ، وعاد مرة ثانية يقول ان العذراء ظهرت له مرة ثانية وكررت عليه قولها وارادتها ، فقال له الاسقف : « اذا ظهرت لك بعد فاطلب منها علامة » وفي اليوم الثاني رآها ، وطلب منها العلامة التي ارادها الاسقف ، فقالت : « اقطف هذه الورود وخذها » ولم يكن ثمة ورود ... ولكن الورود ظهرت فجأة في المكان الذي اشارت السيدة اليه ، ولما رآها الاسقف آمن بالرؤيا ، وامر ببناء الكنيسة .

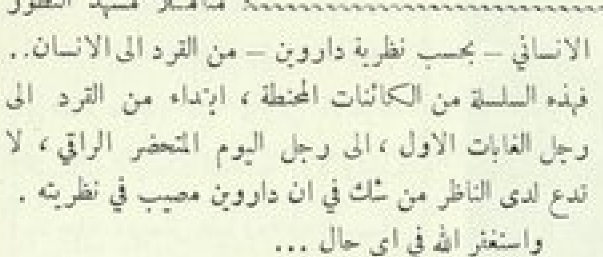
وبين مكسيكو وبوابلا سهل فسيح غني يدعى « السهل الكبير » وفي هذا السهل بلدة قديمة العهد تدعى « شيلولا » يقال ان عدد كنائسها في عهد الاسبانيين بلغ الـ ٣٦٥ كنيسة ، ولا يزال بعض هذه الكنائس قائماً الى اليوم .

●

وفي مكسيكو متحف طبيعي وقفت فيه امام مشهدين لا يزالان الى الآن منطبعين في مخيلتي :

قرأت فيما مضى عن الحيوان المنقرض « الدونيوزور » وقيل ان هيكلين عظميين من هياكله الجبارة قد اكتشفا ، احدهما في سهول سيبريا والثاني في المكسيك ، ففي المتحف الطبيعي شاهدت الهيكل العظمي هذا ... فاذا انا امام حيوان هائل ، يمتد بطوله امتداداً لا يقل عن العشرين متراً ، له ذنب يشبه ذنب الضب ، وعنق كعنق الظرافة ... وبينا طرف ذنبه في الارض ترى رأسه يصل الى قرب سقف القاعة ، وقد وضعت ادارة المتحف تحت عنقه هيكل فيل ، فاذا قابلت بين هذا وبينه وجدته بالنسبة اليه كالهرة بالنسبة الى الجمل .

والمشهد الثاني الذي وقفت امامه متأملاً مشهد التطور الانساني – بحسب نظرية داروين – من القرد الى الانسان .. فهذه السلسلة من الكائنات المحنطة ، ابتداء من القرد الى رجل الغابات الاول ، الى رجل اليوم المتحضر الراقي ، لا تدع لدى الناظر من شك في ان داروين مصيب في نظريته .



واستغفر الله في اي حال ...

●

ولا بد اخيراً – ومجال الوصف لا يتسع لكل مشاهداتي في هذه المدينة الجميلة – من القول ان مكسيكو غنية بالفن والأدب ، وفيها صحافة راقية من اهمها : « الاونيفرسال » و « لابرنسا » و « النوفيدادس » .

ومما يستحق الذكر ان ثانية الثلاث « لابرانسا » تأسست منذ ١٢ عاماً ، اسستها شركة مساهمة مؤلفة من اربعين شخصاً ، ورأسمال كل من هؤلاء اربعون ريالا ... واليوم تحتل دوائر هذه الجريدة بناء من ١٣ طابقاً ، واصدارها اليومي ١٠٠ الف نسخة ، وقيل لي ان احدى الشركات الكبرى عرضت على

اصحابها ١٥ مليون ريال ، لقاء التنازل لهم عن اسمها فقط ، ورفض هؤلاء عرضها ...

•

وما اذكر مكسيكو الا اذكر الايام التي قضيتها فيها ... انها كانت من اجمل ايام رحلتي ، واغناها بالذكريات التي لا تنسى ، واود لو يسعدني الحظ بزيارتها مرة ثانية ، لأستعيد عن كثب بعض تلك الذكريات ، ولكن ... تحية من بعيد يا مكسيكو !!!

السيد قيصر يونس نقيب موزعي الاشرطة السينمائية في لبنان

السيد قيصر يونس من تنورين (شمالي لبنان) كان اول عمل له في الحقل السينمائي العام ١٩٣٤ ، عندما نزل القاهرة الى جانب سيدة الانتاج الرفيع السيدة آسيا.

واول فيلم عرض في لبنان من توزيعه « وخز الضمير » وذلك في ١٩٣٣ - ١٩٣٤ .

واسس من ثم مكتباً لتجارة الافلام وتوزيعها في بيروت ، وقدم ما لا يقل عن ٢٠٠ فيلم عربي ، وانتخب في العام ١٩٥٠ نقيباً لموزعي الاشرطة السينمائية ، وجدد انتخابه اولا وثانيا بالاجماع ، ويعلق عليه زملاؤه آمالا كباراً ، بالنظر الى حسن تدبيره واخلاصه ، ومنذ ان تولى النقابة صرف كثيراً من الشؤون ، وازاح عواقب جمة اعترضت سبيل الموزعين ، بما استحق عليه ثقة الجميع.



والافلام التي سيوزعها قريباً في لبنان عديدة ، منها « ثورة المدينة » بطولة صباح ومحمد فوزي وانتاج آسيا ، و « من رضي بقليله » بطولة نزهة يونس وشكري سرحان .

وكان له الفضل في تقديم صباح للسينما المصرية ، واول فيلم قدمها فيه من انتاج آسيا ، وقدم كذلك نزهة يونس في اول فيلم « قلبي على ولدي » من انتاج آسيا ايضاً ، واول فيلم للمطربة نجاح سلام « على كيفك » وزع من مكتبه .

إنسان وثور...

شهدت اليوم صراع الثيران ... هذا الصراع الذي مقتته جمهوريات اميركا كافة ، ومنعته منعاً باتاً ، لا تزال عادته شائعة هنا ... ومنذ وجودي في مكسيكو وأنا اتوق الى مشاهدته ، لا لنزعة في الى رؤية الدم يسيل من الانسان او الحيوان ، بل لأن من يزور اسبانية او المكسيك ، ولايحدث عن « الابطال » الذين قرأ عنهم الروايات الكثيرة ، وعن حماسة الجماهير لرؤيتهم يغمدون سيوفهم في نحر الحيوان الذي يصارعونه ، او لرؤية الحيوان يغمد قرنه في بطونهم ، وعن الغانيات اللائي يتعشقن هؤلاء الأبطال الى حد العبادة... ان من يزور اسبانية او المكسيك ، ولا يحدث عن ذلك كله ، لا يكون قد زار هذين البلدين .

واظهرت للكثيرين من اصحابي رغبتي ، فكان الجواب ابداً : « اعفنا من رؤية تلك المشاهد » ... وما زلت حتى ظفرت بمن يرافقني ... واذا انا في الملعب الذي يتسع لثمانين الف متفرج جلوساً ، ولا بد من القول ان باني هذا الملعب الجبار لبناني يدعى نجيب سمعان ، وكان هذا عضواً في مجلس الشيوخ فرئيساً له ، وقد بنى الملعب مع ملعب آخر في جواره لكرة القدم ، وباع الملعبين والارض التي تحتويهما بأربعين مليون ريال ، ومات فقيراً بعد ان انفق ثروته في السياسة .

●

لقد خفق قلبي خفقاناً شديداً لرؤية الجماهير المتراصة على مقاعد الملعب وحولها ، وازداد خفقانه عندما صدحت موسيقى خاصة تعلن ابتداء « المأساة » ... واشار رفيقي الى باب في الجهة المقابلة لنا يؤدي الى ساحة الصراع ، فاذا هناك رجال يخرجون منه بثياب غريبة ، وفي طليعتهم فارس يمتطي جواداً ليس من اصائل الخيل ، وكنت المتفرج الوحيد من الوف المتفرجين الذي تساءل عمن يكون هؤلاء الرجال ، فقيل لي : « هؤلاء هم المصارعون الثلاثة بملابسهم التقليدية يحف بهم معاونوهم وقد خرجوا على هذه الصورة ليتعرف الجمهور اليهم » .

●

صدحت الموسيقى ثانية ، وفتح باب خاص في الملعب ، وخرج منه ثور وزنه ٤١٦ كيلو، وقرناه طويلان مروّسان... خرج كالعاصفة ، يثيره مرأى الجماهير وصوت الموسيقى ، فرأيت معاوني المصارع يلوحون له بمناديلهم الحمر، ثم يروحون من دربه ويختبئون وراء حواجز خشبية ... ويرى الثور في ذلك تحدياً له ، فيثب نحو الحاجز الخشبي المحيط بالحلبة ، وبين هذا الحاجز ومقدمة النظارة ممر عرضه بضعة امتار ، وبفورة غضب ضاربة ينطح الحاجز بزخم فيدخل فيه قرناه ، ويخر صريعاً امامه .

وحدثت ضجة في صفوف النظارة لم افهم معناها...وراح المصارعون واعوانهم وخدم الملعب يعملون باجتهاد للافراج عن قرني الثور العالقين بالخشب ، ولما تمكنوا من ذلك عاد الثور الى الحلبة ، وقد حدّ الحادث قليلاً من قوته ... وراح معاونو المصارع يثيرونه من جديد بمناديلهم الحمر ، وعقبهما فارسان يحمل كل منهما رمحاً ذا سنان قصير ، وجواداهما من « الكدش » مدرعان بقطع كثيفة من اللباد والجلد ، واذ رآهما الثور مقبلين نحوه وثب عليهما بعنف ، وراح يعمل في بطن الجوادين طعناً بقرنيه ، والفارسان يطعنانه برمحيهما القصيري السنان في عنقه فيسيل منه الدم ، حتى اذا اشتد المه نطح احد الجوادين نطحة قلبته وفارسه على الارض ، فخف معاونو المصارع الى انقاذه لاهين الثور عنه بالمناديل .

وبعد الفارسين يبرز الى الحلبة ثلاثة معاونين بالتتالي ، وكل واحد منهم يحمل سهمين عليه ان يغرزهما في عنق الثور الهائج ، فمن اتقن الغرز مواجهة صفق له الجمهور وحياه ، ومن اخطأ الهدف صفر له الجمهور معلناً ازدراءه واستهزاءه به ، حتى اذا انتهى المشهد الدموي هذا برز المصارع البطل بنفسه الى الحلبة .

وهذا هو... بثوبه التقليدي المعروف ومنديله وسيفه... لا يظهر في الحلبة حتى تتجه انظار الحاضرين اليه ، مراقبة حركاته وسكناته واسارير وجهه ، حتى اذا بدرت منه بادرة تدل على الجبن والخوف والتردد ، او اخل بشرط واحد من شروط الفن ، قامت القيامة عليه ... والجمهور قاس لا يعرف الموادة ولا الرحمة ... يصفر له استهجاناً ، ويوجه اليه اقسى الكلمات وانكأها ، ويدعوه الى الخروج من الحلبة وترك المهنة ... اما اذا احسن فالهتافات بحياته تملأ الجو ، وأمطره

النظارة وابلاً من الزهر والقبعات والمناديل وبعض الملابس.. حتى اذا جاء دور الطعنة الاخيرة – طعنة الاجهاز – جرد البطل سيفه، وسدده الى هدف معين بين كتفي الثور وارسل الطعنة بكراً قد يخونه الحظ فتنبو، والويل ثم الويل له اذ ذاك، وقد يؤاتيه حظه فتصيب الطعنة الهدف قاضية، والمجد كل المجد اذ ذاك له.

●

والمصارعون في ذلك اليوم ثلاثة : أوملينا، فيلاسكيز، خسوس كوردوبا... وكل منهم صارع ثورين في دورتين :

اوملينا : وفق في الدورة الاولى بعض التوفيق، فهتف له الحاضرون، ورموا له قبعاتهم وشالاتهم، ولكن الحماسة له كانت نسبية.

فيلاسكيز : كان امهر الثلاثة واجرأهم، نجح في الدورة الاولى نجاحاً كبيراً، وامطره النظارة بوابل من الازهار والقبعات، ووقف في الآخر يحيي الجماهير والجماهير تحييه.

خسوس كوردوبا : لم يوفق المسكين... وجه الى الثور ختاماً اربع طعنات نابية، واصاب في الخامسة الهدف، فكان جزاؤه من الجماهير التصفير الحاد، وسيل من العبارات الواخزة اللاذعة، فخرج من الحلبة حزيناً يصبغ الخجل وجهه.

وفي الدورة الثانية ظهر ارمليتا في الحلبة، وخرج ثوره كالمجنون، وبقفزة واحدة تخطى الحاجز الخشبي، واعيد الى الحلبة بحيلة... ولم يوفق البطل كثيراً في دورته هذه، حيث نبت طعنته الاخيرة مرتين، فكان حظه حظ زميله كوردوبا في دورته الاولى.

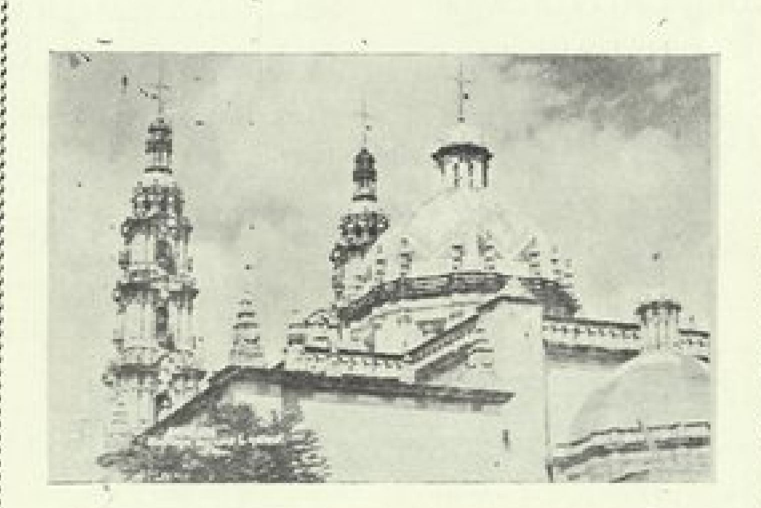
وجاء دور فيلاسكيز... وقفز ثوره ايضاً من فوق الحاجز الخشبي... ووفق البطل في دورته هذه اكثر منه في الدورة الماضية، وشجعه التوفيق فلاعب الثور بجرأة ومهارة اقامت الجمهور وأقعدته، وكاد يغرق البطل بما امطره من قبعات وأزهار وثياب... وكانت الطعنة الاخيرة مدهشة، غرزت السيف الى قبضته في كتف الحيوان، فتصاعد الهتاف يشق عنان الجو، وصدرحكم الجمهور بمنح البطل اذن الحيوان وذنبه، وهذا آخر ما يطمع به البطل من مكافأة.

وهذا في الآخر خسوس كوردوبا... برز الى الحلبة يريد ان يمحو النقطة السوداء التي سجلها باخفاقه في المرة الأولى، فاذا به يغامر بنفسه ويخاطر... وكاد أن يوفق في البدء، ولكن الحظ خانه في اللحظة الاخيرة، فاذا بالثور يفاجئه بنطحة نجلاء في فخذه الايسر فيخترق الفخذ... والنهاية مؤسفة مؤلمة... ولم يمت الرجل... ولكن البطولة التي حاول احرازها بمغامرته رأيتها في تلك اللحظة تنحني امام عظمة الموت.

لبنانيون ولبنان

لجاليتنا في المكسيك تاريخ لا يختلف عن تاريخ سائر جالياتنا في اميركا ، وهذا التاريخ يعود هنا – عوده في اي مكان مررنا به حتى الان – الى السنة ١٨٨٢ ، واول من نزل منا هذه البلاد يعقوب صوما عواد من حصرون ، وبدأ تجارته « بزيت قبر المسيح » وقيل ان احد القواد المؤمنين ابتاع منه قطرة من هذا الزيت بليرة ذهبية .

وتوالى بعده المغتربون ...ومن اوائلهم الاحياء الى اليوم المحامي اسكندر عطيه ١٨٩٦ ، والشيخ قاسم سلمان ١٨٩٧ ، وعدد جاليتنا الحالي في البلاد كلها نحو من عشرين الفاً ، وقد لعب افراد منها ادواراً على مسارح السياسة ، ومنهم من خاض غمار الثورات العديدة التي شبت نارها في البلاد تباعاً ، واهمها ثورة ١٩١٠ التي انتهت بانتصار قضية الشعب واعلان علمانية الدولة .



كنيسة سان خوان دي لوس لاغوس

وفي جملة من لمع اسمهم عسكرياً من ابناء الجالية : الجنرال ميخائيل نعمان الخوري من قرطبا ، والجنرال انطونيو الشويري المعروف بانطونيو أشا من كفر حونا ، والجنرال يوسف مارون الخوري من بكاسين ، والكولونيل انطونيو كرم من قرطبا وقد قتل في السنة ١٩٢٩ ، والكولونيل جرجي عطا الله قتل ايضاً في بعض الحوادث ، والكولونيل فارس فياض من آصيا ، والكولونيل نجيب الكك من دير القمر ، والكابتن فارس الكك من دير القمر ، والكابتن يوسف عطا الله خطار من قرطبا ، وهذا الاخير يتولى الى الان قيادة شرطة بوغروسو .

●

وتحتل الجالية اليوم مكانة عالية في دنيا الصناعة والتجارة ولأفراد منها صدارة المجالس في الاجتماع والادب ، وهي منتشرة في المدن والقرى والمزارع انتشارها التقليدي المعروف ، وتحتفظ بالطابع اللبناني في مظاهرها المختلفة وطرق معيشتها ، وعلاقاتها بأبناء البلاد علاقات المواطن بالمواطن ، فالشعب المكسيكي ذو الطبع الحاد الثائر من اكرم الشعوب ، ومن ابعدها تمسكاً بعنصريته ، حين يجد من نزلاء ارضه طباعاً توافق طبـاعه ، ونحن اللبنانيين اقرب الناس في هذا الصعيد اليه .

●

واسم لبنان غير مجهول هنا ، حتى قبل ان تكون لنا جالية وصلات حديثة بأبناء البلاد ... ففي بوابلا مثلاً اقدم كاتدرائية من عهد الاسبان ، وهي كاتدرائية كبرى ترتفع فوقها قبتان الى علو لا يقل عن المئة والاربعين متراً ، وفي داخلها امام الهيكل منبر تقام عليه المراسيم الدينية في اعياد معينة ، ففي زيارتي الاولى لها وقفت اتأمل المنبر وخشبه المصقول اللامع ، وما فيه من نقوش جميلة وزخارف ، واذا هناك من يقول لي : « ان هذا المنبر مصنوع من خشب ارز لبنان » ومتى علمنا ان تاريخ الكاتدرائية يعود الى اكثر من ٤٠٠ سنة ، جاز لنا ان نتساءل : من اين اتى البناة بهذا الخشب من بلادنا ؟

وفي الطريق – طريق السيارات – بين غوادالاخارا وتوربون وقفت في سان خوان دي لوس لاغوس امام كنيسة من عهد الاسبان الأولين ، ورفعت نظري الى قبتها الجميلة

المذهبة ، فاذا بي امام كتابة خفق لها قلبي ... وكنت قد حدثت عن هذه الكتابة ، وابيت الا ان اراها وان اقرأها بنفسي : - VENI DE LIBANO - ومعناها : « اتيت من لبنان » ... وليس من شك في ان هذه العبارة مما قيل في انشاد السيدة العذراء ، ولكن اختيارها وكتابتها على القبة هنا يدل على ان اسم لبنان كان يتردد على الافواه في هذه البلاد ، قبل ان تكون لنا فيها جالية بأكثر من ٤٠٠ سنة .

•

والجالية هنا كريمة على المشاريع الخيرية والادبية ، تساهم في كل ما يدعوها اليه الواجب نحو البلاد التي ساوتها بأبنائها ، ففي السنة ١٩١٠ قدمت لبلدية العاصمة ساعة جميلة ، لمناسبة مرور مئة عام على اعلان الاستقلال ، والساعة هذه لا تزال قائمة الى اليوم على قاعدتها في قلب المدينة ، وعليها كتابة الاهداء « باسم الجالية العثمانية » .

وفي توربون من مدن الشمال تنادت الجالية لتقديم «شيء» للبلاد اعترافا بالفضل ، فجمعت مالا بنت به مدرسة تتسع لنحو من ٦٠٠ طالب ، واستوحت وطنيتها الاسم الذي يجب ان تطلقه على هذه المدرسة ، فاذا هناك الرجل الذي ملأ اسمه العالم الجديد ، ولمعت ثقافته بنوع خاص في الافق المكسيكي ، الدكتور حبيب اسطفان ، فاطلقت عليها اسمه ... وكم هو جميل وعظيم هذا ... اليس من مفاخرنا ان يسأل خريجو تلك المدرسة بعد ان يغادروها الى العالم ، عن الينبوع الذي استقوا منه علمهم وثقافتهم ، فيجاوبوا بفخر : « مدرسة حبيب اسطفان » ؟

وكما دفعت الغيرة الوطنية اللبنانيين في كل مكان الى تكريم علمهم ، والى رفعه فوق بناء خاص لتمثيل حكومتهم ، هكذا دفعت الغيرة نفسها لبنانيي المكسيك الى شراء قصر جميل لهذه الغاية ، والقصر في احدث احياء العاصمة واجملها ، وحين يحدث ابناء الجالية عنه فكأنهم يحدثون عن احب و اثمن ما يملكون في موطن اغترابهم .

دنيا في كتاب «؟»

صحافتنا في البدء والنهاية

وللأدب والاجتماع هنا تاريخ ، ومؤسسات الجالية الاجتماعية والادبية كثيرة ، في مقدمتها الجامعة اللبنانية التي تضم النخبة الراقية منها ، ويتوزع النشاط الاجتماعي والأدبي بعدها على مؤسسات ذات طوابع مختلفة ، منها : نادي اصدقاء المكسيك ، وجمعية بطل لبنان – يوسف كرم – ، ونادي اصدقاء الكتائب اللبنانية ، وجمعية الشبيبة اللبنانية المكسيكية ، وجمعية دير القمر ، وجمعية الارزة ، وجمعية الاتحاد العكاري ، الخ ...

●

وليست لهذه الجمعيات والاندية مبان خاصة بها ، كما هي الحال في البرازيل والارجنتين وشيلي مثلاً ، وكان زمن ظهرت فيه فكرة بناء خاص بالجامعة ، والتف حول هذه الفكرة من ابناء الجالية كل ذي يد ندية ، وجمع بعض المال لشراء الارض التي سيقوم البناء عليها ، ولنفقات وضع التصاميم الهندسية ومباشرة العمل ، ولكن المشروع ما ابتدأ تنفيذه حتى اصطدم ببعض من لا يروقهم قيام مثله ، لأنانية في النفس تأبى ان يرتفع لسوى ذويها كيان اجتماعي ، ومن المؤسف ان يكون من اصطدم المشروع بهم من يطيب لهم الادعاء بالتزعم والوجاهة ، وهم لو ادنوا المال الذي جمعوه من انوفهم لما كانت له الرائحة الزكية التي ترفعهم الى سدة الزعامة والقيادة .

●

ولعب الادب دوره هنا ... ورافق الجالية في جميع ادوارها ، فكان من أوائلها ادباء لهم وزنهم ، واول من كتب منهم بلغة ابناء البلاد – الاسبانية – حنا بطرس الداهوك ، فاصدر كتاباً عنوانه « العالم والأخلاق » في السنة ١٨٩٨ ، وكثيرون بعده كتبوا بالاسبانية والانكليزية ، ولبعضهم في اللغتين مؤلفات علمية وأدبية ذات قيمة .

ولا يزال المكسيكيون كسواهم من الاميركيين يذكرون خطيبنا ونابغتنا الأكبر الدكتور حبيب اسطفان ، وقد خص بلادهم بالنصيب الاوفر من فيض ثقافته وعلمه ، وترك أثراً لا يمحى بما ترك فيها من مجد ادبي ما تزال الجالية تتفيأ ظله الظليل الى اليوم .

وبمن لا يجهل لبنان والعالم العربي أدبهم امواتاً واحياء ، وقد انتسبوا ولا يزال بعضهم ينتسب الى هذه الجالية : الشهيد الخالد سعيد عقل ، والشاعر الكبير محبوب الشرتوني ، والاديب المعروف داود مجاعص ، والدكتور وليم نعمة ، والدكتور سمعان عويس ، وسواهم كثيرون بمن يضيق المجال عن تعداد اسمائهم .

●

اما الصحافة فقد كثر ايضاً عددها ، واذكر منها : الشرق ليوسف كرم وعقل البشعلاني ١٩٠٥ ، والمطامير لعقل البشعلاني وسعيد عقل ١٩٠٨ ، وصدى المكسيك لبطرس الخوري طوبيا ١٩٠٨ ، والخواطر ليوسف صالح الحلو ١٩٠٨ ، والصاعقة ليوسف مسلم ١٩٠٩ ، والاعتدال ليوسف غسطين ، والمفكر الحر والمسامير لحليم نصار ، والرفيق لمحبوب الشرتوني ١٩٢٩ .

وتصدر الان – بتاريخ وجود الكاتب في المكسيك – القسطاس لفريد سليم ، والقرائد لخليل نصر ، والامير « بالاسبانية » لألفونس عواد ، والملعب • Redondel • لابراهيم البيطار ، وهذه الاخيرة اسبانية اللغة ، وتعنى بالشؤون الرياضية وبخاصة « صراع الثيران » ولها وزنها وقيمتها لدى هواة الرياضة ، واصدارها يجاوز الثلاثين الف نسخة في الاسبوع .

●

واسعدني الحظ هنا برؤية حدث خيّر من احداث الجالية ، هو تدشين مدرسة جديدة باسم « المدرسة العربية » وفكرة انشاء هذه المدرسة تعود الى فتى توري التفكير ، وبماله الخاص اقدم على تنفيذ فكرته ، مع انه ليس من ذوي الثروات الطائلة ، وغايته من ذلك الحفاظ على لغة قومه العربية ، بتعليم الناشئة من مواليد المغترب قواعد هذه اللغة ، والفتى هو بديع بدران من بيروت .

اول فيلم مصري سينما سكوب

كان استوديو الجيزة في مصر ، وصاحبه الاستاذ يوسف كرامة المنتج والمخرج اللبناني الأصل ، اول من فكر في انتاج فيلم مصري بالسينما سكوب ، وخيل للكثيرين ممن اطلعوا على فكرته ان هذه الفكرة لن تخرج عن نطاق الادعاء لصعوبة الاقدام على مثل هذا العمل .

وسرعان ما اقدم الاستاذ كرامة على تنفيذ فكرته ، فبعد ان هيأ الأسباب المادية والآلية لها ، والقصة التي تناسبها ، بدأ عمله في جو مفعم بالحماسة والثقة بالنفس ، وهو يعتقد تام الاعتقاد بأن عمله سيتكلل بالنجاح .

اما القصة التي اختارها فهي قصة في « سبيل الحب » من وضع محمد الامام وحوار عثمان اباظة ، وموضوعها ريفي مصري تبلغ مناظره الخارجية حوالي ٧٠ بالمئة من الفيلم ، وقد التقطت جميعها في الفيوم حيث توافرت لها العناصر الطبيعية اللازمة .

ومن تصريحات الاستاذ كرامة عن الادوار التي اجتازها الفيلم في عمليات الاخراج المختلفة :

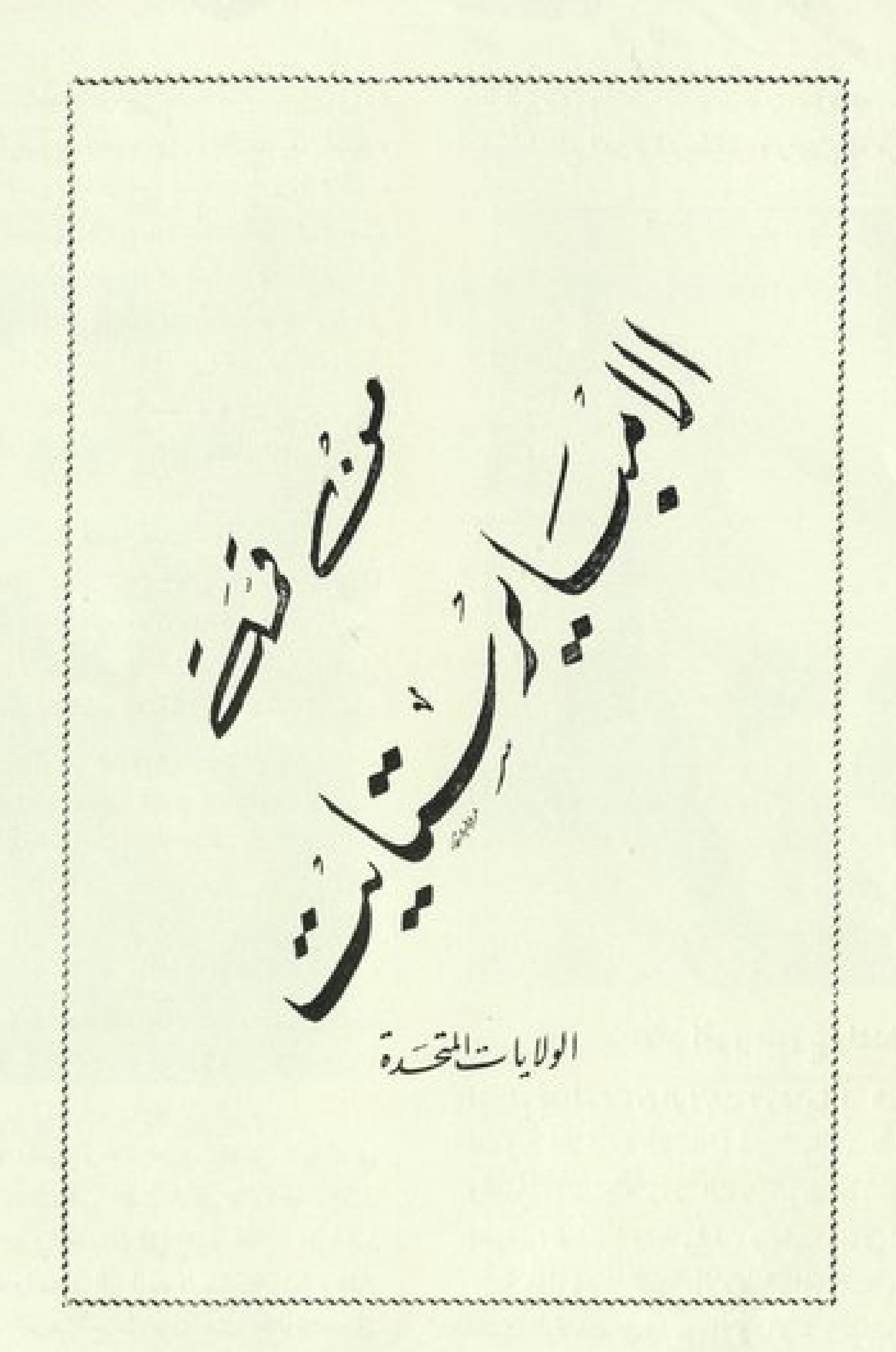


١ — لقد امتاز الفيلم اولا بسرعة انجازه حيث تم تصويره في وقت اقل من اللازم لتصوير الافلام العادية .

٢ — سيكون الصوت في الفيلم مجسما على طريقة « بريسبكتا » وسيزيد هذا من قوته كثيراً .

٣ — ان تكاليف الفيلم « السكوبي » تساوي تماماً تكاليف الفيلم العادي ، اما الذي يكلف كثيراً هو اخراجها بالألوان الطبيعية .

٤ — لقد اعتزمنا ان يكون انتاجنا من الآن فصاعداً من افلام « السكوب » وسنخرج ثاني افلامنا من هذا النوع في شهر اغسطس « آب » بالنظر الى النتائج المشجعة التي توصلنا اليها بعملنا الاول .


الولايات المتحدة

تاريخ شعب كبير

مساحة الولايات المتحدة نحو من ثلاثة ملايين ميل مربع، يعيش فيها شعب كبير يربو عدده على ١٣٥ مليون نسمة ، وهذه المجموعة من الناس تنحدر من سلالات اوروبية مختلفة ، اهمها السلالة الانكلوسكسونية التي كانت اول من احتل هذه الربوع ، واتخذت منها وطناً بعد اوطانها الأولى ، حتى اذا تمازجت عناصرها وتلاحمت تكون منها شعب جديد متفاهم على بناء حضارة جديدة ، وبعد ان انصهر هذا الشعب في بوتقة اجتماعية وثقافية واحدة اعلن استقلاله ، وراح يبني على اسس ما عتمت ان باتت الأسس التي يبني معظم الشعوب عليها لحضارة منشودة .

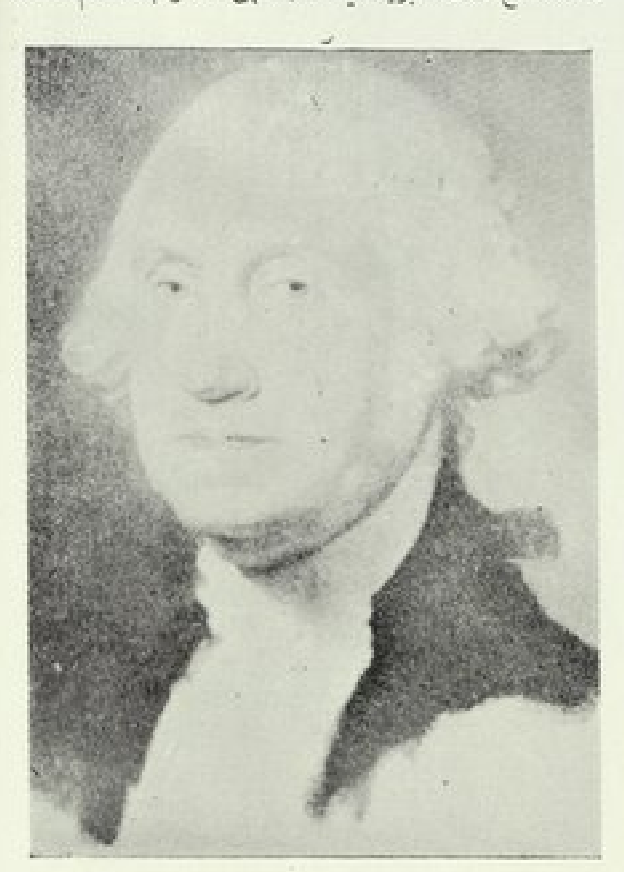
•

واول من اكتشف ارضها رجل يدعى بونسي دي ليون كان من رفاق كولومبس ، ثم افترق عنه للبحث عن ارض قيل ان فيها جدولا سحرياً يعيد الشباب الى من يغتسل بمياهه ... وانتهى بحثه الى ساحل رائع الجمال ، فأطلق عليه اسم فلوريدا ومعناها « عيد الازهار » وكان اول من وطئت قدماه أرض الولايات المتحدة ، وذلك في السنة ١٥١٣ .

ولا يتسع المجال لذكر من جاء بعده من الرحالة ، وكل واحد من هؤلاء اكتشف ارضاً ، وبعضهم اسس مدناً ومستعمرات لعبت دورها في تاريخ البلاد ، من اهمها ميرلند التي اقتطعها ملك انكلترة اللورد بلتيمور في السنة ١٦٣٢ ، ونورث كارولينا وساوث كارولينا اللتين كانتا مستعمرة واحدة ثم قسمتا قسمين في السنة ١٧١١ ، وبنسيلفانيا التي كان يملكها وليم بن الذي ما تزال تحمل اسمه الى اليوم .

وفي السنة ١٦٢٣ اسس الرحالة هنري هدسن الهولندي مدينة نيورك ، عند مصب النهر الذي اطلق عليه اسمه ، بعد ان ابتاع من الهنود جزيرة مانهاتن التي تقوم المدينة عليها بما يعادل ستة جنيهات ، واحتفظ الهولنديون بالمدينة والجزيرة الى السنة ١٦٦٤ ، حيث انتزعها البريطانيون منهم بقيادة الدوق يورك ، وعرفت منذ ذلك الحين باسم صاحبها الجديد « نيويورك » .

وتوالى تأسيس الولايات الى ان بلغ عددها الثلاث عشرة ... وكانت هذه الولايات خاضعة للتاج البريطاني ، فالتاج يعين لها الحكام والموظفين ، ويوجه سياستها وتجارتها وفقاً لمصالح الدولة البريطانية ، وانتهى الأمر باصطدام هذه



القائد المحرر جورج واشنطن

المصالح بمصالح سكان الولايات ، وبخاصة في السنة ١٨٦٦ حين اصدرت الحكومة البريطانية قانونا جديداً لضريبة السكر والعسل الأسود ، وعد الاميركيون هذا القانون مجحفاً بحقوقهم ، فغضبوا واعلنوا تمردهم عليه مما ادى اخيراً الى الغائه .

وتوالى بعدها الظلم فالاصطدام الى السنة ١٧٧٤ ، حيث اعلنت الولايات نقمتها على الاوضاع ، واجتمع مندوبوها في مدينة فيلادلفيا للنظر في الامر ، وعرف اجتماع المندوبين هذا باسم « كونغرس المستعمرات الاول » وكان من مقرراته الاعراب عن الولاء للتاج البريطاني ، والامتناع في الوقت نفسه عن المتاجرة مع بريطانية ، الى ان تضع هذه حداً للجور

والاستئثار بالمنافع ، ولما لم يجد ذلك نفعاً أعلن الكونغرس في ٦ تموز ١٧٧٥ الحرب رسمياً عليها .

●

وفي يوم ٤ تموز ١٧٧٦ أعلن الكونغرس الاستقلال ، وكتب توماس جفرسون باسلوبه الرائع نص هذا الاعلان ، ومن آيات هذا النص قوله : « اننا نعد من البديهيات الحقائق التالية : خلق الناس جميعاً متساوين ، وقد منحهم الخالق حقوقاً خاصة لا تنتزع ، منها الحياة والحرية والسعي لنيل السعادة » .

وقاد جورج واشنطن من فرجينيا جيش التحرير ، ودامت الحرب بينه وبين البريطانيين ست سنوات ، وقد زخرت هذه السنوات الست بالأهوال ، وعانى الاميركيون فيها اشد الآلام والمحن ، ولكن القائد الكبير الذي قبض على مقدراتهم بيده الفولاذية من جهة ، وعطف على آلامهم ومحنهم بقلب ملؤه الحنان والحب ، كان يبعد اليأس والقنوط عن نفوسهم ، الى ان تم له ولهم النصر الاخير في يوركتون يوم ١٩ تشرين الأول ١٧٨١ .

وفي السنة ١٧٨٤ اعترفت بريطانيا باستقلال الولايات الاميركية المتحدة بمعاهدة نهائية ، وظهرت بذلك الى الوجود اول دولة اميركية مستقلة ، وقد كتب لهذه الدولة ان تسير بخطوات ثابتة جبارة ، بفضل الرجال الذين تولوا توجيهها منذ اعلانها الاستقلال ، وبفضل الثروات التي تدفقت من ارضها ، وعرفت كيف تجعل منها موارد عيش ورفاهية ، وقوة مادية جبارة في يد قوة معنوية تكاد اليوم ان تسيطر على العالم .

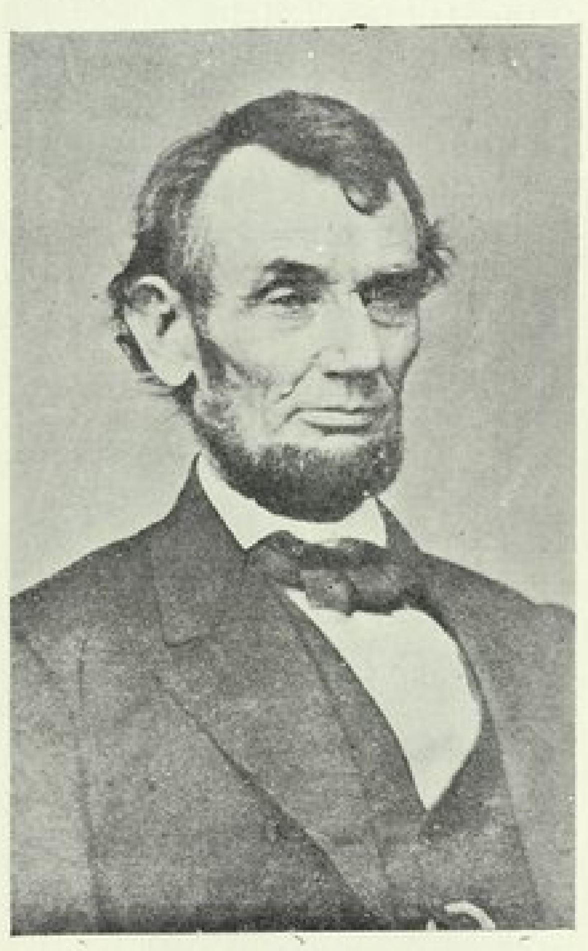
●

والولايات المتحدة مؤلفة من ٤٨ ولاية ، لكل منها دستور خاص وسلطة محلية مستقلة ، والاتحاد يجمعها تحت علم واحد في كل ما هو خارجي ، وليس له حق التدخل في شؤونها الداخلية ، الا اذا تعارضت مع دستوره الموحد الجامع .

ولم يكن هذا الدستور الجامع الموحد الا بعد آلام حقبة من الحروب الأهلية ... ومن اسباب هذه الحروب الرئيسية « الغاء الرق » وبطله ابرهام لنكولن الرئيس الثاني ، ففي السنة ١٨٦٠ تسلم هذا الرجل الكبير مهام رئاسة الجمهورية ، واعلن كرهه ومناهضته للرق ، بعد ان كانت البلاد انقسمت قسمين في الرأي ، الولايات الشمالية تريد تحرير الرقيق ، والولايات الجنوبية ترفض ذلك ، فكانت الحرب بين الشمال والجنوب .

وانتهت الحرب بانتصار الشماليين ، وقضى انتصارهم على الرق ، ولكن بعد ان ادت البلاد ثمن هذا الانتصار غالياً ، من راحتها وهنائها ودم بنيها .

وكان آخر ضحية من ضحايا الحرب الأهلية تلك الرئيس لنكولن نفسه ... ففي مساء ١٤ نيسان ١٨٦٥ ، بينما كان الرئيس الكبير يشهد حفلة تمثيلية في واشنطن ، وهو مسرور جذل بانتهاء الحرب التي مزقت الأمة ، فاجأه « مجنون »



ابراهام لنكولن بطل الغاء الرق

في اثناء الحفلة ، واغتاله بشكل اثر البلاد التي فقدت به زعيماً ورئيساً اعطى الأمة من قلبه ما اكسبه محبة واحترام كل فرد من ابنائها .

وأثبتت الأمة الاميركية وجودها في الحربين الكونيتين الأخيرتين ، كأمة تزخر بالحيوية التي تؤهلها للقيادة ، وهي الآن في جبهة الأمم الديمقراطية ، تحمل علم التوجيه الاقتصادي والسياسي ، الى ما يتراءى لها انه الأساس الصالح لبناء العالم الأفضل .

نيويورك مدينة الحركة الدائمة

تركت المكسيك قاصداً الى الولايات المتحدة بالقطار ، لرغبتي الشديدة في رؤية الأرض هذه المرة من الارض ، بعد ان اتعبت عيني بالنظر اليها من الفضاء ، والارض في الولايات المتحدة مما يجب ان تُرى ، وهي التي حولتها الجهود البشرية الجبارة الى موارد ثروات لا تنضب ، وعرف ارباب هذه الثروات كيف يفيدون منها ، ويبسطون نفوذهم على العالم .

وكانت اولى الأراضي التي دخلتها اراضي ولاية تكساس ، الولاية الجنوبية العميمة الخيرات ، بما تزخر به حقولها من زرع ، وبما يتدفق فيها من بترول ... وقد كانت هذه الولاية تابعة للمكسيك ، ودخلت في جملة الولايات الاميركية المتحدة منذ مئة وخمس سنوات ، وعدد سكانها نحو من سبعة ملايين ، وحاضرتها هوستن وهي اول مدينة نزلتها من مدن العالم الاميركي الأنكلوسكسوني .

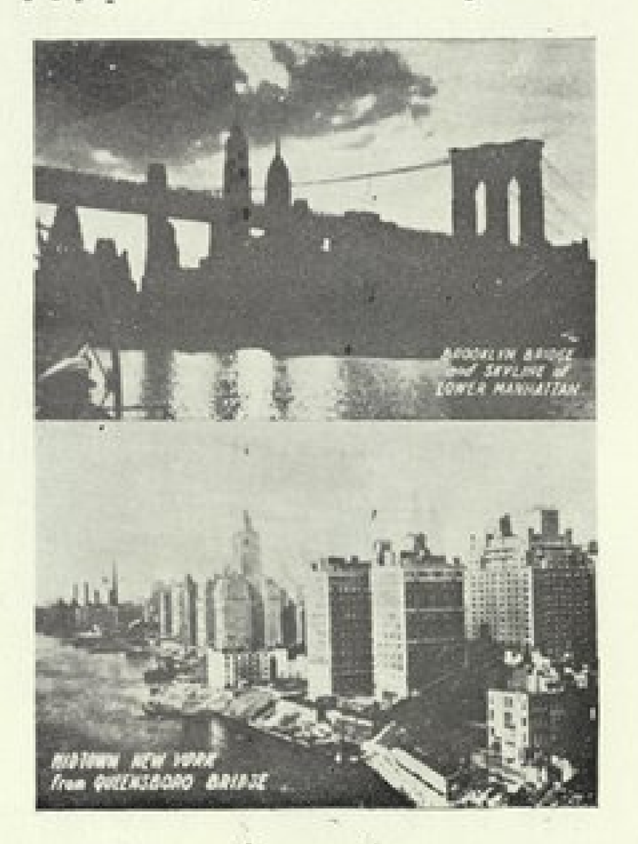
ومن هوستن الى نيويورك يومان بالقطار ، قطعتها برفقة ضابط فتى من ضباط سلاح الطيران ، وكان لي نعم الرفيق بالرغم من صعوبة التفاهم معه ، فهو لا يعرف من اللغات سوى الانكليزية ، وكل ما اعرف من هذه اللغة كلمات كنت اخلطها بشيء من الفرنسية وشيء من الاسبانية وأؤلف منها جملاً وحديثاً ... وكان رفيقي « طويل البال » وكثيراً ما كان ترجماني في اوقات الاضطرار ، وبخاصة في « أورليانس » حيث قضينا سبع ساعات نتفرج بالمدينة الفرنسية الاصل ، والتي تحتفظ الى اليوم باسمها الفرنسي وطابعها .

وقطعنا من الولايات تباعاً : لويزيانا ، مسيسبي ، الباما ، جورجيا ، سوث ونورث كارولينا ، نيوجرسي ، واشنطن ، بنسلفانيا ، نيويورك ... وشهدت اكثر من مظهر من مظاهر عظمة هذه البلاد ، في حقول العمران والعمل المتحكم بالثروات المختلفة ، حيث تزخر الارض بالغلال ، وآبار البترول بذهبها الاسود ، والمصانع بالانتاج الذي يغرق اسواق العالم ، وبين واشنطن ونيويورك – وفي فيلادلفيا خاصة – صناعات تؤلف القسم الاكبر من ثروة البلاد الصناعية .

وفي نيويورك شهدت العظمة التي لا توصف ... ومن على قمة «الامباير ستايت» – اعلى بناية في الدنيا – وقفت انظر الى المدينة الاسطورة نظرة الغريب الذي يكاد لا يألف مشهداً غير عادي مما يقع البصر عليه حتى تتراءى له عشرات المشاهد التي لا يستطيع باجتهاده الخاص ان يعرف لاسرارها تفسيراً وحلاً :

●

واول ما يلفت الناظر تمثال الحرية ، هذا الذي ليس في



نيويورك في صورتين

الدنيا من يجهله ، المنتصب بعظمته على مدخل ميناء المدينه ... لقد قال فيه الكتاب والشعراء والمفكرين كلماتهم ، ولم يبق لي من القول سوى كلمة تاريخية :

كان الشاعر الفرنسي ادوار رينه لي فيبر دي لا بوس من اعظم اصدقاء اميركا ، ومن المعجبين الاعجاب كله في حرية شعبها ، وكان يحدد الحرية بقوله : « انها بنت الانجيل ، واخت العدالة ، وام المساواة » ... ففي السنة ١٨٦٥ اجتمع رهط من اصحابه في منزله ، ودار حديث حول قلادة ذهبية يفكر

الفرنسيون باهدائها الى ارملة الرئيس لنكولن وعليها هـذه العبارة : « تقدمـة الديمقراطية الفرنسية دون ان تلقي حجاباً على تمثال الحرية » .

وكان بين الحاضرين مثال الزامي يدعى اوغست بزتولدي، فلم يسمع من العبارة سوى الكلمتين الاخيرتين : « تمثال الحرية » فقال لرفاقه :

— اما يجدر بنا ، لمناسبة مرور مئة سنة على تحرر الشعب الاميركي ، ان نهدي هذا الشعب تمثالا للحرية ؟

فصفق الحاضرون للفكرة... وراح برتولدي يعمل لتنفيذ فكرته ... وسافر الى نيويورك لهذه الغاية... ووضع تصاميم للتمثال متأثراً اولا بفكرة دى لا كروا في صورته « الحرية تقود الشعب » وشخصتها فتاة نصف عارية تحمل بيدها كأساً وتقف على تلة من الاشلاء ، وانتهى في السنة ١٨٧٥ وبعـد درس عميق الى فكرة التمثال الحـالية وشخصيته « ملكة متوجة هادئة ، لا قلق يعروها ولا خوف ، ومشعالها بيدها تنير به العالم » .

وانهالت التبرعات للتمثال من فرنسة واميركة ، وفي السنة ١٨٧٧ — ١٨٧٨ عرض رأسه الكبير في معرض باريس الدولي ، ووقف الناس امامه معجبين ... وفي تشرين الاول ١٨٨٦ ، في جو عابس رصين ، اجلسوا « الملكة — الحرية » على عرشها ، وكانت قلوب الألوف تخفق فرحاً ، وعين برتولدي المثال وحده تدمع تأثراً ، لرؤيته الفكرة التي قضى عشرين عاماً لاخراجها تمثالا .

●

وحديث حركة النقل والمواصلات هنا حديث عجيب ... على الارض والبحر ، وتحت الارض والبحر ، وفي الجو ... ثلاثة ملايين سيارة ، والوف القطارات والبواخر ، وبعض « عربات الخيل » ... حركة دائمة لاتهدأ ، حركة ثمانية ملايين من السكان ، اضف اليهم مثل هذا العدد ، من ارباب الاعمال والمصالح والسياح الغرباء ... وثلاثة ملايين منهم لا ينامون ، فالليل هنا لغير النيام ايضا ، للعمل الدائم المنتج ، للحفاظ على ملكة المرفأ ومشعالها ، فمن كان من رعايا هذه الملكة لاينام ، وللحرية ثمن سهر العيون اقلُ وحدات نقده .

ومن غرائب المدينة الاسطورة مدينة روكفلر ... حي في المدينة تنتصب فيه ١٥ ناطحة سحاب ، من اربعين وخمسين وسبعين طابقاً ، وكل واحدة من هذه البنايات الجبارة تحمل اسم اكبر مستأجريها ، فمنها بنايات فرنسة وبريطانية ومجلة LIVE . وهذه تحتل سبعة طوابق من البناية التي تحمل اسمها وفي الطابق الخمسين من بناية روكفلر ذات السبعين طابقاً ، مكاتب ملك المال الأميركي حيث تتجمع الارقام وتتفرق في دنيا تزخر بالعمل ، وعلى صفحات بيض من صفحات تاريخ المآتي الانسانية .



تمثال الحرية

وكنيسة روكفلر من اعاجيب ما يحدث عن الرجل الباني ، عن الغني المحسن والانساني المفكر ، عن المتدين الذي يريد ان يجمع الاديان كلها في دين واحد هو « دين المحبة الانسانية»... ففي هذه الكنيسة التي بلغت اكلافها سبعة ملايين من الدولارات آله واحد ، ومجموعة مذاهب العالم ومعتقداته وفلسفاته متمثلة بأعاظم انبيائه وقديسيه ومفكريه ، حيث اقيم لكل من هؤلاء تمثال ، بينهم محمد وموسى وكونفوشيوس وبوذا ، وبينهـم ايضاً تماثيل اديسون وانشتين وسواهما ممن احسنوا الى الدنيا ،

فكانوا في نظر باني بيت الله نظراء الى من احسنوا للدين .

ولا احدث عن شارع الملاهي ... فاللغة التي يتفاهم بها ارباب هذا الشارع غير لغة « الفقراء » في ملاهيهم ، وليس لغير اصحاب الملايين ان يدرك اسرارها ، ولا افادة من حديث لا يدخل صاحبه الى مكامن الاسرار ، ويعود منها بالحديث العجب ...وان كنت امر بالحديث عن هذا الشارع لماماً فذلك كي اذكر عنه ما ذكر ، وفيه من فتيان جاليتنا فتى هو داني طمس لم يرو تاريخ المسرح الماجن في اميركا عن فتى مثله لمع نجمه في سماء الفن لمعاناً حجب كل نجم سواه .

وامرُّ بالعلم ومعاهده ، وبجامعة كولومبيا ، وشهرتها العالمية ، واتوقف امام قلعة تايرون ... ففي هذه القلعة التاريخية وقعت احدى معارك الاستقلال الفاصلة في السنة ١٧٧٦ ، وفي جوارها انشأ روكفلر الابن متنزهاً جميلاً واهداه الى المدينة ، وفي هذا المتنزه مجموعة ابنية مثالية غريبة، جيء بحجارتها من قصور اوربة واديرتها التاريخية ، من فرنسة وايطالية واسبانية ، وبهذه الحجارة شيدت على مثال القصور والاديرة المذكورة وغرست في الجنائن والحدائق التي حولها اشجار وازهار كالتي كانت في حدائقها وجنائنها الاصلية، وبلغت اكلاف هذا المتنزه الغريب ٤٥ مليون دولار .

والشاطيء « كوني ايلند » الحديث الآخير ... لقد اشتد الحر في نيويورك كعادته في فصل الصيف ، ولا بد لسكان المدينة الكبرى من مكان يترددون فيه ويروحون عن نفوسهم ، وعلى الشاطيء المذكور وجدوا ضالتهم ، وقد كنت في جملة من لجأوا اليه ليالي عديدة ، واتيح لي ان احضر اولى ليالي افتتاحه، فرأيت على رماله الممتدة زهاء خمسة اميال وفي ملاعبه وملاهيه الغارقة في خضم من النور ، عدداً من الناس لم يكن لي ان اقدره في الساعة التي قضيتها ضمن دائرة محدودة من مداه ، حتى اذا اصبحت والصحف قرأت فيها احصاء لذلك العدد ، فاذا هو مليون وبعض المليون من خلق الله .

نحن هنا قديماً وحديثاً

لقد مر بنا ان اول مغترب لبناني الى الولايات المتحدة كان انطون ضاهر البشعلاني من صلبا ، وقد جاء الى هنا طلباً للعلم في السنة ١٨٥٤ ، وليست فكرة « صيف المغتربين » في الواقع سوى الاحتفال بالذكرى المئوية لاغترابه ، وحبذا لو فكر المحتفلون بهذه الذكرى باقامة نصب للرجل الذي مثل اغترابنا الأدبي في دنياه اجمل تمثيل .

ومن اقدم مغتربينا الى هنا فهيم نوح باسيل من حدث الجبة ، جاء بين ١٨٧٠ و١٨٧٥ الى فيلادلفيا ، وتاجر اولا بالمسابح والايقونات والصلبان وخشب الزيتون من الارض المقدسة ، وافلح في هذه التجارة الى حد مكنه من الانتقال الى سواها والافلاح فيها .

ولحق به في السنة ١٨٨٣ اخوه يوسف ، وولد هذا فرنسيس الذي ابصر النور في السنة ١٨٨٥ في سبرنكفلدماس هو اول لبناني ولد هنا ، وما يزال الى الان في بروكلن - نيويورك ، يقرأ العربية ويكتبها قراءة وكتابة صحيحة ، رغم انه لم يزر لبنان في حياته .

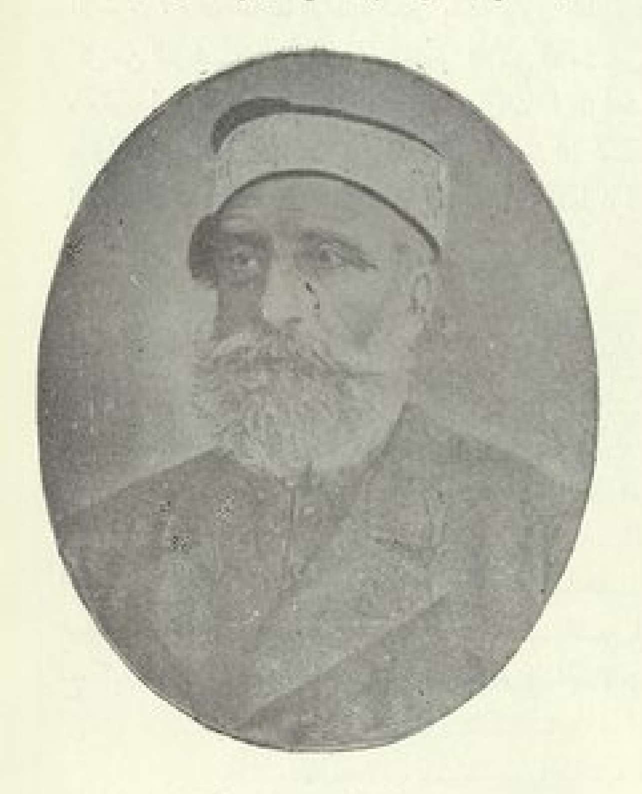
وفي بناية روكفلر ذات السبعين طابقاً - وقد تقدم ذكرها - مكتب اعمال اول لبناني من مواليد نيويورك ، هو تشارلي حواط الذي ابصر النور في السنة ١٨٨٦ ، ولا يزال يذكر بفخر وطن ابيه الاول .

●

واللبنانيون والسوريون منتشرون في هذه البلاد انتشارهم في اي بلاد سواها ، ومنهم اسر نمت وتكاثرت الى حد انها باتت تضاهي الاصل الذي اغتربت عنه عدداً ، في مقدمتها :

اسرة الجميل من بكفيا في هوستن تكساس ، من اوائل مغتربيها عبده اسطفان ، ونجيب فارس عون ، وضاهر نجم الجميل ، وتاريخ اغترابهم يعود الى السنة ١٨٩٢ ، وعدد افراد الأسرة يجاوز الـ٣٥٠ في هوستن وحدها ، وفي الحرب الاخيرة قدمت من ابنائها للعلم الاميركي ٤٣ جندياً ، في اسلحة البر والبحر والجو .

واسرة حاتم من حمانا ومقرها الرئيسي في نورث كارولينا ، يعود تاريخ قدامائها الى السنة ١٨٩٥ ، ومن احيائهم الى الان ابراهيم ملحم وعفيف فرحات حاتم ، وعدد افرادها ينيف على الـ٤٠٠ ، وفتيانها الذين تجندوا في الحرب الاخيرة ٧٦ .



الطبيب الاثر الشيخ عيد حاتم

ومن بناة سمعتها الطيبة المرحوم الشيخ نعوم حاتم ، حفيد الطبيب الأثر الشيخ عيد حاتم ، صاحب الصفحات البيض في تاريخ المتصرفية وعهدها الاول ، حيث تولى رئاسة مجلس الادارة نحواً من عشرين سنة ، ووكالة المتصرفية مرتين ... وحفيده نعوم كان من اركان جالية نيويورك ، ومن مؤسسي جمعية النهضة اللبنانية التي ترأسها زمناً ، وما يزال ذكره حياً الى الان في قلوب اصحابه ومحبيه .

●

واكبر جالياتنا هنا جالية ديترويت ، ينيف عددها على الاربعين الفاً ، وتأتي بعدها جالية نيويورك بالثلاثين الفا من ابنائها ، ومجموع عدد هذه الجاليات لا يمكن حصره ، فمن قائل

ان اللبنانيين والمتحدرين منهم نصف مليون، ومثلهم السوريون بعددهم ، وليس من احصاء يدل على صحة هذا العدد .

ولا بد هنا من درس ومقابلة .

لقد عرفت « ابناء العرب » في كل من اميركا اللاتينية واميركا الانكلوسكسونية ، واستناداً الى هذه المعرفة أؤكد ان طابعنا القومي ما يزال في الأولين ابرز منه في الآخرين ، وان العاطفة الوطنية تبدو بنسبة بروز الطابع في كل من الفريقين ، ذلك لان العنصر اللاتيني الاميركي « متوسطي » الاصل ، ومن اقرب العناصر الينا لامتزاجنا به وامتزاجه بنا قروناً عديدة في اسبانية ، في حين ان العنصر الانكلوسكسوني غريب عنا لا نمت اليه بصلة ، واضطرارنا الى الامتزاج به حديثاً اضطرنا الى التخلي عن الكثير من خصائصنا وميزاتنا .

والمحيط الاميركي اللاتيني ضعيف بالنسبة الى جاره الانكلوسكسوني ، وقدرته على تذويب العناصر الغريبة فيه محدودة ، بينما قدرة جاره الانكلوسكسوني على ذلك لا حد لها ... ومهما ترتفع قامات الغرباء هنا لايسعها الارتفاع الى قمم هذا المحيط المادية والادبية ، وهذا ما يفسر بروزنا في العالم الاميركي اللاتيني في نواحي الحياة المختلفة ، وانحجابنا هنا نسبياً ... واقول نسبياً لاقول : ان هذا الانحجاب النسبي لم يمنع كباراً من مغتربينا هنا من اثبات وجودهم في المجالات المادية والادبية والاجتماعية ، وان القمم التي ارتفعت لهم في هذه المجالات لما يجب تذهيب صفحاته في تاريخنا الوطني للعبرة والذكرى .

•

ويحافظ مغتربونا هنا على البعض من عاداتهم وتقاليدهم ، يتحدون بها المحيط وتطوراته وجبروته ، وفي برودواي قلب نيويورك الخافق تتبين لك جرأة التحدي ، حيث ترى مطاعمنا العربية - مثلاً - باسمائها وما كلها وروادها ، فيخيل اليك انك في بيروت او في دمشق ، وقد تنتقل الى الجيل الاثم بالذكرى حين يفاجئك من روادها مفاجىء بأبيات العتابا او المواليا .

ومن تقاليد جالياتنا المرعية هنا المهرجانات التي تعودت اقامتها كل سنة ... فهذه المهرجانات التي تجمع الالوف من انحاء مختلفة ، ويستمر بعضها اياماً على صعيد قومي لا زيف فيه ، هي الصلة التي ابتدعها مفكرون واعون للابقاء على وحدة تفككت حلقاتها يوماً بعد يوم ... وما احيلاها اويقات يقضيها المتواصلون في جو من اجواء الوطن البعيد ، راقصين مغنين مرحين مزهوين متآخين متحدين... أليس لمثل هذه الاويقات كانت التحية التي ينتظرها كل مغترب من قومه ووطنه ؟

هنا ارتفعت لنا قمم

وهنا وقفت خاشعاً للذكرى ... في خضم المدينة الزاخرة بالمادة ... تارة على جسر بروكلن اخاطب مع الريحاني الاهة العصر المدرعة بالفولاذ، وطوراً عند اقدام نصب الحرية ارتل مع جبران آيات الفن في هيكل الروح الوادعة .

لقد ترك انطون البشعلاني مغتربنا الأول في هذه البلاد اثراً من روحه ، فكان على من جاء بعده من رسل الروح ان يقتفوا اثره ، وفي زحمة التطور المادي — واغترابنا في البدء طموح الى الدولار — شقت الروح المغتربة الطريق الى ما هو اسمى من المادة ، فاذا هناك قافلتنا الأدبية الاولى .

●

في العام ١٨٩٨ انشأ المرحوم نعوم المكرزل جريدة باسم « العصر » في فيلادلفيا ، وفي السنة ١٩٠٢ انتقل الى نيويورك ، حيث انشأ « الهدى » ام الجرائد العربية الى اليوم في اميركا ، ولعب نعوم دور البطولة في رواية « المغترب » ادباً ووطنية واقداماً ، ومثله فعل اخوه سلوم في مجلته العالم السوري اولا ، ثم في الهدى التي تولى شؤونها بعده ، والهدى تتابع طريقها الان برعاية كريمته ماري في خدمة الجالية والوطن .

وقبل الهدى اصدر نجيب عربيلي جريدة كوكب اميركا ، وصدرت بعدها جرائد عديدة لأدباء وكتاب بارزين ، منها الحارس لأمين الغريب المعروف في دنيا الصحافة مقيا ومغترباً ، والنسر لنجيب بدران ، والشعب ليوسف مراد الخوري ، والاخلاق ليعقوب روفائيل ، والايام ليوسف نعمان المعلوف ، والفنون لنسيب عريضة ، الخ ...

ومن الصحف التي تصدر اليوم : السمير للشاعر المعروف ايليا ابو ماضي ، ومرآة الغرب لمؤسسها نجيب دياب — وتصدر الان باشراف ارملته — والسائح لعبد المسيح حداد ، وكانت هذه فيما مضى لسان حال الرابطة القلمية ، وقد احتلت اسمى مكانة ادبية بين صحف المغترب كافة .

●

والرابطة القلمية قمة من قمم الفكر التي ارتفعت لنا هنا ، تأسست في السنة ١٩١٣ لجمع شمل ونصرة يقظة ، فكان في رعيلها الاول اقطاب عرفناهم من بعيد وقريب ، ونجوم متألقة في سماء نهضتنا الادبية الناشئة .

ومن يذكر امين الريحاني ، وجبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، ولا ينحني لعظمة الفكر والروح ؟

ومن يقرأ ايليا ابو ماضي ، وندرة حداد ، ووليم كستفليس ، ورشيد ايوب ، ونسيب عريضة ، وامين مشرق ، وعبد المسيح حداد ، ولا يؤدي التحية للأدب العالي وللشاعرية المثالية ؟

وكم وددت لو اني هنا قبل ان يتفرق الشمل ، وتبيت الرابطة بن انتثر من حبات عقدها أثراً ... اذن لاشرفت من قمها على دنيا مفروشة بالزهر ، عابقة بالطيب ، وتناسيت ما يلقى الاديب في غير اوساط اخوانه ورابطتهم ، من متاعب يتعثر بها شعوره الرهيف في دنيا عباد المادة .

●

وهنا قمة ثانية من قممنا رفعها رجل فرد في دنيا تزخر بالرجولة ... قال استاذي وصديقي الخوري اسقف منصور اسطفان النائب البطريركي في بروكلن :

— عرف الدكتور فيليب حتي بوجودك هنا ، ولعلن يدعونا اليه في برنستون يوم الاحد القادم .

ولم يكن احب الي من هذه الدعوة ، وقد عرفت الدكتور حتي في بيروت ، وعرفته في دنياه العلمية الذاخرة بالشهرة والمجد ، فقلت :

— حبذا الزيارة .

●

وفي برنستون التقينا ...وصافحت اليد التي لها الف يد بيضاء على لبنان ، على لبنان الفكر والتاريخ الثقافي الانساني ، لا لبنان السياسة التي ما احب الدكتور حتي التعرف في يوم من الايام اليها ، اللهم الا عن طريق ثقافته العالية ، وادبه المترفع عن المادة ، وشخصيته التي تحتقر الاضاليل .

ولا اعدد الالقاب العلمية والادبية التي يحملها علامتنا الفذ ، ولا المؤلفات والكتابات التي مهر بها الفكر العالمي — ومن مؤلفاته ما ترجم الى لغات كبرى — ولا ادل على المدى الذي

تحتله شخصيته في دنيا التقدير ، واكتفي من ذلك بالقول : إن اثنتي عشرة شخصية اجنبية حملت الجنسية الاميركية ، وادت للديمقراطية خدمات لها عليها حق التدوين ، عُرضت اجاؤها على لوحة في معرض نيويورك العالمي في السنة ١٩٣٩ ، وكان فخراً ومجداً للبنان ان يبرز اسم الدكتور حتي بين الشخصيات الاثنتي عشرة .

وعالمنا الكبير لم ينسَ لبنان… ففي منزله الجميل بين ازهار الجامعة واشجارها مجموعة صور ورسوم للأرز ، ولجسر قديم فوق نهر الكلب ، وغصن ارز يابس فوق مكتبته ، وحبة في الحديقة يدللها ويفخر بهـا ، و… ابريق فخار « مقروم » يأبى الا ان تكون منه الشربة الراوية في أوقـات الظمـأ الشديد .

وكم كان فخري عظيماً ـ ومتواضعاً بالطبع امام عظمته ـ حين قادني الى مكتبة الجامعة الشرقية ، وهو امينهـا الساهر على ثروتها العلمية والتاريخية ، ودلني على كتاب بين الثلاثمئـة الف كتاب التي تزخر بها المكتبة وقال لي :

ـ اتدري لمن هذا الكتاب ؟

ـ ؟ ؟ ؟

ـ هذا كتابك « في بلاد الزنوج » وعندي انه من افضل الكتب واطرفها في اللغة العربية .

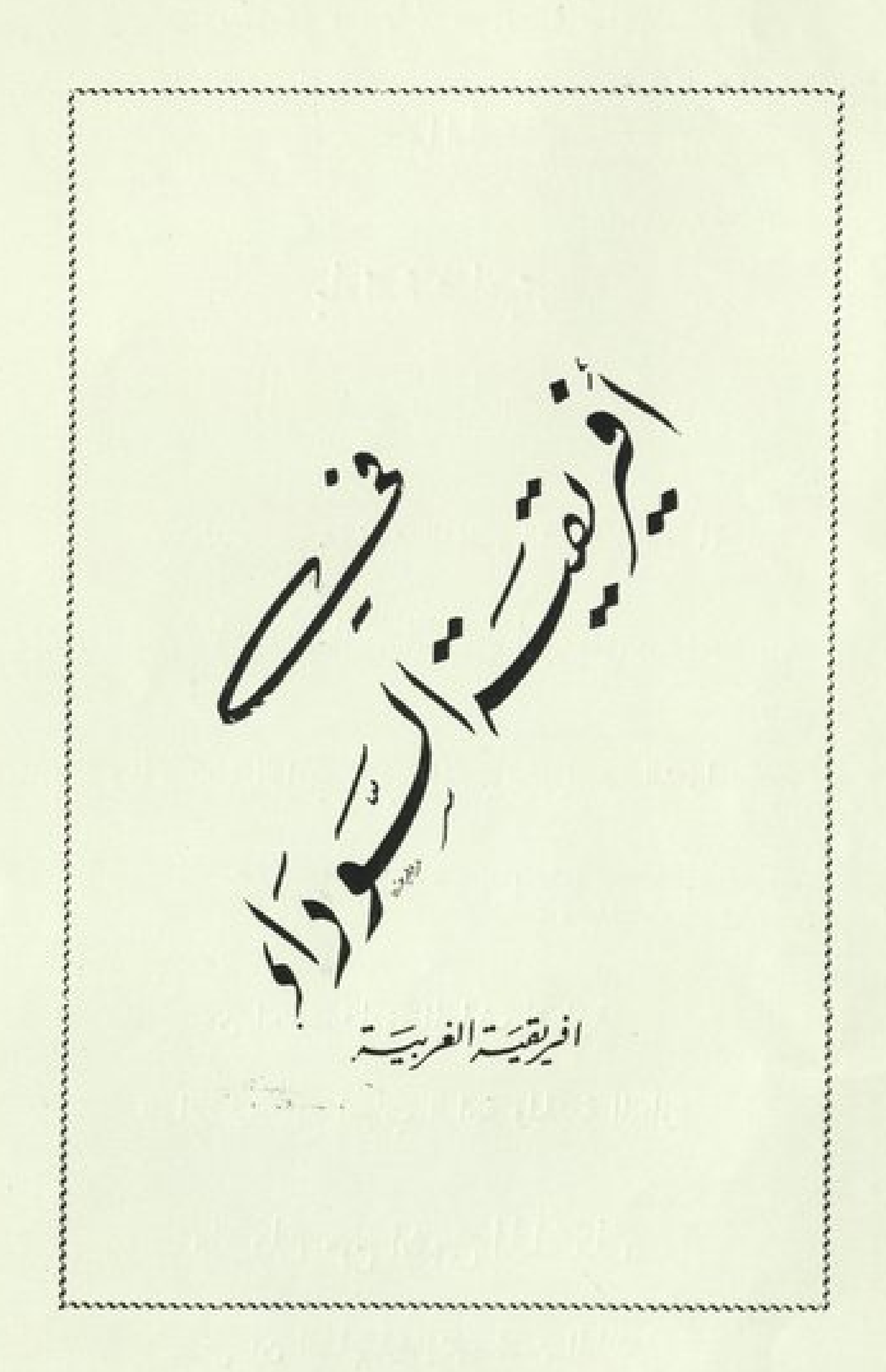
من شاعر العاطفة المتدفقة حباً
ميشال سليم عقل
الى الذين ذابوا في الشعر ، وذاب الشعر فيهم
فكان الفن والجمال والابداع في المقترب

الزورق المحطم

يا ورد لا تدردر الشوك على درب الغدِ
احتضر النور بعيني فكيف أهتدي
في غمرة من الجراح كي تلمه يدي ؟
آواه ، هل مات الشذا وانفرط الحلم الندي
ولم اشمّ برعماً منك ولم اهدهد
كبلبل مرّ على الغصن ولم يغرّد ؟
حسبك ما جرحت إني موجع لا تزد
أخاف أن تمسّ ما أبقى الهوى في كبدي
فتمحي بقية من قبلة وموعد
وانتهي على ذوائب النجوم الشرّد
كزورق محطم على حدود الأبد
ولم تزل على فمي انشودة لم تنشدِ …

فراشة

آه ، على فراشة تغلغلت في ناظريّ
وانهمرت وشوشة ناعمة في أذنيّ
وانفرطت على الندى أرق من نسمة فيّ
توفُ رقة على الورد ورقة عليّ
كأنها أغنوجة عالقة بجانحيّ
يا طيبها برعمة فديتها بأصغريّ
مسكية النفحة يقطر جناحاها شذيّ
أي نسيم ما تني وشفة منها وأيّ …
من غرّها حتى تغرّدت وطارت من يديّ
وتركت جراحها براقة في دمعتيّ ؟
وياه ، أين هي ، قل ، رحماك قل … في أي حيّ ؟
أنا سأرشف بقايا الكأس إن عادت اليّ
لكنها ـ وأسفتا ـ ما تركت في الكأس شيّ …


افريقية الغربية

شاغور بالاس اوتيل

حمانا

بادارة صاحبته

السيدة ليا أسمر

يقع عند مصب شلالات الشاغور الشهيرة في حمانا

في منعطف الجبل الجميل

وعلى كتف الوادي الذي تغنى بوصفه اكبر الشعراء

شاغور بالاس اوتيل

من احدث فنادق المصايف اللبنانية

تتوافر فيه جميع اسباب الراحة والخدمة الممتازة

مآكل من اشهى المآكل

وكل من اقام فيه يشهد بحسن المعاملة

تلفون : حمانا ٣

في مجاهل التاريخ

افريقية هي احدى قارات العالم الخمس ، هي الثالثة بعد آسية واميركة مساحة ، والرابعة بعدهما وبعد اوربة عدد سكان .

وافريقيا الغربية التي ينحصر بحثنا فيها من اجزاء هذه القارة ، واهم بلدانها : السنغال والسودان وشاطيء العاج والغينه الفرنسية ، وغامبيا وسيراليون وشاطيء الذهب ونيجرياالانكليزية، وليبيريا الدولة المستقلة الوحيدة في تلك المواطن .

وفي البلاد المذكورة ثروات زراعية ومعدنية وحيوانية لا تنضب ، وسكانها جميعهم من السود ومن بقايا العرب والبربر ، ولهم تاريخ تكتنفه الظلمات في مداه البعيد ، ولعلماء التاريخ آراء فيه وفي جلاء بعض غوامضه .

●

من هم سكان افريقية ، ومن اين جاؤوا ، قبل ان تصبح هذه القارة بغاباتها البكر ومجاهلهاموطناً لهم ؟

على هذا يجاوب العلماء البحاثون جواباً فيه بعض الغموض ولكن جهل الواقع يضطرنا الى عدّه في حكم الواقع :

لقد كان المحيط الهادىء الفاصل بين افريقية واميركة من جهة الشرق ، كان فيما مضى مهداً لعالم عظيم ، لقارة كبرى طغت المياه عليها واغرقتها منذ آلاف السنين ، وليست مدغشقر وسكانها سوى بقية من بقايا تلك القارة ، كما ان آسور ومادير وكناريا هي من بقايا الاتلنتيد في المحيط الأطلسي ، والقارة المغمورة تلك يدعوها العلماء « ليموريا » وهي في زعمهم وطن السود الأصلي ، ويعارض هذا الزعم كثيرون ممن لا يعترفون بوجود القارة المذكورة .

ومهما يكن من امر ورأي في اصل سكان افريقية ، فالحقيقة التي لا خلاف عليها هي ان هؤلاء السكان قد اثبتوا وجودهم في التاريخ ، وقامت لهم دول وحضارات استند بعضها الى مقوماته الخاصة ، وبعضها الى ما اكسبه اختلاطه بالشعوب البيض في فترات متباينة من الزمن ، كالاغريق والرومان والقرطاجيين والعرب وسواهم .

●

ومن اهم دولهم المعروفة سلطنة غانة ، انشأها قوم من الساميين البيض ممن هاجروا الى اواسط افريقية ، وجلس على عرشها منهم ٤٤ أميراً ، قبل ان تنتقل الى السلالات السود من ابنائها ، ويعود تاريخ انشائها الى القرن المسيحي السادس ، وفي القرن العاشر بلغت اوج عظمتها ، وقيل ان ٢٠٠ الف محارب كانوا يؤلفون جيشها مشاة وفرساناً .

قديم ... وجديد ...

وتأتي بعدها مملكة التكرور او الفوتا السنغالية ، وكان تأسيسها في عهد سلاطين غانة البيض على الارجح ، ومؤسسوها في رأي المؤرخين من الساميين البيض ايضاً ، واعتنق ملوكها وامراؤها الدين الاسلامي على يد المرابطين ، فكانوا من اكبر انصاره وناشري دعوته في محيطهم .

وفي السنة ١٠٢٠ تأسست دولة البرابرة المرابطين في اوداغوست ، وانقسمت بعدئذ قسمين تولى احدهما الحكم في الجنوب ، وحكم الثاني في الشمال حيث اسس مدينة

مراكش ، ومن هناك امتد سلطانه حتى شمل قسما من اسبانية .

وفي اعالي النيجر نشأت سلطنة مالي أو الماندنغ ، وفي السنة ١٠٥٠ ارتفع شأن هذه السلطنة ، بعد اعتناقها الدين الاسلامي ، وفي السنة ١٢٤٠ غزا جيشها سلطنة غانة فقضى على آخر معالم مجدها ، ومن اعظم سلاطينها المنسى موسى ، وقد حج هذا الى مكة المكرمة بجيش مؤلف من ٦٠ الف رجل ، وكان يتقدمه في موكبه العظيم ٥٠٠ مملوك يحمل كل منهم عصا من الذهب وزنها ٥٠٠ مثقال ، وقيمتها كلها نحو من ٤ ملايين جنيه مصري .

ومن اهم هذه السلطنات والممالك مملكة عسكية ، فهذه المملكة لم تقم بأعمال حربية باهرة ، ولكنها كانت ذات انظمة ادارية وعسكرية تفوقت بها على سائر السلطنات والممالك ، فوزراء الدولة مثلاً كانوا ستة عشر يساعدون الامبراطور - او الموروهونابا - في الحكم ، ويؤلفون معه مجلس شورى الدولة... وكانت للامبراطور تقاليد تخضعها ، ولا يبت في حكم من الاحكام الا بالاتفاق مع وزرائه ، وكان يخرج متنكراً في معظم الليالي للاستماع الى اقوال الرعية في حكومته وفي سير الامن والعدالة .

●

وابتدأ التدخل الاوروبي في افريقية بصورة عامة منذ السنة ١٣٣٩ ، وفي السنة ١٤١٩ اكتشف البرتغاليون نهر السنغال والرأس الأبيض ، وفي السنة ١٤٦٤ وصلوا الى سيراليون ، وفي السنة ١٤٧١ نزلوا في شاطىء الذهب وبنوا فيها حصناً ، هو حصن « القديس جورج دى ألمينا » الذي لا يزال قائماً الى اليوم في اكرا .

وفي السنة ١٥٩٥ انتزع الهولنديون الحصن المذكور من البرتغاليين ، وفي السنة ١٦١٨ احتكرت الشركات الانكليزية تجارة الغينه ، وفي السنة ١٦١٢ ابتدأ تدخل الفرنسيين الجدي في تلك البلاد ، ومن السنة ١٦٢٦ الى السنة ١٦٥٨ بدأت الشركات الفرنسية العمل في السنغال الى شواطىء نهر غامبيا ، فوضعت بذلك الحجر الأساسي في بناء الاستعمار الفرنسي هناك .

وتوالت بعد ذلك الحملات الاستعمارية من فرنسية وبريطانية واسبانية وبرتغالية وبلجيكية ، وتوزعت البلاد شيئاً فشيئاً بين الدول المستعمرة ، الى ان استقر الوضع الحاضر على الشكل التالي :

المستعمرات الفرنسية : موريتانيا ، السنغال ، السودان الفرنسي ، الغينه الفرنسية ، شاطىء العاج ، الهوت فولتا ، منطقة النيجر ، الداهومي .

الممتلكات البريطانية : غامبيا ، سيراليون ، شاطىء الذهب ، نيجريا .

ولبلجيكا الكونغو ، ولاسبانية جزيرة فرناندوبو والغينه الاسبانية ، وللبرتغال جزائر الرأس الاخضر والغينه البرتغالية وانغولا .

●

وليبريا البلد المستقل استقلالا تاماً ناجزاً تقع بين الشاطىء العاجي شرقاً ، والغينه الفرنسية شمالا وشمالا بشرق ، مساحتها ٤٠ الف ميل مربع ، وعدد سكانها نحو من ثلاثة ملايين .

الحكم فيها جمهوري ديمقراطي نيابي ، والفئة الحاكمة فيها من السود الاميركيين المحررين ، وقد جاؤوا اليها في السنة ١٨٢٠ واتخذوها وطناً لهم ، بمساعدة الولايات المتحدة التي ما تزال ترعى استقلالهم وشؤونهم الى اليوم .

ومن الحوادث المهمة في تاريخ هذه البلاد ان الوطنيين السود ، من جيران الدولة الجديدة الغريبة ، كانوا يناصبونها العداء احياناً ، وزحفوا مرة عليها بجيش قوي كاد يحمل قادتها على اليأس ، ولكن امرأة منهم تدعى « ماتيلدا نيوبور » برزت الى الميدان تشدد العزائم ، وتدعو الى الايمان بالله ، وبعثت تقول لقادة العدو : « اليس افضل لنا ولكم ان نجتمع ونتصافى ونكون اصدقاء بدلا من اعداء » ؟

وكان لها من سحر البيان والمنطق ما اقنع هؤلاء بصحة عرضها ، ودعتهم الى اجتماع سلمي في معسكر قومها ، ووقفت فيهم خطيبة وبيدها غليون مشعل ، وتعمدت الوقوف بالقرب من مدفع محشو ، وفجأة افرغت نار غليونها على فتيل المدفع ، فانطلق على غفلة الحاضرين ، واصاب من اصاب منهم ، والقى في قلوب الباقين الذعر ، ففروا الى معسكراتهم وأمروا جيوشهم بالرحيل .

وقد خلدت البلاد ذكرى هذه البطلة ، وخصتها بعيد يقام في اول يوم من كانون الاول ، واطلقوا على يومه هذا اسم

« نيوبور داي » او يوم نيوبور ، وشيدت لها اثراً تذكارياً في ساحة العاصمة الكبرى – ساحة الكابيتول – لا يسع الواقف امامه الا الانحناء اجلالا للبطولة التي تجسمت في شخص تلك المرأة .

●

وسارت ليبريا شوطاً بعيداً في سبيل التقـدم والترقي ، وهي تعتز باستقلالها وحريتها وتفخر بها ، ولا تهاود في الحفاظ عليها ، وقد برهنت على ذلك اكثر من مرة .

وفي النهضة الافريقية الحاضرة تراها تعمل للسلم الذي وقفت عليه جهودها من جهـة ، ولحرية المواطنين الأفريقيين الذين نشطوا للتحرر من آخر قيود عبوديتهم ، وشعارها الذي تجهر به وتأبى التنازل عنه ، وقد كان اول عبارة خرجت من اعماق قدمائها ، حين وقعت ابصارهم على ارض ميعـادهم : « السلام ... السلام يا ليبريا ... ان حب الحرية قد اتى بنا اليك » .

نحو حياة فضلى

تطورت افريقية الغربية تطوراً عمرانياً رافق تطورها الاقتصادي ، فبعد ان كانت غابات ومجاهل ورمالا ، تسرح فيها الحيوانات الضارية من كل نوع ، ويهيم ابناؤها عراة – او شبه عراة – في ارضها المترامية الاطراف ، اصبحت الان مدناً وقرى ومزارع جميلة ، تؤمن الاتصال فيما بينها القطارات والسيارات والطائرات ، وتبدو للناظر اليها وكأنها في معظمها قطعة من قلب اوربة .

والفضل في ذلك يعود اولا الى ثرواتها الطبيعية التي لا تنضب ، تلك الثروات التي تحملها البواخر من على شطآنها السود ، وتروح بها الى اقطار العالم كافة ، مواداً اولية للصناعات على اختلاف انواعها .

ويعود الفضل بالتالي – ولا نكران – الى الحكومات التي تتولى شؤونها ، من فرنسية وبريطانية وأوربية عامة ، حيث صرفت هذه الحكومات منذ عهدها الاول كل ما يمكن بذله لاستثمار خيراتها العميمة ، فكان طبيعياً ان يكثر المال في ايدي التجار والمزارعين وسواهم ، وأن ينفق هؤلاء منه لتحسين امورهم ، وأن لا يضنوا بشيء في سبيل راحتهم والحفاظ على ارواحهم ، والروح في الامثال أغلى من المال ، فكانت من ثم المدن والقرى والمزارع التي وصفنا .

ولمعرفة تطور هذا المواطن عمرانياً ، والسرعة التي مشى هذا التطور فيها الى حيث انتهى الان ، أعرض للقاريء صورة عن دكار عاصمة افريقية الغربية الفرنسية ، وادع له مجال مقارنتها بسائر المدن والعواصم الاخرى التي لا تقل عنها نهضة ورقياً :

كانت دكار لخمسة وعشرين سنة خلت – في عهد زيارتي الاولى لها – بلدة صغيرة لا يجاوز عدد سكانها الخمسين الفاً ، ولكن حيويتها المتدفقة من مركزها الاقتصادي والستراتيجي الممتاز ، وتطور الاحداث العالمية في الحقبة الاخيرة تطوراً وجه الافكار نحو القارة الافريقية ، حفزاها على الوثبة التقدمية الجبارة التي تحدثك رؤيتها لأول وهلة عنها .

لقد انتقلت مدنية الغرب الى هنا ، فدكار اليوم فلذة من كبد فرنسة ، والفرنسيون حكومة وشعباً يغارون على عمرانها وتقدمها ، وقد اقبلوا يملؤونها بوجوههم البيض ، ويميزونها بطابعهم الفرنسي الضاحك المرح ، حتى لتنسى انك منها في القارة السوداء، لولا وجوه محلية يكاد لا يبقى من اثر لافريقيتها سوى سواد بشرتها .

ولعل الرواة – الاحصائيين – لم يبالغوا بقولهم ان في دكار اليوم من السكان ما يناهز الثلاثمئة الف ، ولم اشك في القول حين وقفت انظر الى اطراف هذه المدينة ، فاذا هي تغيب في الآفاق امتداداً ، وامتدادها يتواصل في كل يوم الى آفاق جديدة .



نحو حياة فضلى ...

●

والتقدم الاقتصادي والعمراني هنا رافقه تقدم ثقافي واجتماعي بارز الأثر ، فالسود من ابناء البلاد يحتلون اليوم مكاناتهم في المجتمع ، ويؤلفون عنصراً واعداً من عناصر الرقي الثقافي ، ويساهمون في ادارة شؤون البلاد مساهمة بارزة ، ويضطلعون باعباء المسؤوليات في سياستها داخلاً وخارجاً .

وقد خطوا في بعض الاماكن منها خطوات واسعة في

سبيل الاستقلال الداخلي ، وابتدأوا يثبتون وجودهم في المؤتمرات الدولية العالمية مطالبين بالمساواة التامة بينهم وبين سائر الشعوب ، ضمن مبادىء الديمقراطية التي يهدف العالم الى نشرها ، وتوطيد دعائم السلم العالمي تحت لوائها .

وهكذا نرى في افريقية الغربية شعوباً ، بعد ان كان ابناؤها قبائل يعيش معظمهم على الفطرة ، فمنهم كبار المثقفين والادباء والصحافيين والخطباء ، ومنهم السياسيون المحنكون المدربون قادة تسير الجماهير خلفها ، ومنهم الاطباء والمحامون والمهندسون والرسامون والصحافيون والفنانون ، والى كل ما هناك مما لا يفرقهم بشيء عن ابناء الأمم الراقية .

•

ومما لا شك فيه ان لهذه المواطن دوراً ستؤديه في المستقبل القريب على مسرح السياسة العالمية ، وقد وعى ابناؤها حقيقة واقعهم ، فهم يحدثونك عن دورهم ذاك بثقة في النفس غريبة ، ويرون ان السلم العالمي سيكون مديناً لهم بالكثير من عناصره ومقوماته ، بالنظر الى ما في ربوعهم من الامكانات التي يحتاج توطيد السلم اليها .

المستقبل لنا ...

ومما يثلج الصدر العلاقات القائمة بين الوطنيين هنا ومغتربينا ، فهؤلاء الوطنيون الاسخياء اليد والقلب يرون في مواطنينا اصدقاء بل أهلا ، وقد يكون ذلك احياناً بتأثير العاطفة الدينية التي تجمعهم بفريق كبير من مغتربينا ، ولكنه في الاكثر بتأثير الاختلاط والتمازج الذين عرف مغتربونا كيف يجعلون منها واسطة لكسب ثقتهم ، منذ اللحظة الاولى التي حلوا فيها بينهم ، وقد كان لهذا التقارب بين الفريقين أثره في النهضة الشاملة التي نلمس الآن أثرها .

نضال حتى الموت

أفريقية « مقبرة البيض » هكذا دعوها من قبل ، وكانت في الواقع مقبرة ، من شدّ الرحال اليها شدّه الى الموت ، في ارضها المترامية مجاهل وغابات ، لا عمـــران يطمئن الغريب اليـــه ، ولا اسباب عيش مما يفرّج عن الكادحين بعض ما يعانون ، فهم في نضال المستميت يمسي ولا يدري اذا كان الصبح سيطلع عليه .

ومع ذلك فقد سمع اللبناني بها ، والاغتراب يحمله من على شطآن ارضه وجبالها وينثره في كل ارض ، فما تردد في ركوب غارب الامواج اليها ، اندفاعاً في تيار طموحه الجارف ، وايماناً بان ما كتب له قد كتب :

ومن كانت منيته بأرض
فليس يموت في ارض سواها

ولعل الامواج التي حملت اوائلنا الى العالم الجديد ، الى موطن الهنود الحمر ، هي نفسها حملت اخوانهم الى هذا ، الى هذه المواطن السود ... ولا تاريخ يجلو لنا الواقع ، اللهم الا ما يتناقل البعض ، ونحن مضطرون الى ادخاله في التاريخ :

●

في السنة ١٨٩٣ كان رجل من بيت شباب يدعى يعقوب البيطار قادماً على مركب شراعي من سيراليون الى غامبيا الانكليزية بقصد التجارة ، فهبت على المركب زوبعة هوجاء قذفت به الى البر ، فاذا هو في كوناكري حاضرة الغينه .

وتاجر هنا وربح ... ولما عاد الى سيراليون ، استغرب اصحابه رجوعه السريع ، ولم يصدقوا انه وصل الى غامبيا — كما حاول ان يؤكد لهم — ولحقوا به في سفرته الثانيـــة ، وطابت لهم الاقامة في الغينه ، ولحق بهم آخرون .

فمن هنا يتضح ان اغترابنا الى الغينه الفرنسية سبقه اغترابنا الى سيراليون الانكليزية ، وسبق هذا ايضاً اغترابنا الى نيجريا ، ففي السنة ١٨٩٠ وصل الى تلك البلاد اول لبناني ، هو الياس الخوري من مزبارة ، ولحق به البعض من ابناء بلدته ، وقد عرفت احدهم مخائيل الياس ، أثناء رحلتي الافريقية في السنة ١٩٣٠ ، فحدثني هذا عن عهدهم الاول هناك ، قال :

— في السنة ١٨٩٨ كان الانكليز لم يتوغلوا بعد في داخلية البلاد ، وكنت في ذلك الحين شاباً يغلي في عروقي دم الجرأة والاقدام ، فخطر لي ان اقوم برحلة الى بحيرة تشاد ... ولم اتردد في شد الرحـــال اليها ، برفقة اثنين من ابناء الوطن ، وقـــافلة كبيرة من الوطنيين السود تحمل بضائعنا وامتعتنا وطعامنا ... فوصلنا الى البحيرة بعد ان مررنا بكانو وبورنو ، ومن هناك دخلنا الى الكامرون ، وعدنا الى لاغوس بطريق دوالا ، ودامت رحلتنا ١٥ شهراً ... وكان ابناء البلاد السود يفتكون آنذاك بكل ابيض يدخل بلادهم ، اما نحن فكان شافعنا لديهم اننا عرب ، وان كل عربي ناطق بالضاد هو أخ لهم .

افريقيا التجاريّة

جريدة تجارية اقتصادية أدبية تصدر في الاسبوع مرة موقتاً

الصحيفة العربية الوحيدة التي صدرت في افريقية الغربية

وحدثني آخر ممن شقوا طريقهم الى الثروة ، في دكار عاصمة افريقية الفرنسية ، عن نوع المعيشة التي عانوا مشقاتها في أوائل عهد اغترابهم ، قال :

— في السنة ١٨٩٩ وصلنا الى هنا ... ولم يكن آنذاك شيء مما ترى الان ... لا شوارع ولا منازل ولا مخازن ولا أي سبب من اسباب العيش الناعم ، فالسعيد السعيد منا من وجد صندوقاً من الخشب يجمع فيه بضائعه ويهيء عليه طعامه ،

ويلقي في آخر الليل رأسه عليه ... واسعد منه من كان له كوخ من القش يأوي اليه ، او لوح من التوتيا يقيه سهـام الشمس المحرقة نهاراً ، وقطرات الندى المتساقطة كالسم ليلاً ... وهذه المآكل الشهية التي تراها على موائدنا لم نكن نراهـا في الحلم ... كل ما كان لنا جذور بعض النباتات من طعام الوطنيين ، وبعض المحفوظات من سردين وطون وغيرهما ، ومن حين لآخر بعض الطيور التي كنا نبتاعها من ابنـاء البلاد ... اما المياه ، المياه الصافية النقية ، فقد كانت اعز من قطرة الماء التي روى الانجيل عنها في حكاية اليعازار والغني : « يا ابتاه ابراهيم ... اوسل العازار ليبل طرف اصبعه بالماء ويرطب به حلقي » ، ولكن ، هل كان في افريقية و « حضن ابينا ابراهيم الاسود » عهد ذاك سوى الماء الآسن العكر ، سوى الماء الساخن ، سوى ماء المستنقعات والغدران ذات الجراثيم القتالة ؟

●

ويحدثني من اصحاب الاعمار الطويلة ، فالمقبرة « مقـبرة البيض » لم يكن لها نصيب منه ، ولكن الذين واراهم تراب هذه المقبرة كثيرون ، وهم من الشباب الطموح البعيد الهمة ، فمن لم تقتله الشمس قتلته الرطوبة ، وقتله سوء المعيشة وعدم توافر اسباب الوقاية ، وضحايا الحمى الصفراء الخبيثة اكثر من أن يعدوا .

●

وتطورت الحال كما ذكرنا ، فاذا بمغتربينا في جبهة النضال التطوري ، لا تخلو منهم مدينة او قرية أو مزرعة ، وحتى في في الغابات البكر من مواطن الضواري تجدهم ، واكثر من وسط تجاري مدين لهم بعمرانه ومواصلاته وتقدمه ، وثروتهم الاقتصادية الضخمة تساهم في العمران والاقتصاد مساهمة ملموسة ، فمنهم من يملك العقارات الفخمة الجميلة في المدن والقرى ، ومنهم من يملـك البيوتات التجارية التي تتوزع رؤوس اموالها عمـلاً في طول البلاد وعرضها ، ومنهم من يغامر بثروات طائلة في « بورصة » الموارد الزراعية الأولية جمعاً وتصديراً ، ومنهم من ابتدأ يخوض غمار الصناعة بهمة عجيبة وثقة بالنفس لا حد لها .

ويعيش مغتربونا بعد هذا كله في دنيا تطور الحال عيشاً يحسدون عليه ، في دورهم الفخمة المتوافرة فيها اسباب الراحة والرفاهية ، وفي مظاهر تعود اللبناني ان يجعل منها هدفاً في سعيه وراء المال ، وطالما كانت هذه المظاهر سبباً من اسباب حملات مغرضة يثيرها أعداؤه وحساده عليه ، ولكن الكرم الذي « يغطي العيوب » كان ولا يزال قميناً برد سهام الاعداء والحساد الى نحورهم .

●

وكما ان تطور حالات جالياتنا المادي في اميركا كان باعثاً على التطور الاجتماعي والأدبي ، هكذا كان تطور جـالياتنا الاقتصادي هنا باعثاً على التفكير في تحسين الحياة الاجتماعية ، واحياناً على محاولة خلق نهضة فكرية تؤلف ولو نواة لحركة أدبية تضفي على الحياة ولو بعض ما يبعدها قليلاً وفي اوقات معينة عن استمرار الحركة المادية الرتيبة .

وقد آتى المجهود الاجتماعي بعض ثماره ، فكانت للجالية جمعيات وأندية لم يسمح المحيط بتطورها التطور المنشود ، ومع ذلك فقد أدى بعضها خدمـات ، وكانت لبعضها ايادي على الكثير من نهضاتنا المختلفة في الوطن ، فما نودي لعمل خيري أو ثقـافي أو أدبي أو اجتماعي في هذا الوطن الا لبّى النداء سخياً .

وان كان من مأخذ على جمعياتنا وأنديتنا في هذه المواطن ، فالمأخذ الواحد في كل مكان هو التزاحم على « الوظيفة » ... فكم من جمعية قامت هنا واعدة وحدّ هـذا التزاحم من نشاطهـا ، واكثر من ناد ابصر النور بعينين مفتوحتين لاستيعاب وهـج الشمس ، حتى اذا انتهى النشاط الى « الرئاسة » اغمض عينيه الكبيرتين على خيبة ، والمرض من امراضنا في الوطن ، وفي أي مكان نزلناه من الدنيا ، شفانا الله منه .

●

أما النشاط الأدبي فقد اقتصر الى الان على افراد ، ممن حملوا الفكر في جبهة طموحهم المادي ، فكان عليهم ان يسيروا في تيار هذا الطموح اولا ، حتى اذا كان استقرار في فيئة الارتياح ، ودعاهم الفكر الى دنياه ، تهامسوا بما يباعدهم ولو الى حين عن المادة .

وقد تحول التهامس في بعض الاحايين تنادياً الى عمـل ، ولكن العمل اقتصر الى الان على اجتماعات تعقد لسماع خطبة أو محاضرة ، وكثيراً ما تكون الخطب والمحاضرات لتكريم وافد عزيز ، ولسماع احاديث عن الوطن الأم تذكر المغترب

بن وما خلف في هذا الوطن ، وأعذب الاحاديث ما كان عن النهضة الوطنية والاستقلال والسيادة ، وهذا يدل على الروح التي يعيش بها مغتربونا في ديار اغترابهم ، الروح القومية العالية التي لم تتمكن امواج المادة الصاخبة من الطغيان عليها وابتلاعها .

ولم تكن لجاليتنا في هذه الربوع صحافة ، ولعل المحيط بظروفه السياسية وأوضاعه الخاصة لم يساعد على ذلك ، وصحيفة واحدة نشأت في دكار هي جريدة «افريقية التجارية» أنشأها المرحوم نجيب المكرزل في السنة ١٩٣١ ، وتولى شؤونها بعده الاديب ابراهيم تشام ، واعطاها كل ما يقوى أديب على اعطائه من ماله وروحه ، حتى اذا ناء كاهله بحملها القاها عن كاهله آسفاً وانصرف الى التجارة ، وما زال يحتفظ الى الآن بحروفها وببعض آلاتها الطابعة كذكرى من أعز الذكريات لديه ، وكأثر من آثار فكرة لمعت كالبرق في أفق التاريخ ، وبشك كل الشك في عود هذه الفكرة الى الوجود ، لاعتبارات عديدة يعود معظمها الى ظروف المحيط أكثر منه الى وعي الجالية ورغبتها الصادقة .

المؤتمر الاول

لمؤسسات السياحة والسفر في الاقطار العربية

لما كانت مواسم السياحة والاصطياف يتوقف نجاحها الى حد بعيد على مدى النشاط الدعاوي الذي تبذله الحكومات ومكاتب السياحة من جهة ، وعلى قدر التسهيلات والخدمات ووسائل الراحة التي تتوافر للسياح والمصطافين من جهة ثانية ، ولمناسبة اعلان السنة ١٩٥٥ سنة سياحة واصطياف في لبنان ، لذلك دعت نقابة اصحاب مكاتب التسفير والسياحة في لبنان الى مؤتمر عام ، برعاية فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ، واشتراك مندوبين من جميع مكاتب السياحة والتسفير في الاقطار العربية ، وفي المؤتمر الذي توالت اجتماعاته في بيروت من ٢١ تشرين الاول ١٩٥٤ الى ٢٥ منه ، اتخذ المؤتمرون مقررات هامة في مقدمتها :



اعضاء المؤتمر يتوسطهم فخامة رئيس الجمهورية اثناء زيارتهم لفخامته في القصر الجمهوري وبينهم وزير الاقتصاد الوطني والشؤون الاجتماعية الاستاذ رشيد كرامه ، والسيد امين حتي رئيس المؤتمر .

تأسيس رابطة لمكاتب التسفير والسياحة في البلدان العربية تعمل على صعيد دولي واسع النطاق ، في سبيل انتشار وازدهار السياحة في هذه البلدان التي تتمتع بميزات سياحية وتاريخية لا مثيل لها في العالم ، والعمل لانشاء علاقات مهنية بين مكاتب السياحة تعزيزاً لحركة التنقل في الاقطار العربية ، ولتذليل الصعوبات التي تحول دون تعزيز هذه الحركة ، وتنظيم الدعاية التي لا بد منها للمصلحة المشتركة .

وقد عقدت جلسات المؤتمر في فندق الكابيتول ، والقى كلمة افتتاحية معالي وزير الاقتصاد الوطني الاستاذ رشيد كرامه ، فحيا المؤتمرين ورحب بهم باسم لبنان حكومة وشعباً ، ودعاهم لتوحيد الجهود في سبيل الغاية التي اجتمعوا لتحقيقها ، وهي تعود على البلدان العربية جميعاً بالنفع والخير العميم ، وأعلن استعداده واستعداد الحكومة اللبنانية لتسهيل مهمة المؤتمر وتنفيذ مقرراته .



فريق من اعضاء المؤتمر في زيارة تاريخية لهياكل بعلبك وفي الوسط الاستاذ جوزيف حايك احد صاحبي هذا الكتاب.

رابطة

المراقبين المتطوعين لخدمة السياحة في لبنان

لمناسبة سنة السياحة وصيف المغتربين ، تنادى فريق كبير من سيدات المجتمع اللبناني وشبابه المثقف الى القيام بعمل ايجابي مع المسؤولين من شأنه تعزيز موسمي السياحة والاصطياف في لبنان ، فألفوا من مجموعهم مؤسسة وطنية باسم « رابطة المراقبين المتطوعين لخدمة السياحة في لبنان » واضعين نصب اعينهم الخدمة المجردة بكل اندفاع ووطنية لاعلاء شأن الوطن وازدهار اقتصادياته ، ولاظهار لبنان البلد الذي حمل رسالة الفكر عبر اجيال بالمظهر اللائق به في اعين رواده وضيوفه الكرام .

ووضعوا لرابطتهم منهاجاً للعمل تضمن نواحي النشاطات التي وقفوا انفسهم على القيام بها ، فرحبت المراجع المسؤولة بفكرتهم النبيلة ، وما ترددت في الاعتراف برابطتهم وتشجيعهم على تأدية رسالتهم ، وأوعزت الى المراجع والدوائر ذات العلاقة بوجوب التعاون معهم وتسهيل مهمتهم ، ومن ابرز الخطوط الرئيسية لأعمالهم : المراقبة ، التوجيه ، والاستقبال .

وأنيط باعضاء فرقة المراقبة القيام بمراقبة فعالة لحركة السير في العاصمة ومناطق الاصطياف ، وخاصة مراقبة سائقي السيارات المتقيد بالتعرفة الرسمية ، وقد اعطوا صلاحيات واسعة بهذا الشأن ، وتشمل صلاحياتهم مراقبة الفنادق والمطاعم والملاهي ودور السينما ، وكذلك مراقبة النظافة في العاصمة واماكن الاصطياف ، ومراقبة حسن استقبال السياح والمصطافين والمغتربين في المطار والمرفأ ، وللاحظاتهم في هذه الحقول الاعتبار الكلي لدى الدوائر المختصة .

اما في حقل التوجيه فمهمة اللجنة المختصة توجيه الارشادات والمحاضرات السياحية بواسطة الاذاعة ، وعرض بعض الاشرطة السينمائية لغاية نفسها ، والاتصال المستمر بالنقابات التي لها علاقة مباشرة بالسياحة ، لتبادل وجهات النظر حول الوسائل الممكن اتخاذها للمحافظة على سمعة لبنان السياحية ، والسهر على راحة المغتربين والسياح اثناء اقامتهم في ربوع لبنان ، وفي حقل التوجيه هذا تأتي مهمة لجنة الصحافة ، ومهمتها اذاعة البيانات والارشادات اللازمة على الجمهور بواسطة الصحف .

اما لجنة الاستقبال فتقوم مهمتها على تأمين حسن وفادة المغترب والسائح ان في المطار او في المرفأ ، وتسهيل معاملاته في دوائر الجمرك والأمن العام ، واصطحابه في كثير من الاحيان الى الفنادق او المنازل ، مما يجعل رواد هذا البلد العزيز يشعرون وكأنهم في وطنهم وبين أهلهم وصحبهم .

